

تأليف: أ. أ. نيهاردت

الملحمة الإغريقية القديمة

ترجمة: د. هاشم حمادي

مقدمة المترجم

اشتهر قدماء الإغريق بالنشاط وحب المعرفة، والتوق إلى اكتشاف العالم،
مهما كانت العواقب ومهما بلغت التضحيات. وتعتبر مغامرات أوديس
(أوديسيوس)، ورحلة الأورغونيين في طلب الجزة الذهبية من بلاد الكولشيد،
تجسيداً لتطلعات الانسان نحو التعرف على العالم، الذي يعيش فيه. وتكوين
صورة صحيحة عن هذا العالم.

يتناول هذا الكتاب بالدراسة أشهر الملاحم الاغريقية القديمة :

رحلة الأورغونيين،

ملحمة طروادة،

مغامرات أوديسيوس،

ملحمة طيبة .

في ملحمة الأورغونيين يطالعنا وصف حي لرحلة جازون مع عدد من أقرانه
الأبطال إلى كولشيد البعيدة، للحصول على الجزة الذهبية، ومايصادفهم في هذه
الرحلة من أهوال ومخاطر. ومايجترحون من مآثر وبطولات .

وإذا كانت الجزة الذهبية هي هدف رحلة الأورغونيين، فإن استعادة هيلين
الحسناء كان الهدف من تجريد الإغريق لحملتهم المشهورة ضد طروادة، تلك

الحملة التي اشترك فيها جميع أبطال الإغريق، والعديد من آلهتهم، بعض الآلهة إلى جانب الإغريق، والبعض الآخر إلى جانب الطرواديين.

استمر حصار طروادة تسع سنوات، وفي العام العاشر، فقط استطاع الإغريق فتحها. وخلال هذه الأعوام العشرة دارت رحى الكثير من المعارك والمبارزات، وتكبد الطرفان الكثير من الخسائر، وسقط من الطرفين العديد من الأبطال، بمن فيهم هكتور وأخيل.

أما الأوديسة، فتصف رحلات أوديسيوس، ملك إيثاكة، العائد من حصار طروادة استمرت هذه الرحلات، عشر سنوات أخرى، واكتنفتها الأخطار والمصاعب، وليس أدل على مدى شهرة هذه الرحلات من أن اسم أوديسيوس أصبح مرادفاً للرحلات الطويلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر والأهوال. إن قصة أوديسيوس الإغريقي تذكرنا برحلات السندباد.

فبعد سقوط طروادة أبحر أبطال اليونان عائدين إلى ديارهم. وكان أوديسيوس في عداد من أبحر، قافلاً إلى إيثاكة، لكن طريق العودة كان طويلاً ومحفوفاً بالأهوال، فقد هلك جميع رجاله، وبالكاد استطاع النجاة بجلده، ليجد نفسه أسير الحورية كاليبسو، التي أبقته في جزيرتها ثمانية أعوام، ولولا تدخل الآلهة لما أفرجت عنه.

يعود أوديسيوس إلى موطنه إيثاكة، بعد عشرين عاماً، فيجد الخطاب يعيشون فساداً في قصره، يريدون إكراه «أرملته» بنلوبه على الزواج من أحدهم. وقد استطاع أوديسيوس بفضل قوته ودهائه ومساعدة الآلهة له، والربة أثينا بشكل خاص، أن يتغلب على أعدائه، ويفتك بهم عن بكرة أبيهم.

أما الملحمة الأخيرة، فتصور مأساة الملك أوديب، وكيف كان له القدر بالمرصاد، فقتل أباه، وتزوج أمه، وانفض عنه الجميع، حتى ولديه. ابنته أنتيغون وحدها وقفت إلى جانبه، وشاركته المحن والأرزاء.

لقد كانت الأساطير والملاحم اليونانية القديمة ، ولا زالت مصدر إلهام للأدباء والشعراء والمسرحيين والفنانين ، ومعيناً لا ينضب لاستسقاء المواضيع ، التي تصور حياة الانسان بأفراحها وأتراحها ، وترسم لنا صورة حية للكثير من العادات والتقاليد ، التي كانت سائدة في تلك الأزمنة الغابرة ، وتعيد إلى أذهاننا العديد من الأساطير العربية ، التي تستحق منا اهتماماً أكبر . ولعل هذا الكتاب يذكرنا بضرورة تجميع موروثنا الأسطوري من حكايات وملاحم ، وإصداره في سلسلة متكاملة ، على غرار موروث الأمم الأخرى . سيما وأن موروثنا لا يقل عن ذلك ، لا كماً ولا نوعاً ، بل ويتفوق على الكثير منه نواحٍ ومجالات شتى . من المؤسف أن بعضاً من مثقفينا ينظرون إلى هذا النوع من الأدب على أنه دون الأدب منزلة ، ويصنفونه في خانة لاتليق به ، في الوقت الذي ينكب فيه المتخصصون في معظم البلدان على دراسته ، ووضعه في متناول القراء ، الذين يقبلون عليه بكل حماسة واهتمام ، ويطالعونه بكل متعة وشغف .

المرجم

الأرغونيون

فريكوس وهيله^(١):

كان أتاماس، ابن ايولوس إله الريح يحكم في مدينة أورشومين الميسينية في بيوتيا^(٢). وكان لديه ولدان من نيفيله «ربة الغيوم» إنيهما فريكوس الابن وهيله الابنة. وقد خان أتاماس نيفيله، فتزوج إينو ابنة قدموس. وكانت اينوتكره ولدي زوجها من زواجه الأول، فقررت القضاء عليهما. وقد أقنعت الأورشومينيات بتجفيف البذار المخصصة للزراعة. وزرع الأورشومينيون الحقول بالبذار المجففة، لكن شيئاً لم ينبت في حقولهم الخصبة أبداً. وحينذاك قرر أتاماس إرسال سفارة إلى دلفي المقدسة لسؤال عرافة أبولون النبأ عن سبب جذب الحقول.. لكن إينو الداهية رشت المبعوثين فعادوا من دلفي يحملون جواباً مزيفاً.

ويقول المبعوثون المتواطئون لأتاماس:

- هاك الجواب الذي أعطته العرافة بيثيا: ضحِ بابنك فريكوس للآلهة، يعد الآلهة للحقول خصبها.

ولتفادي الكارثة العظيمة، التي تتهدد أورشومين قرر أتاماس أن يضحي بابنه المحبوب. واغتبطت إينو، فقد نجحت خطتها في القضاء على فريكوس.

كان كل شيء قد أصبح جاهزاً للتضحية ، وكان على فريكوس الشاب أن يقع تحت سكين الكاهن ، لكن فجأة ظهر الخروف ، ذو الجزة الذهبية ، هدية الإله هرمس . وكانت الربة نيفيله ، أم فريكوس ، هي التي أرسلت الخروف لكي تنقذ ولديها . امتطى فريكوس وهيله ظهر الخروف ذهبي الجزة ، فحملهما في الجوبعيداً نحو الشمال .

كان الخروف ينطلق مسرعاً . وبعيداً في الأسفل كانت تنبسط الحقول والغابات ، وبينها تتلوى الأنهار الفضية .

ها هو البحر . ويندفع الخروف فوق البحر . خافت هيله ووقعت في البحر ، فابتلعته أمواجه المصطخبة أبداً . لم يستطع فريكوس إنقاذ أخته ، التي قضت نجبها . ومنذ ذلك الحين والمكان ، الذي غرقت فيه هيله يعرف باسم هيليسبونت (بحر هيله)^(٣) .

وتابع الخروف طريقه حاملاً فريكوس إلى أن حط أخيراً على ضفة ثاسيس في كولشيدا^(٤) البعيدة ، حيث كان يحكم الساحر آييتيس ، ابن الإله هيلوس . قام آييتيس بتربية فريكوس ، وحين أصبح شاباً زوجه ابنته هالكيوب . أما الخروف ، ذو الجزة الذهبية ، والذي أنقذ فريكوس ، فقد قدم قرباناً لزوس سائق الغيوم . وعلق آييتيس الجزة الذهبية في خميلة أريس إله الحرب المقدسة . وكلف بحراسة الجزة التين الفظيع ، قاذف اللهب ، الذي لا تغمض له عين .

طبقت شهرة الجزة الذهبية أرجاء اليونان ، وعرف أحفاد أثاماس ، والد فريكوس ، أن نجاة ورفاهية ذريتهم يتوقفان على امتلاك الجزة ، فأرادوا الحصول عليها بأي ثمن .

ولادة جازون وتربيته :

بنى كريتييس ، أخو الملك أثاماس ، مدينة ايولكس ، على ساحل الخليج

البحري الأزرق في تساليا^(٥). وقد نمت المدينة وازدهرت بفضل الثروة، التي درتها عليها حقوله الخصبة والتجارة والملاحة. بعد موت كريتييس أصبح ابنه إيزون حاكماً للمدينة، لكن أخاه من أمه، بيلياس، ابن بوزيدون، انتزع السلطة منه، مما اضطره للعيش في المدينة كأبي مواطن عادي.

وبعد وقت قصير رزق إيزون بصبي في غاية الحسن والجمال. خاف إيزون أن يقوم بيلياس المتعجرف والظالم بقتل ولده، الذي كان صاحب الحق الشرعي في حكم إيولكس، فقرر إخفاءه. وهكذا فقد أعلن أن ولده توفي حال ولادته، حتى أنه أقام قداساً فاخراً على روحه، ثم حمله إلى سفوح جبل بيليون، إلى القنطور الحكيم شيرون. وهناك في الكهف، داخل الغابة، نما الصبي وترعرع، وتلقى تربيته على يد شيرون وأمه فيليرا وزوجته شاريكلو. أعطاه شيرون الحكيم اسم جازون، وعلمه فن استخدام السيف والرمح والرمي من القوس المشدود. ولم يكن ثمة من يجاري جازون في المهارة والقوة والجرأة، أما من حيث الجمال فكان يعادل سكان السماء.

عاش جازون لدى شيرون حتى سن العشرين. وأخيراً قرر مغادرة سفوح بيليوي المعزولة، قاصداً إيولكس ليطلب بيلياس بإعادة مقاليد حكم إيولكس إليه.

جازون في إيولكس^(٦): حين وصل جازون إلى إيولكس قصد الساحة مباشرة، حيث كان كل سكان المدينة مجتمعين. راح سكان المدينة ينظرون إلى جازون وقد عقدت ألسنتهم الدهشة. فقد اعتقدوا أن هذا الشاب إن هو إلا أبولون أو هرمس - فقد كان في منتهى الجمال. ولم يكن لباسه شبيهاً بلباس سكان مدينة إيولكس: من على كتفيه كان يتدلى جلد نمر مرقط، وكانت إحدى قدميه فقط - اليمنى - في صندل. وكان شعر جازون الكثيف يتدلى على كتفيه، كان

كله يتألق جمالاً وقوة كما الإله الشاب . وكان يقف هادئاً بين جمهور المواطنين ، الذين يتأملونه بإعجاب ، وهو يستند على رجليه .

وفي هذا الوقت وصل الساحة بيلياس في عربة فاخرة . ولم يكذب يلقى نظرة على الشاب حتى اقشعر بدنه ، إذ لاحظ أنه لا يرتدي سوى فردة صندل واحدة . . .
خاف بيلياس فقد سبق للعراف أن تنبأ له أن الهلاك يتهدده من شخص سيأتي إلى إيولكس من الجبال ، لا ينتعل إلا فردة حذاء واحدة . ولسوف يقضي هذا الشخص ، ابن إيزون ، عليه بالقوة أو الحيلة ، ويجب أن يكون هذا الهلاك حتمياً .
أخفى بيلياس فزعه ، وسأل الشاب المجهول بصلف :

- من أين أصلك يافتى ، ولأي القبائل تنسب ؟ لكن لا تقل إلا الصدق ، ولا تدنس نفسك بالكذب ، فأنا عدو الكذب المكروه .
وأجابه جازون بهدوء :

- لم يعلمني شيرون الحكيم سوى الصدق والنزاهة ، وأنا مخلص دائم لتعاليمه .
لقد عشت عشرين عاماً في كهف شيرون ، ولم أجد الحق مرة واحدة ، ولم أخطيء في شيء . لقد عدت إلى هنا . إلى بيتي ، إلى إيولكس ، مسقط رأسي ، إلى والدي إيزون إنني أريد المطالبة بأن يعاد لي حكم إيولكس ، وقد سمعت أن بيلياس الداهية انتزعه من أبي . خذوني أيها المواطنون إلى بيت أسلافي العظام . لست بغريب بالنسبة لكم ، فقد ولدت في إيولكس . إنني جازون بن إيزون .

دل سكان إيولكس جازون على دار والده . لم يكذب جازون يدخل الدار حتى تعرف عليه أبوه ، وراحت دموع الفرح تتدحرج من عيني العجوز إيزون ، كان فرحاً أن ابنه أصبح شاباً قوياً وجميلاً .
لم يلبث نبأ عودة جازون أن وصل مسامع أخوي إيزون - فيريتوس ، ملك

فريس ، وأمشاونوس من ميسيثيا . فجاءا إلى إيزون مع ولديهما آدميتوس وميلامبودوس .

ظل إيزون وجازون يولمان لهم خمسة أيام بلياليها . وفي حديثه معهم كشف لهم جازون عن نيته في استرداد السلطة على إيولكس . وقد باركوارغبة جازون هذه ، ورافقوه إلى بيلياس . طالب جازون بيلياس بإعادة السلطة له ، واعدأ إياه بأن يترك له كل الثروات ، التي انتزعها من إيزون . وقد خاف بيلياس أن يرد جازون خائباً ، فأجابه :

- حسناً ، إنني موافق ، لكن بشرط واحد : إن عليك قبل ذلك أن ترضي آلهة العالم السفلي . إن شيخ فريكوس ، الذي لقي حتفه في كولشيد البعيدة يتوسل إلي أن أذهب إلى كولشيد ، وأستولي على الجزء الذهبية . هذا ماكشفه لي ظل فريكوس في الحلم . وفي دلفي أمرني النبال أبولون نفسه بالسفر إلى كولشيد . لكنني بلغت من العمر عتياً ، ولا أستطيع اجترأح مثل هذه المأثرة العظيمة ، بينما أنت شاب مفعم بالقوة . فقم بهذه المأثرة أرد لك السلطة على إيولكس . هكذا أجاب بيلياس جازون وهو ينوي الشر في قلبه . كان على يقين أن جازون سيهلك إن هو تجرأ على السفر إلى كولشيد في طلب الجزء الذهبية .

جازون يجمع مرافقيه ، ويستعد لغزو كولشيد : بعد الحديث مع بيلياس مباشرة بدأ جازون يستعد لغزو كولشيد . فطاف على كل بلدان اليونان ، وفي كل مكان راح يدعو الأبطال ، المعروفين بآثرهم ، للمشاركة في الحملة من أجل الجزء الذهبية . وقد لبى العديد من الأبطال دعوته . حتى هرقل نفسه وافق على المشاركة في هذه الحملة . اجتمع جميع الأبطال في إيولكس ، ولم يتخلف منهم أحد ، مفخرة أثينا اجتمعوا هنا : ثيسوس الجبار ، ابنا زوس وليدا - كاستور وبولوكس وأخواهما إيداس ولنسيوس ، والبطلان المجنحان كالايس وزيتيس ابنا

بورياس (ريح الشمال) وأوريفيا، وميلياغروس من كاليدونيا وإنسيوس الجبار وأديمتوس وتيلامون والكثيرون غيرهم^(٧). كما كان بين الأبطال المغني أورفيوس. كان الأبطال الجبابرة والرائعون كالألهة يجذبون إليهم أنظار جميع سكان إيولكس المفعمة بالإعجاب.

أصبح المركب جاهزاً ليقل الأبطال. وكان أرغوس: ابن اريستور هو الذي بنى هذا المركب، وقد ساعدته الربة أثينا بنفسها. وقد وضعت في كوثل المركب قطعة من شجرة البلوط المقدسة، من خميلة عراف زوس في دودون. كان رائعاً هذا المركب ذو العشرة مجاذيف، والذي أطلق عليه اسم «أرغو». كان سريعاً وخفيفاً، وكان يندفع عبر أمواج البحر مثل طائر النورس. هذا وقد عرف الأبطال، الذين شاركوا في الحملة باسم الأرغونيين، على اسم المركب (بحارة «أرغو»). ولم تكن أثينا وحدها هي التي شملت الأرغونيين برعايتها، بل إن هيرا شملتهم بحمايتها أيضاً. فقد كانت تتقد كراهية لبيلياس، لأنه لم يقدم لها الأضاحي. وكان جازون يتمتع بعطف خاص لدى هيرا. ففي ذات مرة امتحنت هيرا البطل الشاب بأن ظهرت له في هيئة عجوز حيزبون على ضفة نهر جبلي، وراحت تتوسل إليه باكية أن ينقلها إلى الضفة الأخرى. رفع البطل العجوز على كتفيه بكل حرص، ثم نقلها عبر النهر السريع الجريان. وفي أثناء عبور النهر أضع جازون فردة صندله. ومنذ ذلك الحين أحبت هيرا جازون، وراحت تساعده في كل شيء. ثم أن أبولون التبال كان بدوره يشمل الأرغونيين برعايته، فهو الذي دفع الأبطال للقيام بالحملة، وهو الذي تنبأ لهم بالسعادة والنجاح.

أراد المجتمعون في إيولكس أن يختاروا هرقل قائداً لهم، لكن هرقل رفض، واقترح اختيار جازون. واختير تيثيوس رباناً للمركب «أرغو»، وفي المقدمة وقف لينسيوس، الذي كان ينظره الثاقب يرى كل شيء، ليس على الأرض فقط، بل وحتى في جوفها.

كل شيء أصبح جاهزاً للإقلاع . كان «أرغو» الذي أنزل إلى الماء، يتمايل بهدوء على الأمواج، وقد حملت المؤونة اللازمة من الطعام والماء العذب، وقدمت القرابين الأخيرة لأبولون وجميع الآلهة . وقد أعطى التقرب بالأضاحي فأل خير . وفي المساء أقيمت حفلة مرحة . حان الوقت لبدء الرحلة البحرية البعيدة، المحفوفة بالمخاطر.

لم يكد طرف السماء يتوهج بلون الشفق الأرجواني حتى أيقظ الربان تيشيوس الأرغورنيين . صعد الأرغونيون متن المركب، وجلسوا إلى المجاذيف، اثنان في كل مقعد . وفي تناغم تام بدأ الأبطال الجبابرة تجذيفهم . وبكل اعتزاز أقلع «أرغو» من الميناء إلى عرض البحر . ورفع السباحون الشراع الناصع البياض . نفخت الريح المواتية الشراع، فاندفع المركب الخفيف عبر الأمواج، التي تصطخب ببشاشة . وهاهو هيليوس الساطع، إله الشمس، يصعد إلى السماء في مركبة تجرها جياد ناصعة البياض، واصطبغ شراع «أرغو» باللون الوردي، وتلألأت أمواج البحر تحت أشعة شمس الصباح .

داعب أورفيوس أوتارقيثارته الذهبية، فترددت أغنيته الشجية عبر رحابة البحر . وأصغى الأبطال إليه بإعجاب . ومن أعماق البحر خرجت الأسماك والدلافين السريعة مفتونة بغناء أورفيوس، وانطلقت في إثر «أرغو»، الذي يشق الأمواج، مثل القطيع يقتفي أثر الراعي، مسحوراً بأصوات المزار الحلوة .

الأرغونيون في ليمنوس

بعد رحلة موفقة قصيرة وصل الأرغونيون إلى جزيرة ليمنوس^(٨) المزدهرة، التي كانت تحت حكم الملكة الشابة هيسيبيل . لم يكن في ليمنوس كلها رجل واحد . فقد قتلت الليمنوسيات جميع أزواجهن بسبب خيانتهم . ولم ينج إلا الملك

ثاوس ، والد هيبسييل . وكانت ابنته هي التي أنقذته من الموت .
حين رسا الأرغونيون إلى ساحل ليمنوس ، وأرسلوا مبعوثهم إلى المدينة ،
عقدت الليمنوسيات اجتماعاً في ساحة المدينة ، وكات نصيحة هيبسييل الشابة ألا
يسمح للأرغونيين بدخول المدينة . فقد كانت تخاف أن يكتشف الأبطال الفعلة
التي ارتكبتها الليمنوسيات . لكن بولوكو العجوز اعترضت على رأي الملكة ،
وأصرت على السماح للأرغونيين بدخول المدينة .

وقالت بولوكو:

- من سيدافع عنكن إذا ما أغار الأعداء على ليمنوس؟ ومن الذي سيعتني بكن
عندما تشخن ، إذا ما بقيتن وحيدات؟ كلا ، فليدخل الغرباء المدينة ، وليبقوا
هنا .

عملت الليمنوسيات برأي بولوكو العجوز . وللتوا أرسلن إحداهن مع
المبعوث ، القادم من «أرغو» لدعوة الأبطال لدخول المدينة .
ارتدى جازون لباساً أرجوانياً مزخرفاً ، كانت أثينا - بالاس قد حاكته له
بنفسها ، وسار إلى المدينة . استقبلته هيبسييل بالترحاب ، وعرضت عليه النزول
في قصرها . ثم جاءت بقية الأرغونيين إلى المدينة . ولم يبق على متن «أرغو» سوى
هرقل وعدة أشخاص .

خيم المرح والفرح على الجزيرة . وفي كل مكان اندلعت المحارق ، وعليها
القرايين المقدمة للآلهة ، وتتابعت الاحتفالات ، وتوالت المآدب . وكان يبدو وكأن
الأبطال قد نسوا تلك المآثرة ، التي تنتظرهم ، فراحوا يحتفلون ، ولاهم لهم ، في
جزيرة ليمنوس الغنية . وأخيراً قام هرقل خفية باستدعاء الأرغونيين إلى ساحل
البحر ، حيث يرسو «أرغو» ، وراح بطل الأبطال يوبخهم غاضباً ، لأنهم نسوا المآثر
بسبب اللذة وبسبب حياة المرح والتسلية . وقف الأبطال خجلين ، وهم يصغون
باهتمام إلى اللوم الذي يستحقون . وقرروا مغادرة ليمنوس على جناح السرعة .

وللحال أصبح «أرغو» جاهزاً للإقلاع . وأصبح الأبطال جاهزين للصعود إلى المركب والجلوس إلى المجاذيف حين وصل جمهور الليمنوسيات الشاطيء . ورحن يتوسلن إلى الأبطال ألا يغادروهن ، وأن يبقوا معهن . لكن الأبطال لم يُستمالوا . بل صعدوا متن «أرغو» ، وجلسوا خلف المجاذيف ، فأرغت الأمواج وأزبدت تحت وقع ضربات المجذفين الأبطال ، ومثل الطائر اندفع «أرغو» يشق عباب البحر الشاسع .

الأرغونيون في شبه جزيرة كيزيك

في أثناء الطريق عبر بروبونتيد^(١) رسا الأرغونيون في شبه جزيرة كيزيك ، حيث كان يقطن الدليون ، أحفاد بوزيدون ، وكان يحكمهم الملك كيزيك . وغير بعيد عن قصره كانت توجد هضبة الدب ، التي كان يعيش عليها المردة ، ولكل منهم ست أيد ، ولولا حماية بوزيدون لما كان بمقدور الدليون أن يعيشوا آمنين مع جيران كهؤلاء . استقبل الملك كيزيك الأرغونيين بحفاوة ، وأقام لهم مأدبة مرحة ، استمرت يوماً كاملاً . ولم يكد الصباح يتنفس حتى استعد الأرغونيون للسفر . وكانوا قد صعدوا متن «أرغو» حين ظهر المردة بغتة على ساحل الخليج المقابل . راح المردة يلقون في البحر الأحجار الضخمة ، ويقتلعون الصخور الهائلة ، ويضعونها الواحدة فوق الأخرى . لكي يقطعوا على الأرغونيين طريق الخروج من الخليج إلى عرض البحر . تناول هرقل قوسه ، وراح يطلق سهامه القاتلة الواحد تلو الآخر نحو المردة . وانقض الأرغونيون على المردة والرماح في أيديهم ، وهم يهتمون بالتروس . لم تستمر المعركة طويلاً ، فقد سقط المردة الواحد تلو الآخر على الأرض وفي البحر . لقد قتلوا جميعهم ، ولم ينج منهم أحد . استأنف الأرغونيون رحلتهم ، نفخت الريح المؤاتية الشراع ، وظل «أرغو»

يمخر عباب اليم بهدوء طيلة النهار. وحل المساء، ونزل هيلوس، إله الشمس من السماء، ودثر الليل الأرض والسماء بالعتمة، وتغيرت الرياح، فراحت تدفع بـ«أرغو» على أعقابه، نحو تلك الشواطئ، التي غادرها لتوه. ورسا الأرغونيون إلى كيزيك في عتمة الليل. لم يعرفهم سكانها، ظنوا أنهم قراصنة، فأغاروا عليهم وعلى رأسهم ملكهم الشاب. وبدأت معركة ليلية فظيعة. في ظلمة الليل رآج الأبطال يقتتلون مع أصدقاء الأمس. وطعن جازون الملك الشاب كيزيك برمح ثاقب، فوقع هذا على الأرض يثن. لكن هاهي أشعة الفجر إيوس تلون الشرق باللون القرمزي. ويتعرف المقاتلون بعضهم على بعض فيستبد بهم الهول. لقد اقتتل الأصدقاء مع الأصدقاء. وقد بقي الأرغونيون مع سكان كيزيك ثلاثة أيام يقيمون التريزنا^(١١) على أرواح القتلى، وظلوا ثلاثة أيام يندبون الملك الشاب. أما زوجته كليتو الحسناء، ابنة ميروبه، فلم تتحمل موته، فطعنت نفسها بسيف قاطع في صدرها.

الأرغونيون في ميزيا

بعد رحلة قصيرة بلغ الأرغونيون سواحل ميزيا^(١١). وهناك رسوا إلى الساحل، كي يتزودوا بالماء والطعام. أما هرقل الجبار فقد اتجه إلى الغابة المجاورة ليصنع لنفسه مجذافاً جديداً بعد أن انكسر مجذافه. وقد عثر على شجرة آس عالية، فلف ذراعيه القويتين حولها، ثم اقتلعها من جذورها. ألقى هرقل بشجرة الآس على كتفيه، وسار نحو الشاطئ. وفجأة رأى صديقه بوليفيم^(١٢) يجري نحوه، ويخبره بوليفيم أنه سمع للتو صراخ هيلاس^(١٣) الشاب، وهويناديهم. انطلق هرقل يبحث عن هيلاس، لكنه لم يستطع العثور عليه في أي مكان. وتملك الحزن هرقل. واستمر مع بوليفيم في البحث عن هيلاس، لكن عبثاً.

أما الأرغونيون فقد استأنفوا رحلتهم مع شروق نجمة الصبح الساطعة، التي تبشر بقرب حلول الصباح، دون أن يلاحظوا في غبش الشفق غياب هرقل، بوليفيم وهيلاس. ولاتسل عن حزن الأبطال حين حل الصباح واكتشفوا غياب رفاقهم الأماجد.

كان جازون جالساً مطرق الرأس، وكأنه لا يسمع تدمير رفاقه، لكنه لم يلاحظ غياب هرقل وبوليفيم. واقترب تيلامون، صديق هرقل المخلص، من جازون، وقال له لائماً:

- أنت وحدك تجلس هادئاً، بوسعك الآن أن تفرح، فهرقل ليس بيننا، ولم يعد من يستطيع كسف مجدك. كلا لن أرافقكم إن لم تعودا وتعثروا على هرقل وبوليفيم.

اندفع تيلامون نحو الربان تيثيوس، وأراد أن يجبره على العودة بـ«أرغو» على أعقابيه. وعبثاً راح الأخوان بورباد^(١٤) يحاولان تهدئته، فلم يكن تيلامون الغاضب يريد الإصغاء لأحد، وكان يتهم الجميع بترك هرقل وبوليفيم في ميزيا عن عمد. وفجأة ظهر من بين أمواج البحر رأس غلافكوس^(١٥) إله البحر العراف، وقد التفت عليه النباتات المائية. قبض غلافكوس على «أرغو»، وأوقفه قائلاً:

- بمشيئة زوس العظيم، قاذف الصواعق، بقي هرقل وبوليفيم في ميزيا. فعلى هرقل أن يعود إلى اليونان ويجترح اثنتي عشرة مائة عظيمة في خدمة أورستيه. أما بوليفيم فقد كتب عليه أن يؤسس في بلاد الهاليب مدينة كيوس المجيدة. لقد بقي البطلان في ميزيا لأنها يبحثان عن هيلاس الجميل، الذي خطفته الحوريات.

لم يكد غلافكوس ينتهي من كلامه حتى غطس في البحر من جديد، واختفى عن أعين الأرغونيين. أطمأن الأبطال، وتصالح تيلامون مع جازون. وجلس الأبطال خلف

المجاذيف، وانطلق «أرغو» يمزح عباب اليم من جديد، تسوقه تجذيفات الأبطال القوية المتناغمة .

الأرغونيون في فيثينيا^(١٦) :

في صباح اليوم التالي رسا الأرغونيون إلى سواحل فيثينيا . ولم يستقبلوا بالحفاوة، التي استقبلوا بها في كيزيك . كان يقطن سواحل فيثينيا أقوام تعرف باسم البيبريس، يحكمهم الملك أميكوس . وكان هذا الملك يزهبوقوته الحارقة، وقد اشتهر كملاك لا يقهر . فكان يرغب جميع الغرباء على منازلته، ويقتلهم دون رحمة بضربة جبارة من قبضته . استقبل أميكوس الأرغونيين متهكماً ووصف الأبطال العظام بالصعاليك، وتحدى أكثرهم قوة لمنازلته، إذا ما كان أي منهم يتجاسر على اختبار قوته معه . غضب الأبطال، وخرج من بينهم بولوكس، ابن زوس وليدا . وقبل تحدي ملك البيبريس بكل هدوء . كان أميكوس يقف، مثل تيفون الفظيع^(١٧) في ردائه الأسود، والهراوة الضخمة على كتفيه . وبنظرة متجهمة قاس بولوكس، الذي كان يقف أمامه . وهويتألق بجماله، لكأنه نجم ساطع . استعد المقاتلان للمبارزة . وألقى أملكوس على الأرض بسيور^(١٨) الملاكمة . أما بولوكس فرفع أقرب السيور إليه بشكل عشوائي، ثم ربط بها يده . بدأت المعركة . انقض ملك البيبريس على بولوكس كالشور الهائج، لكن بولوكس رد ضرباته بمهارة، دون أن يتراجع خطوة واحدة أمام ضغط أميكوس . توقف القتال لحظة كي يأخذ المتبارزان قسطاً من الراحة . وهامها من جديد يتقاتلان، فتساقط الضربات الواحدة تلو الأخرى . لوح أميكوس بيده، وهم بتوجيه ضربة هائلة إلى رأس بولوكس، لكن البطل الشاب تفادها، وسدد لأميكوس لكمة على أذنه كانت من القوة بحيث حطمت جمجمته .

سقط أميكوس على الأرض ، وأطلق الأرغونيون صيحات الإعجاب والتحية لبولوكس .

ما إن رأى البيبريس ملكهم ميتاً حتى هجموا على بولوكس . وبلكمتين من قبضته طرح أول اثنين أرضاً . امتشق الأرغونيون السلاح ، وانقضوا على البيبريس . وكما الزوبعة راحت هراوة أنكيوس الثقيلة تصفر في صفوف البيبريس ، وواحداً إثر آخر يجندل الأعداء سيف كاستور المتلالي . كان الأبطال يقاتلون كالأسود . وقد لاذ البيبريس بالفرار ، وطاردهم الأبطال طويلاً ، ثم عادوا إلى ساحل البحر ومعهم الكثير من الغنائم . أمضى المنتصرون الليل بطوله يحتفلون على الساحل ، وتردد عالياً نشيد أورفيوس ، نشيد النصر ، وعلى إيقاع القيثارة الذهبية راح يمجد قاهر ملك البيبريس ، الشاب الجميل بولوكس ، ابن زوس ، قاذف الصواعق .

الأرغونيون عند فينيوس (Phinée)

وفي صباح اليوم التالي استأنف الأرغونيون طريقهم البعيدة . ولم يلبثوا أن بلغوا سواحل تراقيا^(١٩) . خرج الأبطال إلى الشاطئ كي يتمنوا . وعلى الشاطئ رأوا منزلاً فاتجهوا نحوه . ومن البيت خرج للقاء الأرغونيين عجوز أعمى ، كان بالكاد يقف على قدميه ، ويرتجف بكل جسمه من شدة ضعفه . لم يكد العجوز يصل عتبة بيته حتى جلس على الأرض منهكاً . ومن كلام العجوز عرف الأرغونيون أنه فينيوس ، ابن أجينور ، ملك تراقيا سابقاً . لكن أبولون عاقب فينيوس لأنه أساء استخدام القدرة على العرافة ، التي وهبها إياها أبولون ، وكشف للناس أسرار زوس . أصاب أبولون فينيوس بالعمى ، أما الآلهة فسلطوا عليه الهاربيات ، أشباه الفتيات ، أشباه الطيور ، اللواتي كن يأتين إلى بيته فيلتهمن كل

مافيه من طعام ، ثم ينشرون في أرجائه رائحة نتنة ، وقد كشف الآلهة لفينيوس أنه لن يستطيع التخلص من هذا العقاب إلا حين يأتيه الأرغونيون وبينهم زيتوس وكالاييس ابنا بورياس ، راح العجوز يتوسل إلى الأبطال أن يخلصوه من محتته ، وإلى ولدي بورياس أن يطردا الهاربيات ، فهو ليس بغريب بالنسبة لهما - كان فينيوس متزوجاً بأختها كليوباترة .

وافق الأبطال على مساعدة فينيوس . وقد أعدوا مائدة عامرة . لكن لم يكد فينيوس يرقد^(٢٠) خلف المائدة ، لكي يسد رمقه حتى حطت الهاربيات ، ودون أن يولين صيحات الأرغونيين أي اهتمام التهمن الطعام كله ، ورحن ينشرون الرائحة النتنة في كل أرجاء البيت . ومن ثم غادرت الهاربيات منزل فينيوس . وانطلق في أثرهن ولدا بورياس على أجنحتها الجبارة . وقد أمضيا فترة طويلة في مطاردة الهاربيات ، إلى أن لحقا بهن قرب جزر بلوتيس . امتشق ابنا بورياس سيفيهما ، وهما بطعن الهاربيات ، لكن فجأة جاءت إيريس^(٢١) ، رسولة الآلهة ، على جناحيها القوس قزحيين ، إنها قادمة من الألب العالي . أوقفت إيريس ابني بورياس وقالت لهما أن الآلهة أمرت الهاربيات بعدم العودة إلى فينيوس لاحقاً . وهكذا طار ولدا بورياس على أعقابهما ، إلى تراقيا .

ومنذ ذلك الحين أصبحت صخور بلوتيس تسمى باسم ستر وفاد^(٢٢) ، أي جزر العودة .

لم تكد الهاربيات ، اللواتي طاردهن ولدا بورياس ، تطرن حتى عمد الأرغونيون إلى إعداد سفرة جديدة لفينيوس ، وتمكن العجوز أخيراً من إخماد جذوة حوجه الرهيب . وفي أثناء تناول الطعام كشف العجوز للأرغونيين المخاطر ، التي سيتعرضون لها في طريقهم إلى كولشيد ، وأسدى لهم النصائح الكفيلة بتدليلها . كما نصحهم فينيوس بأن يستعينوا ، حال وصولهم كولشيد ، بأفروديت الذهبية . لأنها وحدها القادرة على مساعدة جازون في الحصول على الجزة

الذهبية . أصغى الأرغونيون للشيخ العراف بانتباه ، وهم يحاولون أن يحفروا في ذاكرتهم كل ما قال لهم .
لم يلبث ابنا بورياس أن عادا وتحدا عن مطاردتهما للهاريات ، سرفينيوس الكهل أنه تخلص إلى الأبد من ظهور الهاريات .

السبليغادات (٢٣) :

لم يمكث الأبطال عند فينيوس طويلاً . واستأنفوا رحلتهم على عجل . اندفع «أرغو» مسرعاً عبر أمواج البحر . وفجأة سمع ضجيج بعيد أمامهم . كان الضجيج شبيهاً بهدير العاصفة القادمة ، وبين الفينة والأخرى يتخلله ما يشبه هزيم الرعد . وهاقد ظهرت صخور السبليغادات . ورأى الأبطال الصخور وهي تتباعد ، ثم لاتبث أن تتصادم بعضها ببعض بهدير هائل . وكان البحر من حولها يصطخب ، كان الرذاذ يتطاير عالياً عند كل تصادم . وحين كانت الصخور تتباعد من جديد كانت الأمواج تندفع بينها وهي تدور في دوامة مجنونة .
تذكر الأبطال نصيحة فينيوس بأن يطلقوا الحماة أمامهم فإن مرت الحماة بين الصخور فإن «أرغو» سيمر أيضاً بين الصخور سالماً . ضاعف الأرغونيون من تجديفهم . هاهم قد أصبحوا عند الصخور تماماً . اصطدمت الصخور بقوة ، وتباعدت من جديد . أطلق ايفيموس^(٢٤) الحماة ، ومن جديد التصقت الصخور . رشّ الرذاذ المالح الأرغونيين ، وراح «أرغو» يدور بين الأمواج لكأن زوبعة أمسكت به . مرت الحماة بسلام بين الصخور ، ولم تنتزع منها الصخور المتصادمة سوى طرف ذيها . صاح الأرغونيون مسرورين ، فضاغفوا من تجديفهم . تباعدت الصخور . وجاءت موجة عاتية ، فحملت «أرغو» ، وقذفت به عبر المضيق . وجاءت للقاء «أرغو» موجة أخرى ، ردت المركب على أعقابها . وتنحني

المجاذيف، ويصر «أرغو» لكانه يثن من ضغط الأمواج. وهاقد ارتفعت موجة أخرى، عالية كالجبل، وانقضت على «أرغو»، فراح يدور كالسكران، وتقرب الصخور، ولن تلبث أن تتصادم، ويصبح الهلاك لا مفر منه. وحينذاك جاءت أثينا - بالاس لنجدة الأرغونيين. فقد أمسكت بيدها إحدى الصخور، ودفعت بالأخرى «أرغو» بكل قوة، جعلته يندفع مثل السهم عبر المضيق. ولم تحطم السمبليغادات المتصادمة إلا طرف الدفة. ومن جديد تباعدت الصخور، وأصبحت ثابتة إلى الأبد على طرفي المضيق. وتحققت مشيئة القدر بأن السمبليغادات لن تصبح ثابتة إلا بعد أن يمر بينها مركب. والآن أصبح بوسع الأرغونيين أن يكونوا على يقين من أن حملتهم ستنتهي نهاية سعيدة.

جزيرة أريتباد، والوصول إلى كولشيد

أبحر الأرغونيون طويلاً على امتداد سواحل بونت إيفكسين^(٢٥). وقد مروا بالعديد من البلدان، ورأوا الكثير من الشعوب. أخيراً ظهرت جزيرة في البعيد. راح «أرغو» يقترب من الجزيرة بسرعة، وأصبح الشاطئ على بعد قوسين، وفجأة طار من الجزيرة طائر كبير، كان جناحاه يتألآن تحت أشعة الشمس. حلق الطائر فوق «أرغو»، وألقى بريشة على أحد الأبطال - أويليوس. ومثل السهم انغرزت الريشة في كتف أويليوس، فتدفق الدم من الجرح، وسقط المجذاف من يدي البطل الجريح. استأصل رفاق أويليوس الريشة من الجرح، راح الأرغونيون ينظرون إلى الريشة بدهشة فرأوا أنها نحاسية وحادة كالسهم. وها قد حلق طائر آخر فوق الجزيرة، وانطلق باتجاه «أرغو»، لكن كليتيه كان له بالمرصاد والقوس في يديه. فلم يكد الطائر يقترب من «أرغو» حتى أطلق كليتيه سهمه، فسقط الطائر ميتاً في البحر. ما إن رأى الأرغونيون هذا الطائر، المغطى بالريش النحاسي حتى

أدركوا أنها طيور الستيمفاليد، وأن هذه الجزيرة، التي تقطنها هذه الطيور، هي جزيرة أريتياد. نصح أمفيدامنت الأبطال بارتداء الدروع والاحتفاء بالتروس. وقبل الرسو إلى الشاطئ، راح الأرغونيون يصرخون، ويقرعون التروس بالرمح والسيوف. فحلقت الطيور سرباً هائلاً فوق الجزيرة، ثم طارت عالياً فوق «أرغو»، وانهمر فوق الأبطال مطر من الريش - السهام. لكن التروس حماتهم من خطرهما. أما الطيور فبعد أن رسمت دائرة فوق «أرغو»، اختفت في البعيد خلف الأفق.

نزل الأرغونيون إلى الشاطئ، وهموا بأخذ قسط من الراحة، لكنهم رأوا أربعة شبان يتجهون ناحيتهم. كان الفتيان في غاية الهزال، وكانت ثيابهم معلقة عليهم أسماً لرثة، وهي بالكاد تستر أجسادهم. إنهم أولاد فريكوس. وكانوا غادروا كولشيد، عائدين إلى أورشومين، لكن سفينتهم تحطمت في ليلة عاصفة، ولحسن حظهم أن الأمواج قذفت بهم إلى أريتياد، حيث عثر عليهم الأرغونيون. سر الأبطال بهذا اللقاء، وكان جازون أكثرهم سروراً، فالفتيان كانوا أقرباء له. أطعم الأرغونيون الفتيان، وأعطوهم لباساً جديداً، وأخبروهم أنهم في طريقهم إلى مملكة آييتيس لجلب الجزة الذهبية. وعد أرغوس - أكبر الفتيان - بتقديم المساعدة للأرغونيين. وحذرهم من أن الملك آييتيس جبار وظالم، لا يرحم أحداً. لكن أي شيء لم يكن بقادر على منع الأرغونيين من التصميم على الحصول على الجزة الذهبية.

في صباح اليوم التالي استأنف الأرغونيون رحلتهم. وقد أبحروا طويلاً، أخيراً ازورقت في البعيد ذرى القوقاز، كالسحب المتجمعة في الأفق. والآن لم تعد كولشيد بعيدة.

كان «أرغو» ينطلق بسرعة تدفعه ضربات المجاذيف المنتظمة. وها قد بدأت الشمس تختفي، وهي تنزل إلى البحر، وجرت ظلال المساء عبر الأمواج.

وعالياً فوق «أرغو» تردد خفق الأجنحة . إنه النسر العملاق ، الذي كان يطير قاصداً الصخرة ، التي قيّد إليه المارد بروميثيوس ، وقد هبت الريح فوق البحر بسبب خفق جناحي النسراهلثين . اختفى النسرفى البعيد ، وتناهى إلى سمع الأرغونيين أنين بروميثيوس الثقيل والحزين . أصبح الشاطيء قريباً جداً . وهاهومصب نهر فازيس . وبمساعدة المجاذيف سعد الأرغونيون عبر مجرى النهر ، ثم ألقوا المرساة فى خليجه الملىء بالقصب الكثيف . أدى جازون صلاة الشكر للآلهة ، ودعا آلهة كولشيد وأرواح الأبطال الموتى إلى مساعده فى قضيته الخطيرة . استسلم الأبطال على «أرغو» للنوم . فقد بلغوا هدفهم ، ووصلوا كولشيد ، عاصمة الملك آرييتيس . لكن الكثير من الأخطار كانت بانتظارهم .

هيرا وأثينا عند أفروديت :

حين وصل الأرغونيون إلى كولشيد بدأت الربتان هيرا وأثينا تتشاوران ، حول كيفية مساعدة جازون فى الحصول على الجزة الذهبية . جاءت الربتان كلتاهما إلى أفروديت ، فوجدتاها وحيدة فى البيت . كانت أفروديت جالسة على عرش ذهبى فاخر ، تسرح شعرها الكثيف بمشط ذهبى . ولم تكذ أفروديت ترى الربتين داخلتين عليها حتى نهضت لاستقبالهما ، وراحت ترحب بهما بلطف . وسألتهما ربة الحب عن سبب قدمهما ، بعد أن أجلستهما فى مقعدين ذهبيين من صنع هيبايستوس . فحدثتها الربتان عن نيتهما فى مساعدة البطل جازون ، وطلبتا منها أن تأمر إيروس أن يصيب بسهمه قلب ميديا . وافقت أفروديت ، وراحت تبحث عن ولدها الكثير الشيطنة ، وفى هذا الوقت كان إيروس يلعب بالعظام مع غانيميد . تغلب إيروس المحتال على غانيميد البسيط ،

وراح يضحك منه بصوت عال . وفي هذا الوقت دنت منها أفروديت ، وقد عانقت ولدها وقالت له :

- اسمع يا شيطان ! . أريد أن أكلفك بمهمة . خذ بسرعة قوسك وسهامك ، وانطلق إلى الأرض . وهناك في كولشيد أصب بسهمك قلب ميديا . ابنة الملك آييتيس ، دعها تحب البطل جازون . وإذا ما نفذت طلبي هذا أهديتك تلك اللعبة ، التي سبق أن صنعها أدراستيه لزوس حين كان صغيراً . لكن هيا وانطلق الآن ، فيجب أن يتم ذلك بأسرع وقت .

طلب إيروس من أمه أن تعطيه اللعبة حالاً ، لكن أمه كانت تعرف دهاءه ، فلم توافق على إعطائه اللعبة قبل أن ينفذ المهمة التي كلفته بها . وإذا اقتنع إيروس أنه لن يحصل على أي شيء من أمه تناول على عجل قوسه وسهامه ، وانطلق على عجل من على الأولب العالي إلى كولشيد ، وجناحاه الذهبيان يتلألآن تحت أشعة الشمس .

جازون عند آييتيس :

استيقظ الأرغونيون في الصباح الباكر، وقرروا في اجتماعهم أن على جازون أن يذهب برفقة أبناء فريكوس إلى الملك آييتيس ، ويرجوه أن يعطي الجزة للأرغونيين . ولن يلجأوا إلى استخدام القوة إلا في حال رفض الملك المغرور طلبهم .

اتجه جازون إلى قصر الملك ، حاملاً عصا السلام . وقد عمدت الربة هيرا إلى حجب جازون ورفاقه بغيمة كثيفة ، كي لا يوجه سكان كولشيد الإهانة للأبطال . وحين اقترب الأبطال من القصر تلاشت الغيمة ، كان قصر آييتيس في غاية الفخامة . وكانت أسواره عاليةً ، وله الكثير من الأبراج . وإلى القصر كانت

تقود بوابة عريضة، مزدانة بالمرمر. وكانت صفوف الأعمدة البيضاء تسطع في الشمس مكونة منظراً رائعاً.

كل هذا الأثاث الفاخر صنعه هيبايستوس للملك آييتيس كتعبير عن امتنانه لاله الشمس هيليوس، والد آييتيس، لأنه نقله وقد أضناه القتال ضد المردة من حقول فليفريا^(٢١) في مركبته الذهبية. كان القصر يضم الكثير من الأجنحة، وكان الملك وزوجته يعيشان في أفخمها، وفي جناح آخر كان يعيش ولده أبسرتوس، الذي لقبه الكولشيديون بأبسرتوس فائتون (المثاقق) لشدة جماله. وفي أجنحة القصر الأخرى كانت تعيش هاليكوب، ابنة إيتيس ووالدة فريكوس الراحل، وابنته الصغرى ميديا، الساحرة العظيمة وصيفة الرببة هيكات^(٢٢).

حين دخل جازون مع رفاقه الباحة، التي تقود إلى جناح آييتيس خرجت ميديا من جناحها. كانت في طريقها لزيارة هاليكوب. وصرخت ميديا من فرط الدهشة إذ رأت الغرباء. وعلى صراخها خرجت هاليكوب فرأت أبناءها. جرت هاليكوب نحوهم وهي سعيدة بعودتهم. وخرج آييتيس ليرى سبب هذه الضجة. دعا الغرباء إلى قصره، وأمر الخدم بإحياء وليمة فاخرة. وفي الوقت الذي كان فيه جازون يتبادل التحيات مع آييتيس نزل إيروس من على الأوب العالي على جناحه الذهبي. اختبأ إيروس خلف العمود، ثم شد وتر قوسه، وأخرج سهمه الذهبي. ومن ثم وقف إيروس، دون أن يراه أحد، خلف جازون، وأطلق سهمه في قلب ميديا مباشرة. أصاب السهم فؤادها، وشعرت فوراً بحب جازون.

دخل جازون مع رفاقه قصر آييتيس. وهناك دعاهم ملك كولشيد إلى مائدة عامرة. وفي أثناء المأدبة راح أرغوس يروي لآييتيس كيف تحطمت سفينتهم، وكيف قذفت بهم الأمواج العاتية إلى جزيرة أريتياد، ثم كيف عثر عليهم الأرغونيون هناك، وهم يشرفون على الموت جوعاً. كما أخبره أرغوس عن سبب قدوم جازون والأبطال إلى كولشيد. لم يكذ آييتيس يسمع أن جازون يريد

الحصول على الجزة الذهبية حتى قدحت عيناه شرراً من فرط غضبه . لكن آييتيس لا يصدق أن الأبطال جاءوا في طلب الجزة الذهبية . كان يتساءل : ترى ألا ينوي أبناء فريكوس السيطرة على كولشيد بأسرها ، فجاءوا بأبطال الاغريق لهذا الغرض؟ و يروح آييتيس يوبخ جازون ، إنه يريد طرده من القصر، ويهدده بالإعدام . وهم تيلامون بصب جام غضبه على الملك ، رداً على تهديداته ، لكن جازون أوقفه . وراح يحاول طمأنة آييتيس ، ويؤكد له أنهم لم يأتوا كولشيد إلا من أجل الجزة ، ويعد الملك بأن يقدم له الخدمة التي يريد ، وينفذ المهمة التي يكلفه بها ، مهما كانت ، إذا ما كافأه الملك على ذلك بالجزة الذهبية . وفكر آييتيس ملياً . ثم قال أخيراً ، وفي نيته القضاء على جازون :

- حسناً ، سوف تحصل على الجزة ، لكن عليك قبل ذلك أن تنفذ مهمتي التالية : احرق الحقل المنذور لأريس ، بمحراثي الحديدي ، واربط إلى المحراث الثورين نافثي اللهب وقوائمها من النحاس ، وازرع هذا الحقل بأنياب التنين ، وحين ينبت من أنياب التنين المحاربون المدرعون قاتلهم واقتلهم . ولسوف تحصل على الجزة إذا ما نفذت ذلك .

لم يرد جازون على آييتيس فوراً ، لكنه تمتم أخيراً :

- إنني موافق يا آييتيس ، لكن يجب أن تنفذ وعدك ، فأنت تعرف أنني لا أستطيع رفض تنفيذ المهمة التي تكلفني بها ، مادمت قد جئت إلى هنا ، إلى كولشيد بإرادة القدر .

ما إن قال جازون ذلك حتى غادر مع رفاقه .

الأرغونيون يطلبون المساعدة من ميديا :

بعد عودته إلى «أرغو» أخبر جازون رفاقه بما جرى في قصر آييتيس وبأي

مهمة كلفه الملك . وغرق الأرغونيون في التفكير ، ماذا يفعلون ، وكيف لهم بتنفيذ مهمة آييتيس؟ أخيراً قال أرغوس :

- أيها الأصدقاء إن ميديا ابنة آييتيس تعيش في القصر . وهي ساحرة عظيمة ، وهي وحدها القادرة على مساعدتكم . وسوف أطلب من والدتي أن تقنع ميديا بإسداء العون لنا . وإذا ما ساعدتنا ميديا فإن كل المخاطر ستهون علينا . لم يكذ أرغوس ينتهي من كلامه حتى طارت فوق «أرغو» حمامة بيضاء ، يتعقبها صقر . حطت الحمامة عند جازون ، ثم اختبأت في طيات رده ، أما الصقر فقد سقط على «أرغو» .

وصاح العراف موبسوس^(٢٨) :

- هذه إشارة فال حسن من الآلهة . إن الآلهة أنفسهم يأمرونا بطلب المساعدة من ميديا . انظروا إن هذا الطائر المنذور لأفروديت قد كتبت له النجاة على صدر جازون . تذكروا مقاله فينيوس . ألم ينصحننا بطلب المعونة من أفروديت؟ فليذهب أرغوس إلى أمه على عجل ، وسوف تقنع ميديا بمديد العون لنا . أصغى الأرغونيون لكلام العراف موبسوس ، وعملوا به : فقد قدموا قرباناً لأفروديت ، بينما أسرع أرغوس إلى قصر آييتيس ، حيث والدته .

وفي هذا الوقت استنفر إيتيس جميع الكولشيديين . وقد أخبر الشعب بقدم الأوغونيين ، وأوعز بحراسة «أرغو» كي لا يتمكن أي من الغرباء من الهرب والنجاة بجلده . كان آييتيس قد قرر إحراق «أرغو» وجميع من عليه من الأبطال ، بعد أن يهلك جازون في الحقل المنذور لأريس . أما أولاد فريكوس فقد قرروا أن ينزل بهم الاعداد المضني .

حل الليل . وخيم الهدوء في كل مكان ، إلا في مخدع ميديا . ففوق رأسها كانت تحوم الأحلام بأعداد كبيرة ، وكل منها أفظع من الآخر وأشد هولاً . تارة ترى ميديا أن جازون يقاتل الثيران ، أما مكافأة تغلبه عليها فستكون ميديا نفسها .

وتارة ترى أنها تقاتل الثيران، قاذفة اللهب، وتتغلب عليها بسهولة، وأخرى ترى أن والديها يرفضان تزويجها من جازون: فليس هو من تغلب على الثيران. ويشب الخلاف بين جازون وآييتيس وعلى ميديا نفسها أن تفض هذا الخلاف. وحين فضته لصالح جازون أثارت غضب أبيها، الذي صرخ فيها بشكل فظيع. استيقظت ميديا غارقة في الدموع، وتريد أن تجري إلى هاليكوب، لكنها تخجل من ذلك. ثلاث مرات أمسكت قبضة الباب، لكنها في كل مرة كانت تعود على أعقابها. وقعت ميديا على سريرها، وأجهشت بالبكاء. سمعت إحدى جوارى ميديا سيدتها تبكي فأخبرت هاليكوب بذلك. وتسرع هاليكوب إلى أختها فتجدها في سريرها تنتحب.

وتقول هاليكوب لها:

- مابالك تبكين يا أختاه؟ هل تذرفين الدمع على مصير أولادي ياترى؟ هل نبا إليك أن والدنا يريد القضاء عليهم؟ فأجابت ميديا أختها بقولها:

- لقد روادتني أحلام فظيعة يا أختي. إن الهلاك يهدد أولادك وذلك الغريب، الذي عادوا برفقته. آه لو أن الآلهة يعطونني القوة لمساعدتهم.

اقشعر بدن هاليكوب رعباً وهي تسمع كلام ميديا، ثم عانقتها، وراحت تتوسل إليها أن تساعدهم. فهاليكوب تعرف أن ميديا قادرة على مساعدة جازون. وقالت ميديا لهاليكوب:

- اسمعي يا أختاه، سوف أساعد الغريب. فليأت صباحاً إلى معبد هيكات، ولسوف أعطيه تعويذة تساعده في اجتراح المأثرة. لكن عديني أن تبقي كل شيء طي الكتمان، وإلا فإن والدي سيقضي علينا جميعاً.

انصرفت هاليكوب، وبقيت ميديا لوحدها. كانت المشاعر المتناقضة تتصارع في صدرها. تارة تخاف أن تخرج على إرادة أبيها، وأخرى تعقد العزم

على مساعدة جازون، الذي أحبته. حتى أنها أرادت أن تنتحر. فقد أخذت علبة السم، وفتحتها، لكن الربة هيرا أثارت لديها التعطش الجامح للحياة. فدفعت ميديا بعلبة السم بعيداً، ونسيت كل شكوكها، ولم تعد تفكر إلا بجازون وحده، وقررت أن تساعد.

مع إطلالة الفجر واصطبغ ذرى القوقاس الثلجية البعيدة باللون الوردى، جاء أرغوس إلى الأرغونيين، وأخبرهم أن ميديا وافقت على مساعدة جازون، وتطلب منه القدوم إلى معبد هيكات. وحين أشرقت الشمس ذهب جازون برفقة أرغوس إلى العراف موبسوس في معبد هيكات. وكانت الربة هيرا قد جعلت جازون جميلاً لدرجة أن الأرغونيين أنفسهم راحوا يتأملونه بإعجاب.

نهضت ميديا في الصباح الباكر، وأخرجت علبة المراهم السحرية، وأخذت منها مرهماً، يعرف باسم «زيت بروميثيوس». لقد صنع هذا المرهم من عصير جذور النباتات، التي نبتت من دم بروميثيوس. وكان كل من يطلي جسمه بهذا المرهم يصبح محصناً ضد الحديد والنحاس والنار. كما كان يكتسب قوة لاتقهر، ويبقى طيلة اليوم محتفظاً بمفعوله. لقد قررت ميديا إعطاء هذا المرهم لجازون. نادت ميديا جواريتها، ثم انطلقت إلى معبد هيكات. كانت ميديا تشعر بقلبها يرقص فرحاً، وقد نسيت كل مخاوفها، ولم تعد تفكر إلا بلقاء جازون.

ها هو معبد هيكات. دخلت ميديا المعبد. ولم يلبث أن جاء جازون، ولم تكد ميديا تنظر إليه حتى ازدادت ضربات قلبها شدة في صدرها.

وقف جازون وميديا صامتين لفترة طويلة، إلى أن قطع البطل حبل الصمت أخيراً. فقد تناول ميديا من يدها وقال:

- مابالك أيتها العذراء الجميلة أطرقت بلحاظك إلى الأرض؟ مابالك تخافين مني؟ هل يعقل أنك تعتقدين أنني أخفي نية سيئة؟ كلا إنني لم آت إلى هنا بنية سيئة. بل جئت أتوسل إليك أن تساعدني. لكن أرجوك أن تقولي لي

الصدق، وتذكري أن هيكات لن تصبر على الكذب في معبدها، كما لن يصبر عليه زوس، حامى كل من يطلب المساعدة. اخبريني: هل ستمدين لي يد المساعدة؟ إن كان نعم فليسوف يمجدا اسمك في اليونان كلها الأبطال العظام، الذين جاؤوا معي إلى هنا، إلى كولشييد. تذكري كم كانت عظيمة شهرة أريادنا، ابنة مينوس، التي ساعدت تيسيوس العظيم.

لم تحر ميديا جواباً، فقط راحت تنظر إلى جازون بعينين مفعمتين بالحب. لكم كانت رائعة في حياتها. ويبد مرتجفة أخرجت ميديا المرهم السحري من تحت نطاقها، وناولته لجازون، وقالت له بصوت بالكاد يسمع:

- اسمع يا جازون، سوف أخبرك كيف ستكون مساعدتي: تطهر في النهر ليلاً. وأنت في ثوب أسود، ثم احفر حفرة عميقة على الشاطئ، ثم قدم فوق الحفرة نعجة سوداء قرباناً لهيكات، بعد أن تبللها بالعسل. وبعد ذلك اذهب إلى المركب، لكن إياك أن تلتفت. ولسوف تسمع الأصوات ونباح الكلاب القوي، لكن تابع تقدمك ولا تخف. وحين يحل الصباح اطل جسمك، رحك وترسك وسيفك بهذا المرهم. ولسوف يعطيك المرهم قوة لاتقهر، وتنفذ المهمة التي كلفك بها آييتيس، لكن تذكر: حين ينبت المحاربون من الأرض ارم عليهم حجراً، وحينذاك سيقتتلون فيما بينهم، فاهجم عليهم. خذ المرهم فلسوف تحصل على الجزة بفضله. واحمل الجزة عند ذاك إلى حيث تريد.

لاذت ميديا بالصمت، وحطت غشاوة الحزن على عينيها من مجرد التفكير بفراق جازون. كانت ميديا تقف مطرقة الرأس، حزينة، وتمتمت أخيراً:

- سوف تسافرياجازون إلى وطنك، لكن لاتنساقى، وتذكر ميديا بين الفينة والأخرى: فلقد أنقذتك.

وسألت ميديا جازون عن أصله. فحدثها جازون عن إيولكس، وعن الوادي المزهر، الذي تقع فيه. ودعا ميديا للسفر معه إلى اليونان، واعدأ إياها

بالاحترام الكبير، وأن الشعب في إيولكس سيعبدها، كما تعبد الربات .

وصاح جازون :

- آه لو أن آييتيس يوافق على عقد حلف صداقة معي ! لو أنه يتركك تذهبن معي إلى وطني .

وقالت ميديا، وهي تنهد بحزن وأسى :

- كلا، لن يحدث هذا، فوالسدي قاسٍ صارم . عد إلى بلادك بمفردك، لكن لاتنسائي . أوه لكم سأكون سعيدة لو أن الريح العتية تحملني على أجنحتها إلى إيولكس لكي أذكرك بي، حين تنسائي، حين تنسى أنني أنقذتك .

اغرورقت عينا ميديا بالدموع . وينظر جازون إليها فيشعر بالحب نحوها يسيطر عليه . ويروح يتوسل إليها أن تغادر منزل أبيها خفية وتهرب معه إلى إيولكس . إن ميديا مستعدة لمغادرة كولشيد، ففراق جازون يثير خوفها، إنها تخشى أن لاتستطيع تحمل هذا الفراق . وتبكي ميديا من مجرد التفكير بفراق جازون، وأوحت لها هيرا بالرغبة في أن تقتفي أثره حيثما يذهب . كانت هيرا تريد أن تذهب ميديا إلى إيولكس : فقد قررت الربة أن تستعين بها في القضاء على بيلياس، الذي تكره .

ودعت ميديا جازون، وقد وعد بالعودة إلى معبد هيكات، لكي يلتقي بها من جديد، ويقررا ماذا يعملان . وعادت ميديا إلى البيت في مركبتها مرحة : كانت تعرف أن جازون يحبها .

جازون ينفذ مهمة إيتيس :

مع حلول الليل ذهب جازون إلى ضفة فازيس، في ثوبه الأسود، وهناك استحم في منتصف الليل الساكن في مياهه السريعة . ومن ثم حفر حفرة عميقة،

وقدم فوقها، كما أمرت ميديا، قرباناً لهيكات. وما إن تم تقديم القربان حتى
مادت الأرض، وظهرت الربة هيكات وفي يديها مشعلان يدخان. كانت
الوحوش المخيفة والتنينات قاذفة النار تحيط بهيكات، وكانت الكلاب الجهنمية
الفظيعة تنبح وتعوي من حولها. وجرت الحوريات من المناطق المجاورة، إذ رأين
هيكات، وهن يطلقن الصراخ القوي. تملك جازون الفزع، لكنه تذكر كلمات
ميديا، فسار- دون أن يلتفت - باتجاه «أرغو» حيث كان أصدقاؤه بانتظاره.

ومع انبلاج الصباح أرسل الأروغونيون تيلامون وميلياغروس إلى إيتيس
لجلب أسنان التنين. فأعطاهم إيتيس أسنان التنين، الذي قتله قدموس، وراح
يستعد للذهاب إلى حقل آريس، لكي يشاهد جازون وهو ينفذ المهمة، التي
كلفه بها. ارتدى جازون الدروع، وغطى رأسه بالخوذة، الساطعة كالشمس،
وأخذ في يديه الرمح والترس، الثقيلين اللذين لا يقدر على حملهما إلا هرقل، ثم
ركب المركبة، التي يقودها ولده أيسيرتوس. وبدورهم كان الأروغونيون قد استعدوا
للذهاب إلى حقل آريس. طلى جازون الرمح والسيف والترس بالمرهم
السحري، ومن ثم طلى جسمه به. وقد شعر بقوة هائلة في جسمه كله. لكأن
عضلاته أصبحت حديدية. وحين وصل الأروغونيون على مركبهم السريع،
«أرغو» إلى حقل آريس كان إيتيس بانتظارهم، وفي كل مكان كانت الحقول على
سفوح الجبال تغص بالكولشيديين.

نزل جازون إلى الشاطئ، وهو يتلأأ بدروعه مثل النجم الساطع. وفي
الحقل عشر على المحراث الحديدي والنير النحاسي، وراح يبحث عن الثورين
نافثي النار، محتمياً بالترس. وفجأة وثب كلا الثورين من المغارة، وانقضا على
البطل بخوار مجنون. كانت ألسنة اللهب تتطاير من شديهما. وراح البطل
ينتظرهما محتمياً بالترس. انقض الثوران عليه، وضربا الترس بقرونها بقوة هائلة.
ولم يكن بمقدور أي إنسان تحمل مثل هذه الضربة، لكن جازون ظل ثابتاً

كالطود. وعاود الثوران الكرة مرة ثانية فثالثة، وهما يخوران. ويشيران أعمدة الغبار. لكن جازون قبض بيديه الجبارتين على الثورين من قرونها، وجرهما إلى حيث المحراث. ويحاول الثوران التملص، ويصبان النار على جازون، لكنه ظل سليماً معافى، ولا يستطيع الثوران المجنونان من يديه فكاًكاً. ربطهما جازون إلى المحراث بمساعدة كاستور وبولوكس. راح جازون يسوق الثورين برمحه، إلى أن انتهى من حراثة حقل آريس، وزرعه بأسنان التين. وبعد إنجاز عملية البذار فك جازون الثورين، وصاح بهما صيحة مرعبة، ثم ضربهما برمحه. وانطلق الثوران، كأنهما مسعوران. ثم اختفيا داخل المغارة العميقة. والآن كان لا بد من انتظار نمو المحاربين في الحقل. ذهب جازون إلى ضفة فازيس، وغرف الماء بخوذته، ثم روى غليله.

لكن استراحة جازون لم تستمر طويلاً. فمن الأرض ظهرت في الحقل أسنة الرماح، رمحاً إثر آخر، إلى أن بدا الحقل وكأنه قد التحف غطاء نحاسياً. ومادت الأرض، وظهرت على سطحها خوذات المحاربين ورؤوسهم. وهاقد تغطى الحقل كله بالمحاربين في دروع ساطعة. وهنا تذكر جازون وصية ميديا، فتناول حجراً كبيراً، يعجز عن تحريكه أربعة من أقوى الأبطال، لكن جازون رفعه بيد واحدة، وقذف به بعيداً في وسط المحاربين، الذين أنجبتهم الأرض من أسنان التين. امتشق المحاربون أسلحتهم، وبدأت بينهم معركة طاحنة. وانقض جازون على المحاربين، وراح يطعن فيهم ذات اليمين وذات الشمال، ولم يلبث الحقل كله أن تغطى بجثث المحاربين، ولم يبق منهم واحد حياً، كلهم سقطوا بيدي جازون الجبارتين، فغطوا الحقل كله، مثل سنابل القمح، التي حصدها منجل قاطع.

كان إيتيس ينظر ذاهلاً إلى جازون، وهو في دهشة من قوته الخارقة. قطب الملك حاجبيه، وراحت عيناه تقدحان شرراً من شدة الغضب. ودون أن ينبس

بينت شفة انطلق على مركبته قاصداً المدينة، وليس في ذهنه إلا فكرة واحدة - كيف له بالقضاء على الغريب الفاتن. أما جازون فقد عاد إلى «أرغو» يرتاح بين أصدقائه، الذين راحوا يمجدون مآثرته العظيمة.

ميديا تساعد جازون في سرقة الجزة الذهبية :

بعد عودته إلى القصر عقد إيتيس اجتماعاً ضم كبار أعيان كولشيد. واستمر اجتماعهم إلى ما بعد منتصف الليل بكثير، وهم يتشاورون حول كيفية القضاء على الأرغونيين. كان آيتيس قد أدرك أن جازون لم يكن ليستطيع تنفيذ المهمة لولا مساعدة ميديا له. وشعرت ميديا أن الخطر الكبير يتهددها هي وجازون. وهرب النوم من عينيها. وفي ظلمة الليل نهضت من سريرها، ثم غادرت قصر إيتيس بهدوء، سالكة دروباً، لا يعرفها أحد غيرها، نحو ضفة فازيس، إلى هناك حيث النار الساطعة، التي أوقدها الأرغونيون. وإذ دنت من النار نادى جازون وفرونتيسوس، ابن فريكوس الأصغر، وحدثت جازون بالهواجس السوداء التي تقض مضجعها، وأقنعتته بأن يذهب معها على جناح السرعة لأخذ الجزة. ارتدى جازون دروعه، وسار إلى خميلة آريس المقدسة. كان الظلام يخيم على كل شيء في الجوار، فقط في الخميلة كانت الجزة تتألق كما الذهب، وهي تتدلى من على الشجرة المقدسة. لم يكد جازون وميديا يدخلان الخميلة حتى هاجمها تين هائل، وهو يقذف اللهب. ونادت ميديا هيبنوس، إله النوم العظيم، وراحت تهمس بتعاويد مخيفة، وتصب على الأرض عقارات سحرية. ويسقط التين على الأرض، ثم يرفع رأسه الخائر، لكن ميديا رشتته بعقار منوم، فينطبق فكه، وتغمض عيناه الناريتان، ويخلد إلى النوم، متمدداً قرب الشجرة، التي علقت الجزة عليها. ويسحب جازون الجزة، إنه يريد العودة إلى «أرغو» على جناح السرعة.

تحلق الأبطال من حول جازون وميديا، وراحوا يتأملون الجزة الذهبية، ذاهلين . لكن كان لابد من مغادرة كولشيدي قبل أن يعرف إيتيس بسرقة الجزة . قطع جازون الحبال، التي ربط بها «أرغو» إلى الضفة، وأمسك الأبطال بالمجاديف، ومثل السهم انطلق، «أرغو» عبر مياه فازيس، نحو الأسفل، باتجاه البحر. وهاموذا البحر. ويضاعف الأبطال. تجذيفهم، وكما الطائر يندفع «أرغو» عبر الأمواج، مبتعداً أكثر فأكثر عن كولشيدي.

وفي الصباح الباكر عرف إيتيس بسرقة الجزة الذهبية، وبهرب ميديا برفقة الأرغونيين. ولا تسل عن غضبه. وقد استدعى الكولشيديين إلى ساحل البحر. لكن «أرغو» كان بعيداً، ولم يعد مرئياً بين أمواج البحر. وأصدر إيتيس أوامره بالمطاردة، ويهدد الكولشيديين بالموت إن لم يلحقوا بالأرغونيين. أنزل الكولشيديون مراكبهم، وانطلقوا لمطاردة الأرغونيين وعلى رأسهم أبسيرتوس، ابن إيتيس.

عودة الأرغونيين :

مع خروج «أرغو» إلى عرض البحر هبت ريح مواتية. فحل الأبطال الأشرعة، وانطلق «أرغو» بسرعة يمخر عباب بونتس ايفكسين. ظل الأبطال مبحرين ثلاثة أيام، وأخيراً ظهرت سواحل سيثيا. قرر الأرغونيون الإبحار نحو الأعلى عبر نهر إيستر، لكي ينزلوا فيها بعد عبر أحد فروعها إلى البحر الأدرياتيكي^(٢٩). حين بلغ الأرغونيون مصب نهر إيستر رأوا أن كل المصب وكل الجزر مغطاة بجيوش الكولشيديين، وصلوا إلى هناك سالكين الطريق الأقصر. وإذا رأى الأرغونيون جيش الكولشيديين العرمرم اقتنعوا أنهم غير قادرين على التغلب عليهم، فقد كان عددهم ضئيلاً جداً، لا يسمح لهم بخوض القتال ضد

آلاف الكولشيديين الأشاوس، ذوي التسليح الرائع. وقرر الأرغونيون اللجوء إلى الحيلة. فبدأوا المفاوضات مع أبسيرتوس، قائد القوات المعادية، ووعدوه بسجن ميديا في المعبد، وتسليمها في حال قرر ملك المدينة المجاورة أن على ميديا أن تعود إلى كولشيد، أما الجزة الذهبية فكان يجب أن تبقى مع الأرغونيين لأن جازون قد نفذ المهمة، التي وعده إيتيس بالجزة مقابل تنفيذها. لكن كل هذه المفاوضات لم تجر إلا من أجل كسب الوقت. أما ميديا فقد وعدت جازون بأن تستدرج أبسيرتوس إلى المعبد في إحدى الجزر.

أرسل جازون إلى أبسيرتوس بالهدايا الثمينة، وكأشها من ميديا، طالباً منه القدوم إلى المعبد المنفرد، لكي يلتقي هناك بميديا. وجاء أبسيرتوس إلى المعبد، لكنه لم يكذب يظهر في بوابة المعبد حتى انقض جازون عليه، وجندله بسيفه. لقد ارتكب جازون وميديا جريمة نكراء: فقد قتل أبسيرتوس الأعزل في المعبد. ورمى جازون جثة أبسيرتوس في إيستر. واستبد بالكولشيديين الرعب حين عرفوا بموت قائدهم. أما الأرغونيون فقد أبحروا على عجل نحو أعالي إيستر.

استمرت رحلة الأرغونيين طويلاً، إلى أن نزلوا أخيراً عبر فرع إيستر إلى البحر الأدرياتيكي وشواطئ ايليريا. وهناك هبت عليهم عاصفة هوجاء. كانت الأمواج المغطاة بالزبد ترتفع عالياً كالجبال، أما الرياح فكانت تبدو وكأنها أفلتت من عقابها، وراحت تدوم فوق البحر، وتمزق شراع «أرغو». كان الهلاك يتهدد الأرغونيين، وحينذاك تردد صوت من المؤخرة. وكان مصدره قطعة البلوط المقدسة، النامية في دودون، والتي وضعها الأرغونيون في مؤخرة مركبهم. كان الصوت يأمر الأرغونيين بالتوجه إلى الساحرة كيركة^(٣٠)، لكي تطهر جازون وميديا من أدران جريمة قتل أبسيرتوس. ولم يكذب الأبطال يديزون، «أرغو» نحو الشمال حتى هدأت العاصفة، أدرك الجميع أن تلك كانت مشيئة الآلهة.

وصل الأرغونيون إلى جزيرة كيركة (أخت إيتيس) السحرية. طهرت

كيركة جازون وميديا من رجس جريمة القتل . فقد قدمت قرباناً لزوس ، وصبت دم القربان على يدي جازون ، وراحت تتوسل - عند المذبح - للايرينات^(٣١) أن لايسلطن سخطنهن على القاتلين . ولم ترفض كيركة طلب ميديا في التطهر من الجريمة الفظيعة ، لأن الساحرة عرفت من بريق عيني ميديا أنها مثلها تتحدر من صلب هيلوس إله الشمس .

استأنف الأرغونيون طريقهم ، وواجهوا الكثير من المخاطر، لكنهم ذللوها كلها . فقد مروا بين سيلا وخارييدس^(٣٢) ، حيث كان الهلاك سيحقيق بهم حتماً لولا أن هيرا ، زوجة زوس ، أنجدهم . كما مروا بجزيرة السيرينات^(٣٣) ، وسمعوا غناءهن الجذاب ، الذي راح يجذبهم نحو السيرينات بقوة لا تقاوم . لكن المغني أورفيوس راح يداعب أوتار قيثارته الذهبية فتغلب إنشاده على لواحظ السيرينات . أخيراً وصل الأرغونيون إلى ممرضيق ، ترتفع من فوقه الصخور الهائلة على شكل قنطرة . كان البحر يصطخب بين الصخور ، وتحت القنطرة كانت الأمواج تتلاطم وتدور في دوامة فظيعة ، وترتفع أحياناً حتى تصل إلى أعلاها . حتى الحمام الذي يجلب الأمير وزيا لزوس لم يكن يمر سالماً تحت هذه القنطرة . وفي كل يوم كانت تموت حمامة من هذا الحمام . وحتى هنا ساعدت هيرا الأرغونيين . فقد طلبت من أمفيتريت^(٣٤) أن تكبح جماح الأمواج عند البلانكات ، فمر بها الأرغونيون بسلام .

بعد رحلة طويلة وصل الأرغونيون جزيرة الفياسيين^(٣٥) . وهناك استقبلهم الملك الكينووس (Alcinoo) بكل حفاوة ، وكان بوسعهم أن يرتاحوا من وعناء السفر ، لكنهم لم يمكثوا يوماً واحداً عند الفياسيين حتى ظهر مقابل الجزيرة أسطول الكولشيديين ، الذين راحوا يطالبون بتسليم ميديا . وكان يمكن أن تدور بين الطرفين معركة طاحنة لو لم يتوسط الكينووس بينهم ، ويصلح ذات البين . قرر الكينووس أنه يجب أن تسلم ميديا للكولشيديين إن لم تكن زوجة جازون . وقد

قامت هاريتا، زوجة الكينووس، ليلاً بإرسال رسول إلى جازون ينقل إليه قرار زوجها.

وفي الليلة نفسها أقام جازون وميديا مراسم الزفاف، وفي اليوم التالي أدى جازون القسم المهيب أمام الفياسيين والكولشيديين المجتمعين بأن ميديا زوجته. وحينذاك قرر الكينووس أن على ميديا البقاء مع زوجها، واضطر الكولشيديون إلى العودة إلى ملكهم إيتيس خالي الوفاض.

أما الأرغونيون فقد استأنفوا رحلتهم، بعد أن أخذوا قسطاً من الراحة لدى الفياسيين المضيافين. وبعد أن أبحروا طويلاً تراءت في أفق البحر الأزرق سواحل البلوبونيز. وفجأة هبت زوبعة مخيفة، وأندفع «أرغو» في عرض البحر. ظلت الزوبعة تحمل «أرغو» طويلاً، إلى أن قذفت به أخيراً إلى ساحل مهجور. انغرز «أرغو» في طين الخليج، المغطى بالنباتات المائية كله. ودب اليأس في نفوس الأرغونيين. جلس الربان لينسيوس مطرق الرأس في مؤخرة المركب، وقد فقد الأمل في العودة إلى اليونان. أما الأرغونيون فقد راحوا يجوسون الشاطئ وقد سيطر عليهم الحزن، لكأن قواهم قد خارت وفقدوا رباطة جأشهم. كان يبدو وكأن الهلاك يتهددهم جميعاً. لكن الحوريات سارعن لنجدة جازون. فقد كشفن لجازون أن الزوبعة ساقطت «أرغو» إلى ليبيا^(٣٦)، وأن على الأرغونيين أن يحملوا «أرغو» على أكتافهم، وينقلوه عبر الصحراء الليبية، بعد أن يرفعوه من الطمي في الوقت الذي تقوم فيه أمفيتريت بفك الخيول من مركبتها. لكن متى ستفك أمفيتريت جيادها؟ هذا ما لم يكن الأرغونيون يعرفونه. وفجأة رأوا حصاناً ناصع البياض يثب من البحر، وينطلق على عجل عبر الصحراء، وأدرك الأرغونيون أن هذا حصان أمفيتريت، فرفعوا «أرغو» على أكتافهم، وحملوه عبر الصحراء على مدى اثني عشر يوماً، وقد أضناهم القيظ والعطش، وأخيراً وصلوا بلاد المسبيريدات^(٣٧).

وهناك دلتهم الهنسييريدات على النبع ، الذي فجره هرقل في الصخر . وبعد أن روى الأبطال غليلهم ، وتمونوا بالماء ، انطلقوا قاصدين بلادهم . لكن الأرغونيين لم يتمكنوا من العثور على مخرج إلى البحر ، لأنهم كانوا في بحيرة تريتون . وبناء على نصيحة أورفيوس نذروا حاملاً بثلاث قوائم لإله البحيرة . وتجلّى أمام الأرغونيين شاب جميل ، أعطى البطل ايفثيموس قبضة من التراب دليلاً على حسن الضيافة ، ودل الأرغونيين على المخرج المؤدي إلى البحر . وبعد أن ضحى الأرغونيون بخروف تجلّى أمام «أرغو» الإله تريتون نفسه ، وأخرج «أرغو» بمحاذاة الصخور البيضاء ، عبر الدوامة ، إلى عرض البحر . ومن بحيرة تريتون وصل الأرغونيون إلى جزيرة كريت ، وأرادوا أن يتمونوا بالماء لمتابعة رحلتهم . لكن التمثال النحاسي تالوس^(٣٨) ، الذي قدمه زوس قاذف الصواعق نفسه لمينوس ، لم يسمح لهم بالنزول إلى ساحل كريت . كان تالوس العين الساهرة على أملاك مينوس ، ولم يكن يكف عن التطواف عبر الجزيرة كلها . لكن ميديا استطاعت بسحرها أن تنوم تالوس ، فسقط على الأرض ، ووقع منه المسهم النحاسي ، الذي يسد العرق الوحيد ، الذي كان دم تالوس يجري خلاله . واندلق على الأرض دم تالوس . كالرصاص المصهور ، ومات التمثال ، والآن أصبح بوسع الأرغونيين أن يرسوا دون عراقيل عند الساحل ويتمونوا بالماء .

وفي الطريق من كريت إلى اليونان أوقع ايفثيموس في البحر قبضة التراب ، التي أعطاه له تريتون ، فتكونت من هذه القبضة جزيرة أطلق عليها الأرغونيون اسم كالليستا . وفيما بعد سكنت ذرية ايفثيموس هذه الجزيرة ، التي أصبحت تعرف باسم فيرا^(٣٩) .

ثارت العاصفة في الليل الدامس ، وخاف الأرغونيون من الاصطدام بالأحجار داخل الماء ، أوبالصحور الساحلية ، كان هذا الخطر يتهدهم في كل دقيقة . وفجأة ومض سهم ذهبي بنور ساطع فوق البحر ، فانتشر الضوء في كل

مكان، وومض سهم ثان وثالث. إنه الإله أبولون ينير طريق الأرغونيين بسهامه. وقد رسوا عند جزيرة أناثي، وانتظروا هدوء العاصفة. أخيراً هدأت العاصفة، وهدأت أمواج البحر، وهبت ريح مواتية، فانطلق «أرغو» عبر البحر اللازوردي بأمان، ولم يصادف الأرغونيون مخاطر أخرى في طريقهم، ومالبثوا أن وصلوا مرفأ إيولكس المنشود.

حين وصل الأرغونيون إيولكس قدموا قرباناً سخياً للآلهة، الذين ساعدوهم في رحلتهم الخطيرة. عمت الفرحة جميع سكان إيولكس، وراحوا يمجدون الأبطال العظام وزعيمهم جازون، الذي حصل على الجزة الذهبية.

جازون وميديا في إيولكس . موت بيلياس^(٤١) :

لم يحترم بيلياس الماكر الوعد الذي قطعه : فلم يرد السلطة في إيولكس لجازون، مما أثار حفيظة جازون، الذي قرر الانتقام من بيلياس انتقاماً رهيباً. وهنا أيضاً هبت ميديا لمساعدته. ولم تلبث أن سنحت الفرصة للانتقام. فما إن عرف إيزون، والد جازون، وهو رجل بلغ من العمر عتياً، ما إن عرف أن ميديا ساحرة كبيرة حتى رغب في أن تعيد له شبابه. وقد طلب جازون نفسه من ميديا أن تجعل والده أفتى، ووعدت ميديا بالقيام بذلك في حال حصولها على مساعدة هيكات.

عندما أصبح القمر بديراً غادرت ميديا البيت في منتصف الليل. في ثوب أسود، حافية، مسدلة الشعر، كان كل ما في الجوار يغط في نوم عميق. كانت ميديا تسير صامتة، وقد غمرها ضوء القمر. توقفت هناك حيث تلتقي ثلاثة دروب، ورفعت يديها. ثم صاحت ثلاث مرات، ركعت ميديا.

وراحت تتمم بالتعاون. استغاثت بالليل ونجوم السماء والقمر والأرض والرياح والجبال والأنهار، واستنجدت بأهة الغابات والليل أن يتجلوا لها، وتوسلت إلى هيكات العظيمة أن تسمع نداءها وتمد لها يد المساعدة. سمعت هيكات استغاثة ميديا، فظهرت أمامها مركبة تجرها تينيات مجنحة. على مدى تسعة أيام وتسعة ليال ظلت ميديا تجمع النباتات والجذور السحرية في الجبال والغابات وعلى ضفاف الأنهار وشاطئ البحر. وحين عادت إلى دار إيزون أقامت مذبحين، الأول لهيكات والآخر لربة الشباب. ثم حفرت حفرة أمام كل مذبح، قدمت فوقهما نعجتين سوداوين قرباناً لهيكات المتجهمة ربة العتمة والسحر، وتقربت منها بالعسل والحليب. ثم نادى ميديا الإلهين السفليين هادس وبرسفونة، وتوسلت إليهما أن لا يتزعا من إيزون العجوز روجه. وبعد ذلك أوعزت بإحضار إيزون. نومت ميديا إيزون بعينيها، ثم أرقدته على النباتات السحرية، وراحت ميديا تحضر عقاراً سحرياً في قدر نحاسي. لم يلبث العقار أن بدأ بالغليان، وتغطي برغوة بيضاء. بدأت ميديا تحرك العقار بغصن يابس من شجرة عتيقة. ولم يلبث الغصن أن أخضوضر، واكتسى بالأوراق، ثم ظهرت عليه الثمار اليانعة. وحيث كانت تسقط قطرات رغوة العقار كانت تنمو الأزهار والأعشاب. ما إن رأت ميديا أن العقار جاهز حتى سارعت إلى قطع عنق العجوز إيزون بالسيف، ثم صفت دمه القديم، وصبت عبر الجرح الواسع العقار السحري في عروق العجوز. فكانت المعجزة. لم يلبث شعر العجوز، الذي كان أبيض كالثلج أن أصبح أسود اللون، كما اختفت التجاعيد وعلامات الشيخوخة، وظهرت الحمرة على خديه من جديد. حين استيقظ إيزون وجد نفسه وقد عاد شاباً، قوياً وحيوياً.

بعد أن تمكنت ميديا من إعادة الشباب لإيزون قررت، من خلال وضع خطة مأكرة، أن تنتقم من بيلياس العجوز لأنه خدع جازون، ولم يعدله مقاليد الحكم في إيولكس.

أقنعت ميديا بنات بيلياس بإعادة الشباب إلى والدهن، ولكي يزددن ثقة بسحرها جلبت خروفاً وذبحته ثم رمت به في وعاء العقار. ولم يكد العقار يغمر الخروف المذبوح، حتى وثب من الوعاء حملاً جميلاً. ذهلت بنات بيلياس من رؤية هذه المعجزة، ووافقن على محاولة إعادة الشباب لأبيهن.

حضرت ميديا العقار، لكنه كان خالياً من القوة السحرية. نومت ميديا بيلياس بتعاويذها، وجلبت بناته إلى مخدعه، وطلبت منهن قطع عنق أبيهن، لكن البنات لم يتجاسرن.

وصاحت ميديا:

- يا لكن من لامباليات! هيا امتشقن السيف بسرعة، واستخرجن الدم القديم من عروق أبيكن، أما أنا فسأصب له الدم الجديد.

لكن بنات بيلياس لم يجرؤن على توجيه الطعنة القاتلة لوالدهن النائم. أخيراً رحن، وقد أدرن ظهورهن، يطعنه بالسيف الواحدة تلو الأخرى. استيقظ بيلياس، وقد أصيب بجروح قاتلة، ونهض قليلاً في سريره، ثم مد يديه الضعيفتين، وصاح وهو يثن:

- ما هذا الذي تفعلن يا بناتي! ما الذي دفعكن إلى أن ترفعن أيديكن على والدكن؟

سمرّ الرعب بنات بيلياس، ووقفن شاحيات، ولم يلبثن أن غبن عن الوعي. أما ميديا فقد أسرعت إلى سرير بيلياس، وغمدت مديتها في عنقه، ومزقت جثته إلى قطع، ثم ألقت بها في القدر الذي يغلي. وفي مخدع بيلياس ظهرت المركبة، التي تجرها التنانين المجنحة، فامتطت ميديا منها، واختفت عن أعين بنات بيلياس، اللواتي أفقدن الرعب رشدهن.

أقام أدراستوس، ابن بيلياس، جنازة فاخرة لأبيه.

لم يتمكن جازون من تسلّم مقاليد الحكم في إيولكس، فلم يسمح له

أدراتوس بالبقاء في إيولكس ، وطرده منها بسبب قيام زوجته ميديا بقتل بيلياس .
غادر جازون موطنه ، واستقر مع ميديا في كورينث .

جازون وميديا في كورينث موت جازون^(١) :

بعد مقتل بيلياس استقر جازون وميديا ، اللذان طردا من إيولكس ، في كورينث عند ملكها كريونتوس . أنجبت ميديا ولدين . وكان يبدو أن لاشيء يعكر صفو حياة جازون وميديا حتى وهما في الغربة . لكن القدر لم يكن يخبيء السعادة لالجازون ولا لميديا . فقد وقع جازون في أسر جمال غلافكا ، ابنة كريونتوس . وحث بالايان ، التي أقسمها لميديا حين أعطته المرهم السحري ، لقد خان تلك التي اجترح المأثرة العظمى بفضلها . قرر جازون الزواج من غلافكا ، ووافق الملك كريونتوس على تزويج ابنته من البطل المشهور .

حين عرفت ميديا بخيانة جازون استولى اليأس عليها . كانت ميديا لاتزال تحب جازون كما في الماضي . جلست ميديا وكأنها تحولت إلى حجر لاروح فيه ، غارقة في حزنها . راح السخط المجنون يمتلك ميديا شيئاً فشيئاً . ولم يكن بالإمكان ترويض روح ميديا المتمردة . فهل بوسعها ، وهي ابنة ملك الكولشيد ، ابن هيلوس الساطع ، أن تتحمل تغلب الأعداء عليها ، وأن يسخروا منها ! أبداً . إن ميديا مخيفة في غضبها ، ويجب أن يكون انتقامها فظيلاً .

راحت ميديا ، وقد سيطر عليها الغضب الجامح ، تصب لعناتها على الجميع . إنها تلعن ولديها ، وتلعن جازون . كان عذاب ميديا لا يطاق ، فراحت تتوسل إلى الآلهة أن ينتزعوا منها الحياة بضربة صاعقة . وأي شيء بقي لها في الحياة باستثناء الانتقام ! إن ميديا تنادي الموت ، وترى فيه نهاية عذابها ، إن الموت

سيحررها من الشقاء . كيف استطاع جازون أن يعاملها على هذا النحو، وهي التي أنقذته، وساعدته، بعد أن نومت الثنين، في الحصول على الجزء الذهبية، وعمدت من أجل إنقاذه إلى استدراج أخيها إلى الكمين . وقتلت بيلياس من أجله؟ وتهيب ميديا بزوس وثيرميس ربة العدالة، أن يكونا شاهدين على جور سلوك جازون معها . كان العزم على الانتقام من جازون يقوى ويقوى لدى ميديا .

وها قد جاء كريونتوس، وأعلن لميديا أن عليها أن تغادر كورينث على جناح السرعة . إن كريونتوس يخاف ميديا، فهو يعرف كم هي مخيفة في غضبها، ويعرف مدى قوة سحرها، فبوسعها أن تقضي على ابنته وعليه نفسه .

أما ميديا فقد تظاهرت، من أجل كسب الوقت، بأنها ستنصاع لأوامر كريونتوس، وأنها تعترف بحقه في طردها، ولكنها لا تطلب إلا شيئاً واحداً، أن يسمح لها بالبقاء يوماً واحداً في كورينث . وقد وافق كريونتوس على طلبها، دون أن يخطر له ببال أنه بذلك كمنّ سعى إلى حتفه بظلفه، لكنه هدد ميديا بإعدامها هي وولديها في حال عدم مغادرتها كورينث قبل شروق الشمس . كانت ميديا تعرف أنه لا داعي لأن تخاف من الإعدام . فقبل ذلك ستقضي على كريونتوس، وليس عبثاً أنها أقسمت بالربة سيلينه^(٢٢)، ذات الوجه الشاحب، وبحاميتها هيكات بأنها ستقضي على أعدائها . إن الإعدام سيحقق بهم هم، لآبها هي . وهل يعقل أن تصبح، وهي ابنة الإله هيليوس، مضحكة لذرية سيزيف وخطيبة جازون!

عبثاً راح جازون يقول لميديا أنه إنما يتزوج غلافكا لمصلحتها ولمصلحة ولديهما، وأن ولديهما سيجدان الحماية لدى أخوتها القادمين، إذا مارزقه الآلهة بأولاد من الزواج الجديد . وتلوم ميديا جازون على خيانتها، وتهدهه بسخط الآلهة، ولا تريد أن تصغي إليه . أصبحت الآن تكره جازون، الذي سبق لها أن

كانت مدلهة في حبه ، والذي من أجله نسيت أباهما ، أمها ، أخاها ووطنها . خرج جازون غاضباً ، وانطلقت في أعقابه تهكمات ميديا وتهديداتها .

في هذا الوقت وصل إيجيوس ، ملك أثينا ، إلى كورينث ، وهو في طريقه من دلفي ، وقد رحب بميديا بكل بشاشة ، وراح يسألها عن سبب غمها . فحدثته ميديا بمصيبتها ، وراحت تتوسل إليه أن يعطيها ، وهي المشردة ، التي تحلى عنها زوجها ، ملاذاً في أثينا . وتعد ميديا إيجيوس بأن تساعد بسحرها ، وأنه سيرزق بذرية كبيرة ، ولن يبقى عاقراً كما كان ، المهم أن يقدم لها الملاذ . ويقسم إيجيوس لميديا بأنه سيقدم لها الملاذ ، ويقسم بالربة أولمبيا بعدم تسليم ميديا لأعدائها ، ولكنه يشترط على ميديا شيئاً واحداً ، إن عليها أن تصل أثينا بنفسها ، بدون مساعدته ، فهو لا يريد أن يدب الخلاف بينه وبين ملك كورينث .

بدأت ميديا ، بعد أن ضمنت لنفسها ملاذاً في كنف إيجيوس ، تعد العدة لتنفيذ خطة الانتقام . لقد صممت ليس على قتل كريونتوس وابنته غلافكا وحدهما ، بل وعلى قتل ولديها ، ولدي جازون . وأرسلت خادمتها في طلب جازون ، فجاء جازون ، وتظاهر ميديا بالخضوع ، وأنها راضية بقسمتها ، وبقرار جازون ولا تطلب منه إلا شيئاً واحداً - أن يقنع كريونتوس بإبقاء ولديها في كورينث . ويأتي ولداهما ، ولم تكدميديا تراهما حتى راحت تبكي ، وهي تعانقهما وتقبلهما ، لكن التعطش للانتقام أقوى من حب ولديها .

لكن كيف تقضي على غلافكا وكريونتوس؟ عمدت ميديا ، بحجة أنها تنوي استمالة غلافكا لترك ولديها في بيت جازون الجديد ، إلى إرسال ثوب من الأحجار الكريمة ، وإكليل ذهبي هدية لغلافكا . وفي هذه الهدية كان هلاكها . فما إن ارتدت غلافكا الثوب والإكليل ، هدية ميديا ، حتى تسرب السم منها إلى جسمها ، أما الإكليل فكان يهصر رأسها كالطوق النحاسي . كان الثوب يضمم النار في جسدها ، وتموت غلافكا وهي تتعذب بشكل رهيب ، ويهرع أبوها

لمساعدتها، فيحتضن ابنته المسكينة، لكن الثوب يلتصق به هو أيضاً، ويحاول جاهداً تمزيق هذا الثوب، فيمزق معه قطعاً من جسمه. وهكذا فقد قتلت ميديا كريونتوس بهديتها.

وقفت ميديا لدى قصرها تصغي بسعادة لنبا موت كريونتوس وغلافكا. لكن هلاكهما لم يروغليل الثأر لديها: فقد قررت أن تقتل ولديها أيضاً، لكي تجعل عذاب جازون أشد وأقسى. ثم إن مايدفع ميديا الآن إلى قتلها أنها تعرف أي مصير يتهدد ولديها حين سيقتقم أقرباء كريونتوس منها بسبب ما اقترفت يدا والديتها. سارت ميديا إلى القصر مسرعة، وللتوترددت من هناك صيحات ولديها وأنيهما. لقد قتلتها ميديا، أما جازون فقد أسرع، بعد هلاك كريونتوس وابنته غلافكا على يد ميديا، إلى القصر، خوفاً من أن يقضي أقرباء كريونتوس على ولديه انتقاماً من أمهما. كان باب القصر موصداً، وراح جازون يحاول تحطيمه. وفجأة ظهرت ميديا في الجو، على متن مركبة تجرها الثنانين، أرسلها لها الإله هيليوس، وكان ولداها، اللذان قتلتها يرقدان عند قدميها.

كان مارآه جازون فظيماً. وراح يتوسل لميديا أن تترك له ولو جثتي ولديه، لكي يتمكن من دفنهما بنفسه. لكن ميديا تحرمه حتى من هذا العزاء، ثم تنطلق في مركبتها مسرعة.

كانت بقية حياة جازون مفعمة بالأتراح، ولم يكن يعثر لنفسه في أي مكان على ملاذ يستقر فيه. وفي ذات مرة عبر ايستم، قرب المكان، الذي وضع فيه المركب «أرغو»، الذي نذره الأرغونيون لإله البحر بوزيدون. استلقى جازون المنهك في ظل «أرغو»، تحت مؤخرته، لكي يرتاح، فراح في سبات عميق. وبينما كان جازون نائماً سقطت عليه مؤخرة «أرغو» العتيقة، فدفنت جازون تحت حطامها.

هوامش

- ١ - إن الأساطير عن حملة الأروغونيين مقتبسة بشكل عام من ملحمة «الأورغونية» للشاعر اليوناني أبولون رودوسكي (القرن الثالث ق. م.).
- ٢ - مقاطعة في اليونان الأوسط وحاضرتها طيبة.
- ٣ - الدردنيل حالياً.
- ٤ - ثاسيس - نهر ديوني حالياً. كولشيدا مقاطعة على ساحل البحر الأسود في ماوراء القوقاز.
- ٥ - مقاطعة في شرقي اليونان الشمالي.
- ٦ - عن قصائد بينداروس (قصيدة المدح البيثية).
- ٧ - يختلف عدد المشاركين في الحملة باختلاف المؤلفين القدماء، لكن عدد الأبطال كان بحدود الخمسين - بعدد مجاذيف المركب.
- ٨ - جزيرة في بحر إيجه.
- ٩ - بحر مرمره حالياً.
- ١٠ - مادب قداس.
- ١١ - مقاطعة في غرب آسيا الصغرى.
- ١٢ - بوليفيم - لايبث - شارك في معركة القنطورات مع اللابيثيين (قبيلة اسطورية عاشت في تساليا. زوج لاونوما، أخت هرقل.
- ١٣ - هيلاس (هيل) محبوب هرقل وحامل سلاحه.
- ١٤ - ولدا بورياس.

- ١٥ - لقبه بونتوس - إله صيادي السمك والبحارة، وكان يتمتع بموهبة العرافة. كان يصور شبه انسان - شبه سمكة، بوجه عجوز ذي شعر طويل ولحية.
- ١٦ - مقاطعة في شمالي غرب آسيا الصغرى.
- ١٧ - ابن غايا والتارتار. وحش بمئة رأس أفعى، تنفث اللهب. كان يعتبر أب هيدرا ليرن والكلب الجهنمي سير بير وغيرهما من الوحوش. كان يرمز إلى القوى البركانية الجوفية.
- ١٨ - في أثناء الملاكمة كان الخصمان يلفان اليدين بسيور جلدية، وأحياناً كانا يثبتان إلى السيور نطوعاً نحاسية بارزة، مما كان يزيد من قوة اللكمات وخطرها.
- ١٩ - مقاطعة في القسم الشمالي - الشرقي من شبه جزيرة البلقان.
- ٢٠ - لم يكن الاغريق يجلسون عادة إلى المائدة، بل كانوا يأكلون شبه راقدين، مستندين باحدى اليدين إلى الوسادة. / المترجم.
- ٢١ - ربة قوس قزح. كانت تعتبر الوسيط بين الآلهة والناس، مادام قوس قزح يربط بين السماء والأرض، كانت إيريس تنقل مشيئة زوس وهيرا.
- ٢٢ - ستر وفاد ثلاث جزر صغيرة تقع في جنوبي اليونان مقابل الساحل الغربي لميسينيا.
- ٢٣ - صخور السمبليغادات (تعني «المتصادمة») كانت تقع حسب تصور الاغريق عند مدخل البحر الأسود.
- ٢٤ - ابن بوزيدون، بطل اغريقي.
- ٢٥ - بونت إيفكسين - البحر الأسود. في البداية سماه الاغريق بونت اكسين، أي البحر غير المضيف بسبب العواصف ووحشية القبائل التي تقطن سواحله. وبعد التعرف عليه عن قرب أصبح الاغريق يطلقون على البحر الأسود اسم بونت ايفكسين أي البحر المضيف.
- ٢٦ - هذا الاسم كان يطلق على الأماكن، البركانية المنشأ، والممتدة على طول ساحل مقاطعة كمبانيا الايتولية. بين كومي وكابويا.
- ٢٧ - هيكات Hécate ربة جبارة ابنة ماردين. تساعد على الولادة وتربية الأطفال ترسل الثروة، تساعد على الفوز في المباريات وفي المحاكم وساح الوغى. وفي الوقت نفسه هي ربة الأشباح وكوابيس الليل والسحر والتعاويد، أمرة الظلال في العالم السفلي، كانت تصور بثلاث رؤوس وست أيد.

- ٢٨ - كان العراف موبوس يعتبر ابن أبولون، ومنه حصل على موهبة العرافة .
- ٢٩ - كان الاغريق، الذين لا يعرفون خارطة أوربا جيداً، يعتقدون أن (الدانوب الحالي) يتصل بالبحر الأدرياتيكي بفرع خاص .
- ٣٠ - كيركة éCirc ساحرة من جزيرة إييا، ابنة هيلوس وبيرسیوس، أخت إيتيس، مسخت رفاق أوليس إلى خنازير، ولدت لأوليس ولداً اسمه تيليفونوس .
- ٣١ - ربات الانتقام، يسكن مملكة هادس . كن يصورن على هيئة عجائز شمطاوات وعلى رؤوسهن الأفاعي بدل الشعر، وفي أيديهن مشاعل أو هراوات، يطاردن المجرمين (ديريا عند الرومان) .
- ٣٢ - سيلا (سكيلا) - ابنة هيكات، وحش بست رؤوس، بثلاثة صفوف من الأسنان القاطعة لكل رأس، ودزينة من الأقدام، كانت تقطن مضيق صقلية (بين ايطاليا وجزيرة صقلية) في مواجهة الوحش الآخر - خاريبيدس . كان المر خطراً جداً للبحارة .
- ٣٣ - السيرينات : أشباه طيور أشباه نساء، كن يستدرجن البحارة بغنائهن ثم يقضين عليهم .
- ٣٤ - ربة البحار زوجة بوزيدون .
- ٣٥ - شعب اسطوري كان يقطن جزيرة سكيريا (معروفة حالياً) في البحر الايوني . / المترجم .
- ٣٦ - أي إلى أفريقيا .
- ٣٧ - الهسبيريدات - حارسات التفاحات الذهبية الرائعة في بستان يقع في أقصى غرب العالم المسكون (انظر مأثرة هرقل الثانية عشرة) .
- ٣٨ - كان تالوس يطوف الجزيرة ثلاث مرات يومياً، ولا يسمح للغرباء بالنزول إليها، حيث كان يرميهم بالصخور، وكان اذا ماتمكنوا من النزول يسخن جسمه النحاسي على النار ثم يهصرهم في أحضانه فيقضي عليهم .
- ٣٩ - جزيرة ستورين حالياً .
- ٤٠ - عن ملحمة أوفيدوس «التحولات» .
- ٤١ - عن تراجيديا يوريبيدس «ميديا» .
- ٤٢ - ربة القمر . ابنة (أوزوجة أو أخت) هيلوس .

الملحمة الطروادية

هيلين ابنة زوس وليدا^(١)

بعد أن طُرد البطل الماجد تنداريوس من مملكته ضرب في الأرض طويلاً، إلى أن عشر أخيراً على ملاذ له لدى ثيستوس، ملك إيتوليا^(٢). وقد أحب الملك ثيستوس البطل وزوجه بابنته الحسنة مثل الآلهة، ليذا. وحين تغلب هرقل، ابن زوس، على هيباكونتوس، وقتل جميع أعدائه عاد تنداريوس مع زوجته الحسنة إلى اسبارطة^(٣)، وتسلم مقاليد الحكم فيها.

أنجبت ليذا أربعة أولاد: هيلين وبولوكس من صلب زوس، قاذف الصواعق وكاستور وكليتمسترة من ذرية تنداريوس.

كانت هيلين في غاية الروعة والجمال، ولم تكن ثمة بين الفانين امرأة تجارها في الحسن والجمال. حتى الربيات كن يحسدنها. وطبقت شهرة هيلين أرجاء اليونان. وما إن سمع تيسيوس، البطل الأتيكي العظيم بجمالها الرباني حتى اختطفها، لكن أخوها بولوكس وكاستور أنقذاها وأعادها إلى دار أبيهم. وراح الخطاب يتوافدون الواحد تلو الآخر، إلى قصر تنداريوس، وكل منهم يود أن تصبح هيلين الحسنة له زوجة. لكن تنداريوس ظل متردداً في أن يزوج هيلين

بأي من الأبطال، الذين كانوا يؤمون قصره: كان يخاف أن يدب الحسد في نفوس
الباقيين، من سعيد الحظ، فتحدث الفتنة، وبدأ الصراع. أخيراً أسدى له
أوليس (أوديسيوس) الماكر النصيحة التالية:

- دع هيلين، ذات الصفائر الرائعة، تقرر بنفسها لمن ستكون زوجة، ودع جميع
الخطاب يقسمون أنهم لن يرفعوا السلاح أبداً في وجه من تختاره هيلين لها
زوجاً، وأنهم سيساعدونه، بكل ما أوتوا من قوة، إذا ما استنجد بهم.
عمل تنداريوس بنصيحة أوليس، وأدى الجميع القسم، وقد اختارت
هيلين واحداً من بينهم - مينيلوس الرائع ابن أتریوس.
تزوج مينيلوس هيلين، وأصبح بعد وفاة تنداريوس ملكاً على أسبارطة،
ولم يخطر له ببال كم من المصائب والمحن سيجر عليه زواجه من هيلين الرائعة.

بیلیوس وثیتیس :

كان بيليوس، البطل المشهور، ابن إياكوس الحكيم، ابن زوس من إيجين،
ابنة إله النهر آسوب. وكان لبيليوس أخ هو البطل تيلامون، صديق هرقل بطل
الأبطال. وقد اضطر بيليوس وتيلامون لمغادرة الوطن لأنهما قتلا حسداً أخاهما غير
الشقيق. مضى بيليوس إلى مقاطعة فتوتيد الغنية، حيث استقبله البطل
أوريتيون ومنحه ثلث أملاكه، وزوجه ابنته أنتيفونه. لكن بيليوس لم يمكث في
فتوتيد طويلاً. ففي أثناء صيد كاليدونيا قتل أوريتيون عن غير قصد. ومن فرط
حزنه غادر بيليوس فتوتيد قاصداً إيولكس. وفي إيولكس كانت المصيبة له
بالمرصاد. فقد أحبتة زوجة أكاستوس، وحاولت إغواءه وجعله، يتنكر لصداقة
أكاستوس. لكن بيليوس قاوم إغواءها، فعمدت إلى الانتقام منه بأن وشت به
إلى زوجها. صدق أكاستوس وشاية زوجته، وقرر القضاء على بيليوس. وفي

ذات مرة، أثناء الصيد على سفوح بيليون الحراجية عمد أكاستوس إلى إخفاء سيف بيليوس الرائع، بينما كان هذا نائماً بسبب الصيد المنهك، وكان بيليوس قد حصل على هذا السيف هبة من الآلهة. ولم يكن بمقدور أحد أن يصمد في وجه بيليوس وهذا السيف في يده. كان أكاستوس على ثقة أن بيليوس سيهلك، بدون سيفه الرائع، حيث ستمزقه الصنطورات المفترسة. لكن شيرون، الصنطور الحكيم، جاء لمساعدة بيليوس. فقد عاون البطل في العثور على سيفه الرائع، وهنا انقضت الصنطورات المفترسة على بيليوس، وهمت بتمزيقه، لكنه صدها بسيفه بكل سهولة. وبعد ذلك انتقم بيليوس من أكاستوس الخائن، فاستولى بمساعدة الأخوين ديوسكور (كاستور وبولوكس) على إيولكس الغنية، وقتل أكاستوس وزوجته.

حين أفشى المارد بروميثيوس السر العظيم بأن الربة ثيتيس ستنجب لزوس ولداً سيكون أكثر جبروتاً من أبيه، وسوف يطيح به عن العرش. نصح بروميثيوس الآلهة بأن يزوجوا ثيتيس لبيليوس، لأن ثمرة هذا الزواج ستكون بطلاً عظيماً. وقد قرر الآلهة أن يعملوا بهذه النصيحة، لكنهم اشترطوا أمراً واحداً - أن يتغلب بيليوس على الربة في النزال الفردي.

بلغ هيفستوس بيليوس مشيئة الآلهة. فقصد بيليوس الكهف، الذي غالباً ماكانت ثيتيس ترتاح فيه، بعد أن تخرج من أعماق البحر. اختبأ بيليوس في الكهف، وراح ينتظر. هاهي ثيتيس تخرج من البحر، وتدخل الكهف. فانقض بيليوس عليها، وأحاطها بذراعيه القويتين، وحاولت ثيتيس التملص منه، بالتحول تارة إلى لبوة، وأخرى إلى أفعى. ثم تحولت إلى ماء، لكن بيليوس لم يتركها، لقد تغلب بيليوس على ثيتيس، وأصبح عليها الآن أن تصبح له زوجة. احتفل الآلهة بزفاف بيليوس وثيتيس في كهف الصنطور شيرون الشاسع. كانت مأدبة الاحتفال عامرة، وقد حضرها جميع آلهة الأولمب، وترددت عالياً أنغام

قيثارة أبولون الذهبية، وعلى هذه الأنغام غنت ربات الإلهام عن المجد العظيم، الذي ينتظر ابن بيليوس وثيتيس. أكل الآلهة وشربوا، وقدموا الهبات السخية للعروسين. فقد أهدى شيرون لبيليوس ربحه، وكانت قناته مصنوعة من شجرة الدردار، القاسية كالحديد، والتي كانت تنمو على جبل بيليون، أما بوزيدون، حاكم البحار، فقد أهداه جوادين، بينما أهداه الآلهة الباقون الدروع الرائعة.

كان الآلهة يمرحون، وحدها ربة الشقاق، أريس Eris، لم تشارك في حفل الزفاف. كانت تجوس لوحدها قرب كهف شيرون، وهي غاضبة جداً، لأنها لم تدع لحضور المأدبة. وأخيراً وجدت أريس الطريقة للانتقام من الآلهة. أخذت تفاحة ذهبية من حدائق الهيسبيريدات البعيدة، وقد كتبت على هذه التفاحة كلمة واحدة فقط «للأروع». دنت أريس من المائدة بهدوء، وألقت بالتفاحة عليها، دون أن يراها أحد.

رأى الآلهة التفاحة، وقرأوا ماكتب عليها. لكن من هي الأروع بين الربات؟ وللحال دب الخلاف بين ثلاث منهن: هيرا، زوجة زوس، أثينا المحاربة وأفروديت الذهبية، ربة الحب. كانت كل منهن ترغب في الحصول على هذه التفاحة، ولم تكن أي منهن ترغب في التنازل عنها للأخرى. توجهت الربات إلى زوس، وطلبن منه أن يفض النزاع بينهن.

رفض زوس أن يحكم بينهن، وقد أعطى التفاحة لهرمس، وأمره بأن يرافق الربات إلى سفح جبل إيدا العالي، في ضواحي طروادة. وهناك سيقوم بريس، ابن بريام، ملك طروادة، بفض النزاع، ويقرر من نصيب من الربات ستكون التفاحة، ومن منهن الأروع. هكذا انتهى عرس بيليوس بانديلاع نيران الفتنة⁽⁴⁾ بين الربات الثلاث. وقد جرت هذه الفتنة على الناس الكثير من الويلات والمحن.

حكم بارييس :

انطلق هرمس والربات الثلاث على عجل إلى سفوح إيدا، حيث كان بارييس، ابن بريام، يرمى القطيع في ذلك الوقت. وقبل ولادة بارييس كانت أمه هيكوب^(٥) قد رأت حلماً مخيفاً: رأت الحريق يهدد بتدمير طروادة كلها. خافت هيكوب وأخبرت زوجها بما رأت. وحين سأل بريام العراف عن تفسير لهذا الحلم كان جوابه أن هيكوب ستنجب ولداً، سيكون سبب دمار طروادة. ولذا فما إن أنجبت هيكوب ابناً حتى أوعز بريام لخادمه أجيلاوس أن يحمله إلى جبل إيدا العالي، ويرميه في الغابة. لكن ابن بريام لم يمت، فقد أرضعته دبة. وبعد عام عشر عليه أغيلايوس فرباه كأنه ولده، وسماه بارييس. ترعرع بارييس بين الرعاة، وأصبح شاباً فريداً في جماله، كما تميز بين أقرانه بالقوة. وكان غالباً ما ينقذ القطيع وحتى رفاقه من هجمات الوحوش الكاسرة وغارات قطاع الطرق، وأصبح معروفاً بقوته وجراته لدرجة أن رفاقه لقبوه باسم الكسندر (دفاع الرجال). عاش بارييس آمناً بين غابات إيدا. وكان راضياً كل الرضى بقسمته.

جاءت الربات برفقة هرمس إلى بارييس. وقد خاف بارييس منهم إذ رأهم، وهم بالفرار، لكن هل كان بمقدوره أن يهرب من هرمس السريع، سرعة الخاطر؟ أوقف هرمس بارييس، وتحدث إليه بلطف، ثم مد له التفاحة وهو يقول:
- خذ هذه التفاحة يا بارييس. إنك ترى ثلاث ربات يقفن أمامك، فاعط التفاحة لأجملهن.

وحيث أنك راحت كل من الربات الثلاث تحاول إقناع الشاب إعطاء التفاحة لها. ووعدن بارييس بأن يغدقن عليه الهدايا الكثيرة. فقد وعدته هيرا بالسلطة على آسيا بأسرها، ووعدته أثينا بالمجد الحربي والانتصارات، أما أفروديت فقد

وعدته بهيلين الحسناء، ابنة زوس، قاذف الصواعق، وليدا، زوجة له. لم يفكر باريس طويلاً بعد أن سمع وعد أفروديت، فأعطى التفاحة لها. ومنذ ذلك الحين أصبح باريس مقرباً من أفروديت، وكانت تساعد في كل شيء، أما هيرا وأثينا فقد شعرتنا بالكراهية نحو باريس وطروادة وجميع الطرواديين، وقررتنا جرح الهلاك والدمار على المدينة والشعب بأسره.

باريس يعود إلى طروادة:

بعد لقاء الربات لم يمكث باريس طويلاً في غابات إيذا. ولما رأى بريام أن زوجته هيكوب لا تستطيع أن تسلو ولدها الضائع، نظم ألعاباً فاخرة على شرف ابنه، الذي كان يظنه ميتاً. وكانت جائزة الفائز أفضل ثور في قطع الملك بريام. وكان هذا الثور من بين ثيران ذلك القطيع، الذي سبق لباريس أن رعاه. شعر باريس بالأسف لفراق الثور، الذي كان يحبه كثيراً، فساقه بنفسه إلى المدينة. وفي طروادة رأى باريس مباراة الأبطال، فسيطرت عليه الرغبة العارمة في النصر. اشترك باريس في المسابقات، وفاز على الجميع، حتى على هكتور الجبار. غضب أبناء بريام لأن أحد الرعاة غلبهم، فامتشق أحدهم سيفه، وهم بقتل باريس. ومن شدة خوفه هرع باريس نحو مذبح زوس مستنجداً به. وعند المذبح رآته العرافة كاساندر^(١) ابنة بريام، فعرفت للحال من يكون هذا الراعي. سر بريام وهيكوب بعثورهما على ولدهما، وقاده إلى القصر باحتفال مهيب. وعبثاً راحت كاساندر تحذر بريام، وعبثاً راحت تذكره أن القدر حدد دمار طروادة على يدي باريس. ولم يول أحد كلام العرافة كاساندر أي اهتمام. فقد جعل الإله أبولون قسمة كاساندر محزنة، لم يكن أحد يصدق تنبؤاتها، وإن كان كل ماتنبأت به قد تحقق.

باريس يختطف هيلين :

مرت أيام عديدة على عودة باريس إلى بيت والده بريام . وكان يبدو وكأن ذلك التغيير، الذي جرى في حياته، قد جعله ينسى الهدية، التي وعدته بها أفروديت لقاء التفاحة الذهبية . لكن أفروديت، نفسها ذكرته بهيلين الحسنة، وساعدت محظيها في بناء مركب فخم، واسرع باريس للاقلاع على متنه إلى اسبارطة، حيث تعيش هيلين . وعبثاً راح هيلينوس^(٧) العراف، ابن بريام يحذره من هذه الرحلة . فقد تنبأ له بالموت، لكن باريس لم يرغب في سماع أي شيء . ركب باريس السفينة، وانطلق في رحلته البعيدة عبر البحر الواسع الشاسع . تملك اليأس كساندرا وهي ترى مركب باريس السريع يتعد عن سواحل الوطن، فرفعت يديها نحو السماء، وصاحت :

- الويل الويل لطرودة العظيمة ولنا جميعاً . إنني أرى إيليون المقدسة بين السنة اللهب، وأبناءها يرقدون مضرجين بدمائهم، يفترشون الثرى : وأرى الغرباء يسترقون الزوجات والعداري والطروديات الباكيات .

هكذا كانت تصيح كاساندرا، لكن أحداً لم يهتم بتنبؤها . هبت على البحر عاصفة عاتية، لكنها لم تثبط عزيمة، باريس، فقد مر بفتيوتيد الغنية وبسالامين وبميسين إلى أن وصل أخيراً سواحل لاكونيا . رسا باريس في مصب إثروت، وخرج برفقة صديقه إنيوس إلى الشاطئ، ثم ذهب إلى الملك بصفة ضيف، دون أن تراوده أية نية سيئة .

استقبل مينيلوس باريس وإنيوس ببشاشة، وأعد على شرف ضيفيه مائدة عامرة . وفي أثناء المأدبة وقعت عينا باريس على هيلين الحسنة للمرة الأولى . وبكل إعجاب راح يمتع نظره بجماها السماوي .

وبدورها افتتنت هيلين بجمال باريس : فقد كان رائعاً في ثيابه الشرقية الفاخرة. مرت عدة أيام. وكان مينيلوس مضطراً لأن يسافر إلى كريت على جناح السرعة. ولدى سفره طلب من هيلين أن تعتني بالضيفين بحيث لا ينقصهما شيء. ولم يخطر لمينيلوس ببال أي شر سيلحقه به هذان الضيفان. قرر باريس انتهاء فرصة سفر مينيلوس دون تسويق. وقد استطاع بمساعدة أفروديت أن يقنع هيلين الحسنة، بكلامه المعسول، بمغادرة بيتها وزوجها والهرب معه إلى طروادة. ونزلت هيلين عند رغبة باريس، فرافقتة سراً إلى المركب، ولم يكتف باريس باختطاف زوجة مينيلوس الحسنة، بل وسرق كنوزه. نسيت هيلين كل شيء - زوجها، وطنها اسبارطة، وابنتها هرميون، في سبيل حب باريس. غادر مركب باريس مصعب إثروت، حاملاً على متنه الغنيمة الكبيرة. انطلق المركب بسرعة يمزج عباب اليم باتجاه سواحل طروادة. كان باريس في ذروة سعادته، فقد كانت برفقته هيلين، الأجل بين النساء الفانيات. وفجأة، وبينما كان المركب يبخر في عرض اليم، بعيداً عن الساحل، أوقفه نير يوس، إله البحر العظيم. فقد خرج من أعماق اليم، وتنبأ لباريس بالهلاك، وبالدمار لطرودة بأسرها. ارتبك باريس وهيلين، لكن أفروديت طمأنتهما وجعلتهما ينسيان هذه النبوءة الرهيبة. ظل المركب يبخر ثلاثة أيام عبر البحر الهاديء، تحرسه عين أفروديت الساهرة. وكانت الرياح المواتية تدفعه بسرعة؛ إلى أن وصل سواحل طروادة بسلام.

مينيلوس يعد العدة للحرب ضد طروادة:

ما إن غادرت هيلين الحسنة قصر مينيلوس برفقة باريس الغادر، حتى أرسل الآلهة إيريس إلى مينيلوس في كريت. انطلقت إيريس من الأوبل

بسرعة، على جناحيها القوس قزحيين، وفي طرفة عين مثلت في حضرة مينيلوس، وأخبرته بالمصيبة، التي حلت به. عاد مينيلوس على عجل، فوصل اسبارطة بسرعة، ولاتسل عن غضبه حين رأى أن هيلين وكنوزه قد اختفت. وعلى الفور قصد مينيلوس أخاه أغامنون، ليتشاور معه حول كيفية الانتقام من باريس على غدره. نصح أغامنون أخاه بجمع الأبطال، الذين سبق أن أقسموا له أن يبذلوا قصارى جهدهم في مساعدته إذا ما حلت به نازلة، وأن يذهب برفقتهم لمحاربة طروادة. قبل مينيلوس نصيحة أخيه، وانطلق معه قاصدين الملك نسطور الكهل في بيليوس.

كان نسطور Nestor من أكثر اليونانيين حكمة. وخلال حياته الطويلة اشترك في العديد من الحملات المجيدة. كانت خبرة نسطور في أمور الحرب كبيرة جداً.

استقبل نسطور مينيلوس وأغامنون بالترحاب، وأعرب عن سخطه على باريس، وقرر أن يشترك بنفسه في الحملة على طروادة مع ولديه ثريسيم Thrasymède وانطيلوخس Antiloque. وقد وافق نسطور على أن يطوف مع ابني آتريوس على جميع أبطال اليونان، لكي يدفعهم إلى المشاركة في الحملة. الكثيرون من الأبطال قرروا المشاركة فيها: ديوميدي، ملك أرغوس، وبسالاميد الحكيم، ابن ملك أثينا، وملك كريت ايدومين الجبار، حفيد مينوس، وفيلوكتيت صديق هرقل، الذي أعطاه الأخير سهامه قبيل موته. وكان العراف قد تنبأ أنه كان من المستحيل الاستيلاء على طروادة بدون هذه السهام. كما شارك في الحملة آياس الكبير، ابن تلامون ملك سلامين، وصديق هرقل، كان آياس الكبير من أشجع أبطال زمانه. وآياس الصغير ابن البطل اويليوس. وأمير اللقريين^(٨). وكان من الضروري إرغام أوديسيوس الماكر. ملك إيثاكة. وابن لايرت على المشاركة في الحملة. لكن أوديسيوس لم يكن راغباً في مغادرة إيثاكة،

فلم يكن قد مضى وقت طويل على زواجه من بنلوبه الحسناء، التي أنجبت له صبياً هو تيليماخ. حين عرف أوديسيوس بوصول مينيلائوس، أغاممنون، نسطور وبالاميد إلى ايثاكة قرر أن يخدعهم، فتظاهر بالجنون، وراح يحرث حقوله وقد ربط إلى المحراث ثوراً وحماراً، ويبذر الحقل بالملح. كان بالاميد أول من كشف مكر أوديسيوس. فقرر إرغام أوديسيوس على الاعتراف بذلك. أخذ بالاميد تيليماخ، الملفوف بالأقمطة، ووضع في طريق المحراث. فتوقف أوديسيوس. مهما كانت رغبته قوية في البقاء في ايثاكة فإنه لم يستطع أن يدفع ثمن ذلك هلاك ولده الوحيد. هكذا كشف بالاميد حيلة أوديسيوس، الذي اضطر لمغادرة موطنه ايثاكة وزوجته وابنه قاصداً طروادة، حيث أمضى سنوات عديدة تحت أسوارها. ومنذ ذلك الحين كره أوديسيوس بالاميد، وصمم على الانتقام منه لأنه أجبره على المشاركة في الحملة.

أخيل:

وكان هناك بطل آخر من الضروري دفعه للمشاركة في الحملة. إنه أخيل الشاب، ابن الملك بيليوس والربة ثيتيس. وكان العراف كالكاس^(٩) قد تنبأ لابني أتريوس أنهما لن يتمكنوا من فتح طروادة العظيمة إلا إذا ما اشترك أخيل في الحملة، كان القدر قد كتب المجد الخالد على جبين أخيل. سوف تكون مآثر أخيل عظيمة، لكنه لن يعود حياً من تحت أسوار طروادة، ولسوف يموت بسهم قاتل، وهو بعد في أوج قوته. كانت الربة ثيتيس تعرف ما يجيء القدر لابنها، وقد بذلت قصارى جهدها من أجل تلافي المحذور. فعمدت، حين كان أخيل لا يزال طفلاً، إلى طلي جسمه بالأمبروزيا، ووضعته في النار كي تجعله محصناً ضد كل الأخطار وبالتالي خالداً. وفي ذات مرة وضعت

ثيتيس أخيل في النار، فاستيقظ بيليوس، ولاتسل عن رعبه، وهو يرى ابنه في النار، فامتشق سيفه، وانقض على ثيتيس. خافت الربة، وهربت من القصر من فزعها، ثم اختبأت في لجة البحر في قصور والدها نيريوس. أما بيليوس فقد عهد بأخيل لصديقه الصنطور شيرون ليقوم بتربيته. كان شيرون يطعم أخيل بدماغ الدببة وكبد الأسود، فشب أخيل بطلاً جباراً. فقد كان لا يزال في السادسة من عمره حين راح يقتل الأسود الكاسرة والخنازير البرية المسعورة، وكان يلحق بالأيائل بدون كلاب، لقد كان سريعاً وخفيفاً في جريه. ولم يكن يجاربه أحد في فن استخدام السلاح. كما علمه شيرون العزف على القيثارة، ذات الأنغام الشجية، والغناء. ولم تنس ثيتيس ولدها، فكانت غالباً ماتخرج من لجة البحر لكي تلتقي به.

حين ترعرع أخيل، وأصبح شاباً رائعاً كانت بلاد الاغريق من أقصاها إلى أقصاها تتناقل خبر قيام مينيلوس بتجميع الأبطال لشن حملة ضد طروادة. ولما كانت ثيتيس تعرف أي خطر يهدد أخيل، فقد خبأته في جزيرة سكيروس^(١) في قصر الملك ليكوميد. وهناك عاش أخيل بين بنات الملك، وهنويرتيدي زي البنات. ولم يكن أحد يعرف مكانه. لكن العراف كاخاس كشف لمينيلوس مخبأ أخيل. وللحال استعد أوديسيوس وديوميد للسفر. وقد قرر أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة. وصل أوديسيوس وديوميد إلى جزيرة سكيروس في زي تاجرين، وذهبوا إلى قصر ليكوميد، حيث عرضا مالديهما من سلع أمام الأميرات: الأقمشة الفاخرة، العقود الذهبية، الأقراط، الأغطية المزخرفة بخيوط الذهب، وبين كل هذه الأغراض وضعاً سيفاً وخوذة وترساً وغمداً ودرعاً. انكبت الأميرات على الحلي الذهبية والأقمشة الفاخرة، يتفحصنها بإعجاب، أما أخيل، الذي كان يقف بينهن، فلم ينظر إلا إلى السلاح. وفجأة ترددت لدى القصر صيحات القتال، ونفخ في الأبواق، وسمعت قعقة السلاح. إنهم رفاق ديوميد وأوديسيوس

هم الذين راحوا يضربون التروس بالسيوف، ويطلقون صيحات القتال، لاذت الأميرات بالفرار من شدة الخوف، أما أخيل فقد تناول السيف والرمح، واندفع لملاقاة الأعداء، ظناً منه أن الأعداء قد أغاروا على قصر ليكوميديس. وهكذا اكتشف أوديسيوس وديوميديس هوية أخيل.

وافق أخيل على الاشتراك في الحملة ضد طروادة بفرح عظيم. وقد رافقه صديقه المخلص باتروكليس^(١١) والشيخ الحكيم فونيكس^(١٢). أما بيليوس فقد أعطى ولده تلك الدروع، التي وهبه إياها الآلهة بمناسبة زفافه على الربة ثيتيس. كما أعطاه الرمح، هدية شيرون، والجوادين - هدية بوزيدون.

طروادة:

كانت طروادة، التي أراد أبطال اليونان محاربتها، عظيمة وجبارة، أسسها إيلوس Ilios حفيد داردانوس، ابن زوس واليكترا^(١٣) إحدى بنات أطلس السبع. وكان داردانوس قد جاء من أركاديا، قاصداً الملك توسر أوتوكروس^(١٤) Teucer- Teukros، الذي زوجه بابنته، وأقطعه جزءاً من أراضيه، مهراً لها، وفي هذه الأرض شيدت مدينة داردانيا. كان تروس، والد إيلوس، حفيداً لداردانوس. وفي إحدى مباريات الأبطال في فريجيا اشترك إيلوس وتغلب على الجميع واحداً إثر آخر. وقد كوفيء على هذا الفوز بخمسين فتاة وخمسين شاباً. كما أعطاه ملك فريجيا بقرة مبرقشة، وقال له أن يقتفي أثرها، ويشيد مدينة في المكان، الذي تتوقف فيه البقرة. وأخبره أن العراف تنبأ لهذه المدينة بشأن عظيم. تصرف إيلوس على النحو الذي طلبه الملك، فسار في إثر البقرة، التي توقفت على هضبة، وهنا أرسى إيلوس أساس المدينة. رفع يديه إلى السماء، وراح يتوسل إلى زوس أن يرسل له إشارة على أن قاذف الصواعق يبارك عمله. وعند خروجه من

خيمته في الصباح رأى إيلوس صورة أثينا - بالاس محفورة على الخشب، وكانت تلك التعويذة، التي ستحمي المدينة الجديدة. وفي عهد إيلوس كان السور يحيط فقط بذلك الجزء من المدينة، الموجود على الهضبة، أما ذلك الجزء، الموجود في أسفل الهضبة، فلم يكن مسوراً. وكان الفضل في بناء السور من حول هذا الجزء من المدينة يعود إلى بوزيدون وأبولون، اللذين أرسلهما الآلهة لخدمة الملك الطروادي لاوميدونت، ابن إيلوس، فجاء السور الذي بناه من حول طروادة منيعاً راسخاً.

وفي الوقت، الذي كان فيه أبطال اليونان يعدون العدة لغزو طروادة، كان يحكمها بريام، حفيد إيلوس. كان بريام ملكاً غنياً، وكان قصره فاخراً وعظيماً، وفيه كان يعيش مع زوجته هيكوب. ومع بريام كان يعيش أولاده الخمسون، (أبناء وبنات) وقد اشتهر من بينهم بخاصة هكتور النبيل، الذي عرف ببسالته وقوته.

كانت طروادة قوية جبارة. وكانت المصاعب الكبيرة بانتظار أبطال اليونان في قتالهم مع الطرواديين المحاربين، وفي نفس الوقت فقد كان المجد العظيم والغنائم الهائلة بانتظار من يستولي على المدينة.

أبطال اليونان في ميزيا^(١٥):

كل أبطال الاغريق اجتمعوا مع جيوشهم في مرفأ أوليس^(١٦)، لكي يبحروا من هناك إلى سواحل طروادة. حشود كبيرة اجتمعت على ساحل البحر. كانت هذه القوات تضم مئة ألف محارب مسلح^(١٧). وكان من المقرر أن تنتقل إلى طروادة على متن ١١٨٦ سفينة. وقبيل الاقلاع اجتمع كل قادة القوات، الأبطال العظام في فيء شجرة الدلب العتيقة قرب المذابح، لكي يتقربوا إلى الآلهة،

ويطلبوا منهم التوفيق في رحلتهم . وفجأة زحف من تحت أحد المذابح ثعبان فظيع ، أحمر كالدم . راح الثعبان ، وهويلتف على شكل دوائر، يزحف على شجرة الدلب إلى أن كاد يصل قمتهها ، حيث كان يوجد عش فيه ثمانية فراخ وأمهم . ابتلع الثعبان الفراخ وأمهم وتحول إلى حجر . كان الأبطال يقفون تحت شجرة الدلب ، وهم ذاهلون ، لا يعرفون مغزى إشارة الآلهة هذه . لكن العراف كالخاس كشف لهم مغزاها . فقد أخبر الأبطال أنهم سيمكثون تسع سنوات في حصار طروادة ، كما ابتلع الثعبان العصفير التسعة ، وأنهم لن يستولوا على طروادة العظيمة إلا في السنة العاشرة ، وبعد جهد جهيد . سر اليونانيون بكلام كالخاس . وقد أنزلوا سفنهم إلى الماء والأمل يحدوهم بالنصر المؤزر . وأقلعت المراكب من أوليس واحداً إثر آخر . وراح المجذفون يعملون بكل همة ونشاط ، وانطلق الأسطول اليوناني نحو سواحل آسيا .

وبعد رحلة قصيرة رسا اليونانيون عند سواحل ميزيا ، حيث كان يحكم البطل تيليفوس^(١٨) Télèphe . وكان اليونانيون على ثقة أنهم بلغوا سواحل طروادة ، فراحوا يعيشون فساداً في أملاك تيليفوس . حشد تيليفوس قواته ، وهب للدفاع عن أملاكه ، وبدأت معركة طاحنة .

أخيراً ، وبعد جهد كبير تمكن أخيل من هزيمة تيليفوس .

وقد استغل تيليفوس حلول الليل ، وفر إلى مدينته ، وأوصد أبوابها . وفي الصباح راح اليونانيون يجمعون جثث القتلى ، وهنا اكتشفوا أنهم لم يقاتلوا الطرواديين ، بل الميزينيين وملكهم تيليفوس .

استولى الحزن على اليونانيين ، فقد حاربوا حليفهم وليس خصمهم . عقد اليونانيون صلحاً مع تيليفوس ، وقد وعدهم بأن يساعدهم . لكن تيليفوس رفض أن يرافقهم في حملتهم على طروادة ، فقد كان متزوجاً بابنة بريام . غادر اليونانيون ميزيا ، بعد أن دفنوا قتلاهم ، قاصدين سواحل طروادة .

وفي عرض البحر هبت على اليونانيين عاصفة هوجاء، ومثل الجبال كانت الأمواج العاتية ترتفع عالياً فوق البحر. وراحت العاصفة تلقي بالمراكب كالشظايا الخفيفة. ضلت المراكب طريقها، وأمضى اليونانيون فترة طويلة تائهين في البحر، إلى أن عادوا أخيراً إلى أوليس. وراحت المراكب اليونانية تدخل واحداً إثر آخر المرفأ الذي غادرته منذ عهد غير بعيد. لقد منيت محاولتهم الأولى بالفشل الذريع.

اليونانيون في أوليس (١٩):

حين اجتمعت كل المراكب في أوليس من جديد، أخرجها اليونانيون إلى الشاطئ، فتكون على الساحل معسكر حربي ضخم. ولم يبق جميع اليونانيين في أوليس، بل عاد الكثيرون منهم إلى ديارهم، بمن فيهم الملك أغاممنون، القائد العام للقوات. ولم يكن أحد يعرف متى سيكون بالإمكان معاودة الكرة، وشن الحملة على طروادة. كان اليونانيون بحاجة إلى دليل يرشدهم إلى الطريق المؤدي إلى سواحل طروادة. ولم يكن بوسع أحد أن يقوم بذلك إلا تيليفوس، الذي حاربه اليونانيون للتو. وفي أثناء المعركة أصاب أخيل تيليفوس في فخذه. وعلى الرغم من العلاج المستمر فإن جرح تيليفوس لم يلتئم، وراح الألم يزداد ويزداد. أخيراً، وبعد أن أضناه العذاب، سافر تيليفوس إلى دلفي، وهناك سأل أبولون كيف له بعلاج الجرح، وكان جواب بيثيا أن لأحد يشفي تيليفوس إلا ذاك الذي جرحه. وصل تيليفوس قصر أغاممنون في ميسين، يرتدي الأسفال، متنكراً في زي شحاذ، وفي نيته أن يطلب من ملك ميسين أن يقنع أخيل بشفاء جرحه. كانت كليتمينسترة، زوجة أغاممنون، أول من رأى تيليفوس، وقد كشف لها هويته. ونصحته كليتمينسترة أن يأخذ الطفل أورست، حال دخول أغاممنون،

ويسرع به إلى المذبح، ويهدد بقطع رأسه على المذبح إذا مارفض أغاممنون مساعدته في معالجة جرحه. وقد عمل تيليفوس بنصيحة كليتمينسترة، خاف أغاممنون من أن يقتل تيليفوس أبنه، فوافق على مساعدته، وقد فعل ذلك عن طيب خاطر، إذ كان يعرف أن تيليفوس هو وحده القادر على أن يكون مرشد اليونانيين إلى طروادة. بعث أغاممنون الرسل في طلب أخيل. وقد دهش أخيل، لم يعرف كيف له بشفاء جرح تيليفوس، وهو الذي لا يعرف شيئاً في فن الطبابة. لكن أوديسيوس، أكثر الأبطال حكمة، قال لأخيل أن بالإمكان شفاء جرح تيليفوس بحديدة من نصل الرمح الذي سبب الجرح. وللحال سحج بعض الحديد من رمح أخيل، ووضع على جرح تيليفوس فالتأم. سر تيليفوس كثيراً، وتعبيراً عن امتنانه وافق على أن يقود اليونانيين إلى السواحل الطروادية، لكن اليونانيين لم يستطيعوا الاقلاع من أوليس: لم تكن هناك ريح مواتية، بل كانت تهب ريح أرسلتها الربة أرتميس، الساخطة، على أغاممنون، لأنه قتل غزاها المقدس. عبثاً راح الأبطال ينتظرون تغير الريح، التي ظلت تهب في نفس الاتجاه وبنفس الشدة. وتفشت الأمراض بين القوات، وبدأ التدمير بين صفوف المحاربين. وكان القادة يخافون من حدوث عصيان. وأخيراً أعلن العراف كالحاس لقادة اليونانيين:

- لن ترأف الربة أرتميس باليونانيين إلا بعد أن يقدموا لها ايفيجينيا الحسنة، ابنة أغاممنون قرباناً.

حزن أغاممنون حين عاد إلى أوليس وعرف بذلك. كان على استعداد لأن يتخلى عن الحملة ضد طروادة، المهم أن يصون لابنته حياتها. وقد حاول مينيلوس جاهداً إقناعه بضرورة الانصياع لمشيئة أرتميس، إلى أن وافق أخيراً على طلب أخيه، وبعث برسول إلى كليتمينسترة في ميسين. لكن الرسول لم يبلغها بالسبب الحقيقي لرغبة أغاممنون في إحضار ايفيجينيا إلى أوليس، بل زعم

أن أخيل يريد، قبل الانطلاق في الحملة، أن يعقد قرانه على ايفجينيا. وما إن بعث أغاممنون بالرسول إلى ميسين حتى ازداد إشفاقاً على ابنته. وقام سراً بإرسال مبعوث آخر ليقول لكليتمينسترة ألا تحضر إيفجينيا إلى أوليس. لكن مينيلوس أوقف المبعوث الثاني، وراح يوبخ أغاممنون، لأنه خان القضية المشتركة. أمضى مينيلوس وقتاً طويلاً وهو يقرع أغاممنون، وحمي بينهما الجدل، الذي قطعه قدوم الرسول يعلن وصول كليتمينسترة مع ايفجينيا وأورست الصغير إلى معسكر اليونانيين، وأنهم توقفوا عند النبع، بالقرب من المعسكر.

استولى اليأس على أغاممنون، فهل يعقل أن القدر كتب له أن يفقد ابنته الحبيبة، وهل يعقل أنه سيقودها بنفسه إلى الموت، إلى النطع عند هيكل أرتيميس؟ وحين رأى مينيلوس عذاب أخيه أحس بالرغبة في التخلي عن مثل هذه التضحية. لكن أغاممنون كان يعرف أن كالحاس سيذيع مشيئة الربة أرتيميس بين جميع المقاتلين، وحينذاك سيجبرونه على التضحية بإيفجينيا. حتى وإن لم يفعل كالحاس ذلك، فإن أوديسيوس سيخبر الجميع بذلك، فهو بدوره يعرف مشيئة أرتيميس.

ذهب أغاممنون لملاقة زوجته وابنته وهو في غاية الحزن، وإن حاول أن يتظاهر بالهدوء والمرح. لكن إيفجينيا لاحظت فوراً أن ثمة ما يشغل بال والدها ويشير حزنه العميق، فراحت تسأل وتلح في السؤال، لكنه لم يقل لها شيئاً، كما إنه لم يخبر زوجته بشيء، بل راح يحاول إقناعها بالعودة إلى ميسين، فلم يكن أغاممنون يريد لزوجته كليتمينسترة أن ترى موت ابنتها. أخيراً غادر أغاممنون زوجته وابنته قاصداً كالحاس: كان يريد أن يسأله عما إذا كان بالإمكان إنقاذ ابنته.

لم يكذ أغاممنون يغادر الخيمة حتى جاء أخيل. كان يريد رؤية ملك ميسين لمطالبته ببدء الحملة ضد طراودة فوراً. فقد مل أخيل الجلوس عاطلاً عن العمل في

أوليس ، ثم إن مقاتليه الميرميديين (Myrmidwus) ضجوا وهم يطالبون إما ببدء الحملة ، وإما بتركهم يعودون إلى ديارهم . حين عرفت كليتمينسترة من يكون هذ البطل ، الذي جاء يسأل عن أغاممنون توجهت إلى أخيل ، ورحبت به كخطيب لابنتها ، وهذا ما أثار دهشة أخيل . فلم يسبق له أبداً أن قال لأغاممنون أنه يريد الزواج بابنته . وشعرت كليتمينسترة بالحرج حين عرفت أن أخيل لم يسبق له أبداً أن فكر بالزواج من إيفجينيا ، ولم تعرف ماذا تقول لأخيل . وهنا وصل ذلك العبد ، الذي سبق لأغاممنون أن أرسله إلى ميسين ، وأمسك به مينيلائوس ، وكشف لكليتمينسترة سر استدعاء أغاممنون لها ولابنتها إلى أوليس . استولى الذعر على كليتمينسترة ، فهي ستفقد ابنتها ، فبمن ستستغيث؟ ركعت أمام أخيل ، وراحت تتوسل إليه ، وهي تنتحب ، أن يمد لها يد المساعدة ، وتستحلفه بأمه ثيتيس العظيمة ابنة نيريوس . وحين رأى مدى حزن كليتمينسترة أقسم أخيل بشيخ البحر العراف ، الإله نيريوس ، أن يساعدها . انطلق أخيل من خيمة أغاممنون مسرعاً ، لكي يرتدي دروعه . وحين عاد أغاممنون إلى خيمته راحت زوجته تلومه بغضب لأنه عازم على قتل ابنته .

ماذا كان بوسع أغاممنون أن يقول لها؟ فهو لم يوافق ، إلا مكرهاً ، على التضحية بابنته للربة أرتميس .

عمت المعسكر قلاقل قوية ، وكاد الميرميدونيون يرشقون أخيل بالحجارة حين أعلن أنه لن يسمح بالتضحية بتلك التي وعد بها زوجه . واندفع جميع المقاتلين ، وعلى رأسهم أوديسيوس نحو خيمة أغاممنون والسلاح في أيديهم . لكن أخيل وقف في باب الخيمة ، وقد امتشق سيفه ، واحتمى بترسه ، وقد صمم على الدفاع عن إيفجينيا حتى آخر قطرة من دمه .

وهنا أوقفت إيفجينيا الجميع ، الذين كادوا يبدأون معركة دامية . وقد أعلنت بصوت عال أنها مستعدة لأن تذهب بنفسها طوعاً إلى المذبح من أجل

الصالح العام . وهي لا تريد أن تتمرد على مشيئة أرتميس ، ابنة زوس العظيمة . فليضحوا بها ، ولسوف تكون أطلال طروادة الدارسة نصباً خالداً لها . وأقنعت إيفجينيا أخيل بالأيدافع عنها ، وأن لا يضرهم نيران المعركة بين الأخوة . امثل أخيل لارادة إيفجينيا ، وإن كان يرثي لهذه العذراء الحسنة ، التي أحبها لتصميمها العظيم على التضحية بنفسها لأجل الصالح العام .

سارت إيفجينيا بكل هدوء إلى حيث مذبح الربة أرتميس . كانت إيفجينيا تسير رائعة وعظيمة بين صفوف المقاتلين الغفيرة ، ووقفت لدى المذبح . بكى أغاممنون حين نظر إلى ابنته الشابة ، ولكي لا يرى موتها غطى رأسه بمعطفه الفضفاض . وبإيعاز من المنادي تلتيبوس لاذ الجميع بالصمت العميق . أخرج العراف كالخاس سكين الأضاحي من غمدها ، ووضعها في سلة ذهبية . ووضع على رأس الفتاة إكليلاً ، كذلك الذي يوضع على رأس الضحية حين تقاد إلى المذبح . وخرج أخيل من صفوف المقاتلين ، وأخذ وعاء الماء المقدس والدقيق القرباني مع الملح ، ثم رش إيفجينيا والمذبح بالماء ، ورش رأس إيفجينيا بالدقيق ، وبصوت عال راح يتوسل للربة أرتميس أن تيسر رحلة القوات إلى الشواطئ الطراودية ، وتعقد لها النصر المؤزر على الأعداء . تناول كالخاس سكين الأضاحي بيده ، فتسمّر الجميع في أماكنهم وكأن على رؤوسهم الطير ، ورفع السكين كي ينحربها إيفجينيا ، وهاقد لامست السكين العذراء . وهنا حدثت المعجزة ، فقد اختطفت أرتميس إيفجينيا ، وبدلاً منها كان يتخبط لدى المذبح المضرج بالدم ، غزال نحره كالخاس ، وصاح جميع المقاتلين صيحة رجل واحد ، وقد أذهلتهم المعجزة . وصاح العراف كالخاس بصوت عال من فرط الفرح :

- ذلك هو القربان ، الذي طالبت به أرتميس العظيمة ، ابنة زوس . افرحوا أيها اليونانيون : إن الربة تبشرنا برحلة سعيدة وبالنصر المؤزر على طروادة .
وبالفعل فلم يكد الغزال ، الذي أرسلته أرتميس ، يحرق على المذبح حتى

تغير اتجاه الرياح، وأصبحت مواتية. وأسرع اليونانيون يستعدون للحملة الطويلة. كان الجميع في المعسكر فرحين. أما أغاممنون فقد هرع إلى خيمته ليخبر كليتمينسترة بما حدث، وليستعجلها العودة إلى ميسين.

حملت الربة أرتميس إيفجينيا، بعد أن اختطفها عن المذبح، إلى سواحل بونت ايفكسين، إلى تاوريس^(٢١) البعيدة. وهناك أصبحت ابنة أغاممنون الحسنة كاهنة للربة.

أبحر اليونانيون بهدوء حتى الشواطئ الطروادية، فقد ظلت تهب ريح مواتية. وراحت المراكب تمخر عباب الموج بسرعة. إلى أن اقتربت أخيراً من الشواطئ الطروادية، حيث كان بانتظارهم الكثير من المصاعب والمخاطر والمآثر العظيمة.

السنوات التسع الأولى من حصار طروادة^(٢١):

سر اليونانيون أن رحلتهم الطويلة قد انتهت، لكن لم يكادوا يقتربون من الشواطئ حتى رأوا جيشاً عرمرماً من الطرواديين ينتظرهم هناك بقيادة هيكتور، الابن الجبار للملك الطروادي بريام. فكيف يرسو اليونانيون إلى الشاطئ؟ وكيف ينزلون؟ كان اليونانيون يعرفون أن الموت سيكون من نصيب أول من تظأ قدماء الشاطئ الطروادي، وكان بينهم البطل بروتيسيلوس^(٢٢)، الذي كان يتعطش للمآثر، وكان مستعداً لأن يكون أول من يقفز إلى الشاطئ. وبدأ قتال الطرواديين. لكنه متردد، فقد كان يعرف النبوءة: لسوف يهلك ذلك الاغريقي، الذي سيكون أول من تظأ قدمه الأرض الطروادية. وكان أوديسيوس يعرف ذلك بدوره. وهكذا، ولكي يجر المقاتلين خلفه دون أن يموت رمى أوديسيوس بترسه إلى الشاطئ، ثم قفز عليه بمهارة من على متن السفينة. رأى بروتيسيلوس أن

أوديسيوس قفز إلى الشاطئ، لكنه لم ير أن أوديسيوس يقف على ترسه، لا على الأرض الطروادية. اعتقد بروتيسيلوس أن أحد اليونانيين قد لامس الأرض الطروادية، فسيطر عليه التعطش لاجتراح المآثر. وثب بروتيسيلوس من السفينة إلى الشاطئ، وانقض على الأعداء ممتشقا سيفه. لوح هيكاتور برمحه الثقيل، وطعن به بروتيسيلوس الشاب طعنة قاتلة. فكان أول من ضرج بدمه الأرض الطروادية. أما اليونانيون فقد راخوا يقفزون من مراكبهم، وينقضون على الأعداء. كانت المعركة طاحنة، وتقهقر الطرواديون، ولاذوا بالفرار فاحتموا بأسوار طروادة المنيعة.

وفي اليوم التالي عقدت هدنة بين اليونانيين والطرواديين، لكي يتم جمع القتلى ومواراتهم الثرى.

بدأ اليونانيون بناء معسكر محصن. فأخرجوا سفنهم إلى الشاطئ، وتبركزوا في معسكر كبير، امتد على طول الشاطئ حتى جبال رويتيون. ومن جهة طروادة حصنوا معسكرهم بتلة عالية وخندق. ونصب أخيل خيمته في طرف المعسكر، بينما نصب أجاكس تيلامونيد خيمته في الطرف المقابل، لكي يرصدا حركات الطرواديين فلا يسمحا لهم بشن هجوم مباغت على اليونانيين. وفي وسط المعسكر كانت تنتصب خيمة فاخرة، إنها خيمة الملك أغامنون، الذي اختاره اليونانيون قائداً عاماً للقوات. وبالقرب من خيمة أغامنون كانت توجد ساحة للاجتماعات العامة. وقد نصب أوديسيوس الحكيم خيمته قرب الساحة لكي يعرف دائماً ماذا يجري في المعسكر. لم يكن في السابق يرغب المشاركة في الحملة، أما الآن فقد أصبح عدواً لدوداً للطرواديين، ويصر على أن يستولي اليونانيون على طروادة، ويدمروها مهما كان الثمن.

حين أنجز بناء المعسكر وتحصينه أرسل اليونانيون إلى طروادة الملك مينيلوس وأوديسيوس الداهية، للتفاوض مع الطرواديين. استقبل أنتينور الحكيم

الموفدين اليونانيين في داره، وأقام لهما مأدبة فاخرة. كان أنتينور يرغب من كل قلبه أن يعقد الصلح، وأن تلبى مطالب مينيلائوس الشرعية. أما بريام فما إن عرف بقدوم الوفد حتى دعا إلى اجتماع عام. وقد حضر مينيلائوس وأوديسيوس اجتماع الطرواديين. وفي كلمة قصيرة وحماسية طالب مينيلائوس أن يعيد له الطرواديون زوجته وكنوزه، التي خطفها باريس. وتحدث أوديسيوس بعد مينيلائوس. أصغى الطرواديون بكل متعة إلى الكلمة الساحرة، التي ألقاها ملك إيثاكة الحكيم. لقد حاول إقناعهم بتلبية مطالب مينيلائوس. وكان الشعب الطروادي مستعداً لأن يوافق على قبول كل شروط مينيلائوس، فهيلين نفسها نادمة على تصرفها الطائش، وتأسف لأنها غادرت دار زوجها من أجل باريس. ثم أن أنتينور راح يحاول إقناع الشعب بتلبية مطالب مينيلائوس. فقد كان يرى كم ستجرح حرب الطرواديين واليونانيين من مصائب. لكن أبناء بريام، وباريس بالدرجة الأولى، لم يكونوا يرغبون في صلح مع اليونانيين. لم يكن باريس يريد الانصياع للقرار الشعبي، وقد أيده أخوته. حتى أن أنتيماخ، الذي رشاه باريس، طالب الطرواديين بالقبض على مينيلائوس وقتله. لكن بريام وهكتور حالاً دون ذلك، فلم يسمحا باهانة المبعوثين، الموجودين تحت حماية زوس، قاذف الصواعق.

وهنا وقف العراف الطروادي هيلينوس، ابن بريام، وقال أنه لا داعي لأن يخاف الطرواديون من الحرب مع اليونانيين، فالآلهة تعيد طروادة بالمساعدة. صدق الطرواديون هيلينوس، وغادر الوفد اليوناني طروادة بخفي حنين. والآن كان سيبدأ القتال الدامي بين الطرواديين واليونانيين.

أوصد الطرواديون بوابات طروادة المنيعة، حتى هكتور لم يجرؤ على مغادرة المدينة، وأما اليونانيون فقد بدأوا الحصار. وقد حاولوا ثلاث مرات اقتحام المدينة، لكنهم لم يتمكنوا. وحينذاك بدأ اليونانيون يخربون ضواحي طروادة، ويحتلون كل المدن، التي كانت حليفة لطرودة. كان اليونانيون يشنون الحملات عليها براً

وبحراً . وقد تميز أخيل في هذه الحملات . فقد استولى اليونانيون على طيبة^(٢٣) . حيث كان يحكم إيتيون ، والد أندروماك Andromaque ، زوجة هكتور . وفي يوم واحد قتل أخيل أخوة أندروماك السبعة ، كما استشهد أبوها ، لكن أخيل لم يترك جثة إيتيون في العراء ، خوفاً من غضب الآلهة ، بل واراها الثرى^(٢٤) . أما والدة أندروماك فقد أخذت أسيرة ، واقتيدت إلى معسكر اليونانيين . كانت الغنيمة ، التي استولى عليها أخيل في طيبة ، كبيرة . فقد أسرخريسا (Chrynes) الحسنة ، ابنة خريس ، كاهن أبولون ، وبريسا (Bris2eis) الحسنة^(٢٥) . وقد قدم اليونانيون خريسا للملك أغاممنون .

ذاق سكان طروادة الأمرين خلال سنوات الحصار التسع ، وكم ندبوا من أبطال سقطوا في ساح الوغى . لكن العام الأقصى - العاشر - كان لايزال بانتظارهم . كانت النازلة الأفدح لاتزال في جعبة المستقبل ، إنها سقوط طروادة . وبدورهم عرف اليونانيون الكثير من المحن خلال سنوات الحرب التسع ، فقد لقي بالاميد الحكيم حتفه ، لكن ليس على يد الأعداء ، بل إن أوديسيوس الماكر هو الذي أودى بحياته . لقد أسدى بالاميد الكثير من النصائح الحكيمة لليونانيين ، وقدم لهم أكثر من مرة خدمات لاتقدر بثمن . فكان يشفي الأمراض والجروح بالأعشاب الطبية ، وبنى منارة لليونانيين ، لكي يعرفوا لدى مغادرتهم المعسكر أين يرسون في عتمة الليل . كان اليونانيون يحترمون البطل بالاميد ، ويعملون بنصائحه ولهذا السبب كان أودسيوس يكرهه . كما إن أوديسيوس لم ينس كيف كشف بالاميد حيلته ، حينما تظاهر بالجنون ، لكي لا يذهب إلى طروادة ، وكانت هذه الذكرى تزيد من كراهية أوديسيوس لبالاميد . فكر أوديسيوس طويلاً بالطريقة التي تمكنه من القضاء على بالاميد . وأخيراً انتهاز الفرصة المواتية حين راح بالاميد ينصح اليونانيين بوضع حد للحرب والعودة إلى الوطن . وضع

أوديسيوس خطة مكررة . فقد عمد تحت جناح الظلام إلى وضع كيس من الذهب في خيمة بالاميد ، وراح يؤكد للجميع أن بالاميد لا ينصح اليونانيين بوقف الحرب عبثاً ، وأنه إنما يسدي هذه النصائح لليونانيين لأن بريام قد رشاه . كان ثمة بين اليونانيين أنفسهم الكثيرون ممن لم يكونوا راضين عن بالاميد . فلو أن اليونانيين أخذوا بنصائح بالاميد إذن لحرموا من الغنيمة الكبيرة ، التي ستكون من نصيبهم ، بعد الاستيلاء على طروادة . كل هؤلاء المستائين صدقوا وشاية أوديسيوس بكل طيبة خاطر . وحين رأى أوديسيوس أن الكثيرين بدأوا يصدقون خيانة بالاميد ، ويهدف إقناع الجميع أن بريام قد رشا بالاميد فعلاً ، أخبر (أوديسيوس) أغاممنون أن بالاميد على اتصال ببريام من خلال الأسير الفريجي ، الذي حاول الفرار من معسكر اليونانيين إلى طروادة ، فأمسك به خدم أوديسيوس وقتلوه . وفي الوقت نفسه كتب أوديسيوس رسالة من بريام إلى بالاميد ، وقد ورد فيها أن بريام أرسل له كيساً من الذهب ، لقاء قيامه - بالاميد - بإقناع اليونانيين بفك الحصار والعودة إلى الوطن . وقد سلم أوديسيوس هذه الرسالة للأسير الفريجي ، وأمره بحملها إلى بريام . وما إن غادر الفريجي معسكر اليونانيين حتى انقض عليه خدم أوديسيوس وقتلوه ، أما الرسالة فحملوها إلى ملكهم . وعلى جناح السرعة انطلق أوديسيوس إلى خيمة أغاممنون ، حاملاً هذه الرسالة ، وللحال استدعى أغاممنون جميع الزعماء ، بمن فيهم بالاميد ، الذي لم يخطر له ببال مدى الخطر الذي يتهدده . وهنا وجه أوديسيوس لبالاميد تهمة الخيانة . وعبثاً راح بالاميد يؤكد للزعماء أن فكرة الخيانة لم تخطر له ببال . ومن أجل إثبات التهمة نصح أوديسيوس بتفتيش خيمة بالاميد . ولدى تفتيشها عثر فيها على كيس الذهب فعلاً . وهنا صدق الجميع أن بالاميد خائن . حوكم بالاميد ، وحكم عليه بالموت رجماً . ربطوا بالاميد البريء بالسلاسل الثقيلة ، وقادوه إلى الشاطئ . وعبثاً راح بالاميد يستحلف اليونانيين ألا يقتلوه ، وأن لا ينفذوا حكم الإعدام الرهيب به ، وهو البريء . لكن

أحداً لم يصغ له . وبدأت عملية الإعدام . لم يطلق بالاميد أهة واحدة ، ولا شكوى واحدة . وقبل الموت قال بصوت خافت :
- أيتها الحقيقة ، إنني أرثي لك ، فقد مُتَّ قبلي .
تلکم كانت الكلمات الأخيرة لأكثر أبطال اليونان نبلاً وحكمة . وقبلاً بعد دفع اليونانيون غالباً ثمن قتل بالاميد . فقد انتقم منهم نوبليوس^(٢٦) : ملك إيثيبيا ووالد بالاميد .

لم يكتف أغاممنون بإنزال عقوبة الموت ببالاميد ، بل وحكم على روحه بالتطواف الأبدي ، فلم يسمح أغاممنون بمواراة جثة بالاميد الثرى . فتركت على شاطئ البحر ، تمزقها وحوش الفلاة والطيور الجارحة . لكن أجاكس تيلامونيد الجبار لم يسمح بذلك . بل أقام طقوس الدفن على جثة بالاميد ودفنها بكل إجلال ، فأجاكس لم يصدق أن بالاميد خان اليونانيين .

نزاع أخيل مع أغاممنون^(٢٧) :

حل العام العاشر من الحرب العظيمة . وفي مطلع هذا العام وصل معسكر اليونانيين خريس كاهن أبولون النبال ، وراح يتوسل إلى اليونانيين أن يعيدوا له ابنته خريسا ، لقاء فدية سخية . لدى سماع الكاهن خريس وافق الجميع على تسليم خريسا إلى والدها لقاء فدية سخية ، لكن الملك أغاممنون غضب ، وقال لخريس :

- اذهب أيها العجوز وإياك أن تتجاسر على الظهور لدى مراكبتنا هنا ، فلن ينقذك شيء ، حتى ولو أنك كاهن الاله أبولون ، لن أعيد لك خريسا . لسوف تبقى طيلة حياتها تتعذب في الأسر . حاذر أن تغضبني إذا كنت تريد العودة إلى بيتك سالماً .

غادر خريس معسكر اليونانيين خائفاً. وذهب إلى شاطئ البحر وهو حزين. وهناك رفع يديه نحو السماء، ورح يستغيث بالاله أبولون العظيم، ابن ليتو:

- أيها الاله ذو القوس الفضي! اصغ إلي أنا خادمك المخلص! انتقم بسهامك من اليونانيين على ماجروه علي من حزن وإهانة.

سمع أبولون شكوى كاهنه خريس، فاندفع مسرعاً من على الأولب حاملاً قوسه وجعبة سهامه على كتفه. كانت السهام الذهبية تصدر رنيناً رهيباً داخل الجعبة. انطلق أبولون نحو معسكر اليونانيين، وهو يغلي من شدة غيظه، وكان وجهه أشد سواداً من عتمة الليل، رن وتر قوس أبولون بشكل رهيب، وأعقب السهم الأول ثان وثالث، ومثل حبات البرد راحت السهام تتساقط على معسكر اليونانيين، حاملة معها الموت. وباء رهيب حل بالمقاتلين، فكانت محارق الدفن تلتهب في كل مكان.

استمر الوباء تسعة أيام، يضرب ذات اليمين وذات الشمال، وفي اليوم العاشر عمد أخيل، بنصيحة من هيرا، إلى عقد اجتماع لليونانيين لمعرفة كيفية استرحام الآلهة. وحين التأم شمل الجميع قال أخيل موجهاً كلامه لأغاممنون:

- سنكون مضطرين للعودة إلى الوطن يا ابن أتريوس، فأنت ترى أن المقاتلين يقتلون في المعارك وبسبب الوباء، لكن ربنا نسأل العرافين أولاً: فيخبرونا بماذا أغضبنا أبولون، حامل القوس الفضي.

وهنا نهض العراف كالخاس، الذي سبق له أن كشف لليونانيين مشيئة الآلهة أكثر من مرة. وقال أنه على استعداد للكشف عن سبب سخط الإله، الذي يصيب بنباله عن بعد، لكنه لن يكشف عن ذلك إلا بشرط أن يحميه أخيل من غضب الملك أغاممنون. وقد وعده أخيل بحمايته، وأقسم على ذلك بأبولون. وحينذاك قال كالخاس:

- إن ابن ليتو العظيم ساخط لأن الملك أغاممنون أهان كاهنه خريس ، فطرده من المعسكر دون أن يقبل منه فدية سخية لابنته . ليس بوسعنا أن نسترحم الإله إلا إذا أعدنا للأب خريسا ، ذات العينين السوداوين وضحينا للاله بمئة عجل .
ثارت ثائرة أغاممنون على أخيل ، ومع ذلك فحين رأى أنه لامندوحة من إعادة خريسا إلى والدها ، وافق على ذلك أخيراً . لكنه طالب بمنحه مكافأة على إعادتها . وحين وبخه أخيل على أنانيته وحبه لمصلحته راح أغاممنون يهدد بأنه سيستخدم سلطته لأخذ مكافأة على خريسا من حصص أخيل أو أجاكس أو أوديسيوس من الغنائم ، فصاح به أخيل :

- يالك من أناني وقح وغادر . تهددنا بانتزاع غنائمنا على الرغم من أن أياً منا لم يحصل أبداً على ما يعادل نصيبك . علماً أننا لم نأت إلى هنا لنحارب من أجل أنفسنا ، بل جئنا إلى هنا لمؤازرتك أنت ومينيلوس . إنك تريد أن تنتزع مني جزءاً من تلك الغنيمة ، التي حصلت عليها لقاء مآثري العظيمة . الأفضل إذن أن أعود أدراجي إلى بلادي فتوتيد ، فلست أريد أن أزيد غنائمك وكنوزك .
وصاح أغاممنون بأخيل :

- طيب ، اجر إلى فتوتيد ، فأنا أكرهك أكثر من أي ملك آخر ، فأنت وحدك تنوي الفتنة . لست أخاف غضبك . هاك ما سأقول لك ! لسوف أعيد خريسا إلى والدها ، طالما هذه هي رغبة الإله أبولون ، لكنني سأنتزع منك بريسا ، لسوف تعرف كم أنا أوسع منك سلطاناً ، وهذا ما سيجعل الآخرين يخافون أن يعتبروا أنفسهم في منزلي .

استولى على أخيل غضب فظيع حين سمع تهديد أغاممنون هذا ، ووضع ابن ثيتيس يده على سيفه ، واستله من غمده حتى النصف ، وهم بالانقضاض على أغاممنون ، وفجأة شعر أخيل بلمسة رقيقة على شعره . ولم يكذب يلتفت حتى ترنح من فرط الرعب .

فقد كانت أثينا بالاس، ابنة قاذف الصواعق تقف أمامه، دون أن يراها الآخرون. كانت هيرا هي التي أرسلت أثينا، فلم تكن زوجة زوس تريد الهلاك لا لهذا البطل ولا لذلك. فقد كانا كلاهما، أخيل وأغاممنون، عزيزين عليها. وسأل أخيل الربة أثينا بوجل:

- لماذا نزلت يا ابنة زوس قاذف الصواعق عن الأولب العالي؟ هل يعقل أنك جئت إلى هنا لكي تري جنون أغاممنون؟ لسوف يقضي على نفسه قريباً بغروره.

وأجابت بالاس، ذات العينين الدعجاوين:

- كلا يا أخيل العظيم، لم آت إلى هنا لهذا السبب، بل جئت أحد من غضبك. لا تمتشق سيفك، بل اكتف بالكلام، اضرب اغاممنون بالكلام. وصدقني أنهم سيدفعون لك عما قريب، وفي هذه المكان، هبات أكثر من هذه بكثير، اعقل، واخضع لمشيئة الآلهة الخالدين. رضخ أخيل لمشيئة الآلهة، فأعاد سيفه إلى غمده، وعادت أثينا أدراجها إلى الأولب.

وجه أخيل إلى أغاممنون الكثير من الكلمات الساخطة، واصفاً إياه بملتهم الشعب والسكير والجبان والكلب. ثم ألقى أخيل بصولجانه أرضاً، وأقسم أنه سيحل ذلك الوقت، الذي سيصبحون فيه بأمس الحاجة إلى مساعدته ضد الطرواديين، لكن توصلات أغاممنون إليه لتقديمها ستكون عبثاً، ولم تجد فتية محاولات الملك الحكيم بيلوس ولا الشيخ نسطور، الرامية إلى مصالحة الخصمين. فلم يصغ أغاممنون لنسطور، ولم يرعو أخيل. انصرف ابن بيلياس العظيم، غاضباً مع صديقه باتروكلوس والميرميدونيين الأبطال إلى خيامهم، كان السخط لا يزال يضطرم في صدره.

أما أغاممنون فقد أوعز بإنزال مركب سريع في البحر، ونقل قرابين الإله أبولون إليه، وعلى متنه وضعت ابنة خريس الحسنة، كان على المركب أن يبحر إلى طيبة تحت إشراف أوديسيوس الداهية، أما اليونانيون في المعسكر فكان عليهم - كما أوعز أغاممنون - أن يقدموا القرابين السخية لأبولون كي يرأف بهم، ويرضى عنهم. انطلق المركب، الذي أرسله أغاممنون، يمحرجاب اليم بسرعة. إلى أن وصل أخيراً مرفأ طيبة. أنزل اليونانيون الأشرعة، ورسوا إلى الرصيف. نزل أوديسيوس من المركب على رأس ثلة من المحاربين. وقاد خريسا الحسنة إلى والدها، وخاطبه بقوله:

- لقد جئت إليك يا خادم أبولون بأمر من أغاممنون، لكي أعيد لك ابنتك. كما أحضرنا مئة ثور، لكي نستغفر الإله أبولون العظيم بهذه القرابين، صل ياخريس للاله قاذف النبال:

- ألا أيها الاله، يا صاحب القوس الفضي! اصغ إلي! رد النازلة الكبرى، التي حلت باليونانيين، وأوقف الوباء القاتل.

سمع الاله أبولون صلاة خريس فأوقف الوباء في معسكر اليونانيين. وحين قدم خريس القرابين لأبولون أقيمت مأدبة فاخرة، وراح اليونانيون في طيبة يمرحون. وكان الفتيان يملؤون أقداح النبيذ، ويقدمونها للضيوف، وترددت عالياً أصوات النشيد المهيبة تمجد أبولون. استمرت المأدبة حتى غروب الشمس، وعند الصباح عاد أوديسيوس ومرافقوه أدراجهم. وقد أرسل لهم أبولون ريحاً مواتية، فاندفع مركبهم عبر الأمواج كطائر النورس، ووصل معسكر اليونانيين بسرعة. أخرج اليونانيون المركب إلى الشاطئ، ثم انصرفوا كل إلى خيمته.

بينما كان أوديسيوس في طريقه إلى طيبة نفذ أغاممنون ما كان قد هدد به أخيل. فقد استدعى المنادين تالشيبي واثريبات، وأرسلهما في طلب بريسا. سار رسولا أغاممنون إلى خيمة أخيل مكرهين، وقد وجدا أخيل جالساً أمام الخيمة وهو

غارق في تأملاته . اقترب الرسولان من البطل الجبار، لكن الارتباك عقد لسانيهما فلم يستطيعا أن ينبسا ببنت شفة . وحينذاك قال لهما ابن بيلياس :
- مرحباً بكما أيها المناديان . إنني أعرف أنه لا ذنب لكما، وأن أغامنون وحده المذنب . لقد جئتما في طلب بريسا . سلمهما بريسا يا صديقي باتروكليس . لكن دعهما يشهدان على أنه سيأتي الوقت الذي سيحتاجون فيه إلي لانقاذ اليونانيين من الهلاك، ولن يكون بوسع أغامنون، الذي فقد عقله، أن ينقذ اليونانيين .

غادر أخيل أصدقاءه، وهو يذرف الدمع المر، قاصداً الشاطئء المهجور، ومد يديه نحو البحر، ونادى الربة ثيتيس بصوت عال :
- ألا يا أمي إذا كنت قد أنجبتني لأعيش حياة قصيرة فلماذا يحرمني زوس من المجد! لقد أهانني الملك أغامنون، إذ انتزع مني مكافأتي على مآثري . أرجو أن يصلك ندائي يا أماه .

سمعت الربة ثيتيس نداء أخيل، فغادرت لجة البحر وقصر الاله نير يوس العجيب، وخرجت بسرعة، مثل الغيمة الخفيفة من أمواج البحر المزبدة إلى الشاطئء، ثم جلست قرب ولدها المحبوب، وعانقته، وهي تسأله :
- مابالك تبكي بهذه الحرقه يا ولدي؟ اخبرني عن مصيبتك .

روى أخيل لأمه كيف أهانه أغامنون بفضاعة، وراح يتوسل إليها أن تصعد إلى الأولب، وتطلب من زوس أن يعاقب أغامنون . فليساعد زوس الطرواديين، وليجعلهم يطاردون اليونانيين حتى سفنهم . وليجعل أغامنون يفهم كم أخطأ في سلوكه حين أهان أكثر المقاتلين بسالة . وراح أخيل يؤكد لوالدته أن زوس لن يرد طلبها، ويكفيها أن تذكر زوس كيف ساعدته ذات مرة حين حاول آلهة الأولب الاطاحة به، بعد أن وضعوه في الاصفاد . وحينذاك استغاثت ثيتيس ببريارس Briarée الجبار، ذي المئة يد، لمساعدة زوس، واذراه الآلهة خافوا، ولم يجرؤوا على

رفع أيديهم على زوس ، فلتذكر ثيتيس زوس العظيم ، قاذف الصواعق ، بهذا ، فلا يرد طلبها . هكذا راح أخيل يتوسل إلى والدته ثيتيس .

وصاحت ثيتيس ، وهي تبكي بحرقة : آه ياولدي الحبيب ! لماذا أنجبتك لتعاني من كل هذه المصائب؟ نعم لن تكون حياتك طويلة ، وعمّا قريب ستحل نهايتك . إنك لن تعمّر طويلاً ، إنك أكثر الجميع بؤساً . لسوف أصعد إلى الأولمب المشرق . وهناك سوف أتوسل إلى زوس أن يساعدك . أما أنت فابق في خيمتك ، ولا تشارك في المعارك بعد الآن . الآن غادر زوس الأولمب ، فقد دعاه الاثيوبون^(٢٨) إلى مأدبة . ولكن حين سيعود سوف أركع عند قدميه ، وكلي أمل أن لا يردني خائبة .

غادرت ثيتيس ولدها الحزين ، الذي مشى باتجاه خيام مقاتليه الميرميدونيين البواسل ، ومنذ ذلك اليوم لم يعد أخيل يشارك ، لا في اجتماعات الزعماء ، ولا في المعارك .

مر أحد عشر يوماً . وفي صباح اليوم الثاني عشر صعدت ثيتيس برفقة الضباب الشائب من لجة البحر إلى الأولمب . وهناك ارتمت عند أقدام زوس ، واحتضنت ركبتيه ، ومدت يديها متوسلة نحوه ، فلامست ذقنه ، وهي تقول :

- هلا ساعدتني يا أبانا في الانتقام لولدي . لا تردني خائبة إذا كان قد سبق لي أن قدمت لك خدمة . ولا تكف عن إرسال النصر للطرواديين إلى أن يبدأ اليونانيون يتوسلون لولدي أن ينجدهم وإلى أن يقدموا له كل فروض الإجلال .

ظل زوس سائق الغيوم لا يرد على ثيتيس طويلاً ، لكنها ظلت تتوسل إليه بإصرار . أخيراً قال قاذف الصواعق ، وهو يتنفس الصعداء :

- فلتعرفي يا ثيتيس أنك بطلبك هذا ستثيرين سخط هيرا ، فلسوف تغضب

علي ، ثم إنها لا تكف تلومني أنني أساعد الطرواديين في المعارك . ومع ذلك أعدك بتنفيذ طلبك ، وهاك إشارة على أنني سأفي بوعدتي .
لم يكد زوس ينتهي من كلامه حتى قطب حاجبيه ، وقف شعر رأسه ، وماد الأوبل كله ، فاطمأنت ثيتيس ، وأسرعت تغادر الأوبل العالي ، ثم غرقت في لجة اليم .

أما زوس فقد قصد المأدبة ، التي كانت تضم الآلهة ، فنهضوا جميعهم لملاقاته ، ولم يجرؤ أي منهم على الترحيب به جالساً . وحين جلس ملك الآلهة والناس على عرشه قالت له هيرا ، وكانت قد رأت قدوم ثيتيس إليه :
- هلا أخبرتني أيها الماكر بمن من الفنانين اجتمعت خفية ؟ إنك أبداً تخفي نواياك وأفكارك عني .

وأجابها زوس :

- لا تأملي ياهيرا في أن يأتي وقت تعرفين فيه كل ما يدور في خلدي . إن مابالامكان معرفته ستعرفينه قبل الآلهة جميعاً ، لكن لا تحاولي أن تعرفي كل أسراري ، ولا تسألي عنها .

فردت هيرا :

- إنك تعرف - ياسائق السحب - أنني لم أحاول أبداً معرفة أسرارك . فأنت دائماً تقرر كل شيء بدوني ، لكنني أخاف أن تكون ثيتيس قد أقنعتك اليوم بالانتقام لابنها أخيل ، فتودي بحياة الكثيرين من اليونانيين . إنني أعرف أنك قد وعدتها بتلبية طلبها .

ألقى زوس نظرة مخيفة على هيرا ، وغضب من زوجته لأنها ترصد كل حركاته وسكناته . وبلهجة ساخطة أمرها زوس أن تجلس صامتة ، وأن تخضع لإرادته ، إلا إذا كانت تريد أن يعاقبها . خافت هيرا من غضب زوس ، فلاذت بالصمت وهي على عرشها الذهبي . وخاف الآلهة من هذا النزاع . وحينذاك

نهض الاله هيبايستوس الأعرج، وراح يلوم الإلهين لأنهما يبدآن المشاحنة بسبب الفانين .

وذكر هيبايستوس هيرا كيف أنزله زوس إلى الأرض لأنه سارع لمساعدة أمه، حين غضب منها زوس، قاذف البروق. تناول هيبايستوس قدحاً ملاء من السلسبيل، ثم قدمه لهيرا، فابتسمت هيرا. وراح هيبايستوس يغرف السلسبيل من الدن، ويقدمه للآلهة. فابتسم الآلهة وهم يرون هيبايستوس الأعرج وهو يجمع في قاعة الاجتماعات. ومن جديد ساد المرح مآدبة الآلهة، وظلوا يحتفلون حتى غروب الشمس، دون أن يعكروا مزاجهم شيء، على إيقاع قيثاره أبولون الذهبية، وغناء ربات الإلهام، وحين انتهت المآدبة أوى الآلهة إلى مضاجعهم. وراح الأولب كله في سبات عميق.

اجتماع المحاربين الإخائيين^(٢٩) ثيرسيت^(٣٠):

وفي سبات عميق راح أيضاً معسكر اليونانيين وطروادة العظيمة. لكن لم يغمض لزوس، قاذف الصواعق، جفن، بل كان يفكر بطريقة ينتقم فيها لاهانة أخيل. أخيراً قرر زوس، سائق السحب، أن يسلط على أغاممنون الحلم الكاذب. وهكذا فقد استدعى إله النوم، وأرسله إلى أغاممنون قائلاً:

- انطلق على أجنحتك السريعة أيها الحلم الكاذب، وامثل في حضرة أغاممنون، وأنبئه أن يقود اليونانيين إلى المعركة، وقل له أنه سوف يستولي اليوم على طروادة العظيمة، لأن هيرا توسلت إلى جميع الآلهة أن لا يساعدوا الطرواديين، وهكذا فإن الهلاك يتهدد طروادة الآن.

انطلق إله النوم إلى الأرض على عجل، وبعد أن اتخذ هيئة الشيخ نسطور، الذي كان أغاممنون يكن له كل الاحترام، ظهر له في الحلم، وقال له كل

مأموره به قاذف الصواعق . استيقظ أغاممنون ، لكن خيل إليه أن الكلمات ، التي سمعها في الحلم ، لاتزال تتردد في أذنيه . نهض ملك ميسين من فراشه ، وارتدى ثيابه الفاخرة على عجل ، وأخذ صولجانه الذهبي في يده ، ثم سار إلى حيث كانت مراكب اليونانيين قد أخرجت إلى الشاطيء ، وفي هذا الوقت كان الفجر قد انبلج ، وبدأ نوره يغمركل شيء . استدعى أغاممنون المناادين ، وأمرهم بدعوة جميع المقاتلين إلى اجتماع عام . أما الزعماء فقد جمعهم ملك ميسين الجبار عند مركب الشيخ نسطور ، وروى لهم الحلم ، الذي أرسله له زوس قاذف الصواعق . قرر الزعماء التحضير للمعركة ، وقبل أن يحشدوا قواتهم تحت أسوار طروادة أراد أغاممنون أن يمتحنهم : فقرر أن يعرض على اليونانيين العودة إلى الوطن . وبينما كان الزعماء يتشاورون راح المقاتلون يتوافدون إلى الاجتماع . كان المقاتلون يجتمعون بأعداد غفيرة لاتحصى مثل أسراب النحل ، التي طارت من الكهوف الجبلية ، وقد وجد المنادون صعوبة بالغة في إحلال الصمت ، كي يتمكن الملوك من مخاطبة الشعب . أخيراً انتظم المقاتلون ، وخيم الصمت . كان أغاممنون أول المتكلمين إلى الشعب ، فقد وقف في مكانه والصولجان في يده ، وراح يتحدث عن مصاعب الحرب ، وعن أن اليونانيين حاربوا عبثاً تحت أسوار طروادة ، وأنهم لن يتمكنوا - على ما يبدو - من الاستيلاء على طروادة الحصينة ، وسيضطرون للعودة على أعقابهم بخفي حنين . ومن الواضح أن الآلهة نفسها تريد لليونانيين العودة إلى وطنهم . أصغى المقاتلون لكلمة أغاممنون وكأن على رؤوسهم الطير . وهاج الشعب وماج ، كما البحر حين تهب عليه رياح نوطس وايفر^(٣١) ، فترفع الأمواج العاتية فوقه . انطلق الجميع نحو المراكب ، وهم يطلقون صيحات عالية . وقد مادت الأرض تحت وقع أقدام المقاتلين ، وارتفعت سحب الغبار ، وترددت الصيحات في كل أرجاء المعسكر . كان الجميع يريدون إنزال المراكب إلى الماء بأسرع وقت ، فقد كانوا بأشد الشوق للعودة إلى الوطن .

وصلت صيحات المقاتلين حتى الألب، وخوفاً من أن يوقف اليونانيون حصار طروادة أرسلت هيرا، أثينا بالاس إلى المعسكر لكي توقفهم . وكالعاصفة الهوجاء انطلقت أثينا، فتجلت أمام أوديسيوس، وقالت له :

- ألا يا ابن لايرت النبيل، هل يعقل أنكم قررتم جميعاً الهرب إلى الوطن؟ وهل يعقل أنكم ستتركون هيلين الحسنة، وفي ذلك سعادة بريام والطرواديين؟ هيا عجل واقنع المقاتلين بعدم مغادرة طروادة .

ما إن سمع أوديسيوس صوت الربة الرهيب حتى ألقى معطفه على كتفيه، وانطلق نحو المراكب . وبعد أن أخذ الصولجان، شارة السلطة العليا، من أغاممنون، الذي صادفه، راح يحاول إقناع الزعماء والمقاتلين العاديين أن لا ينزلوا المراكب إلى الماء، ويهيب بالجميع أن يعودوا لحضور اجتماع عام، وراح أوديسيوس يضرب بالصولجان أولئك الذين كانوا يضجون، ويستعجلون مغادرة سواحل طروادة . ومن جديد عاد الجميع إلى الساحة . كانت جماهير الناس تسير، وهي تطلق صيحات مدوية، لكأنها أمواج البحر المصطخب، التي تتكسر كهزيم الرعد على الشاطئ الصخري . أخيراً، انتظمت صفوف المقاتلين، ولاذوا بالصمت . وحده ثيرسيت استمر في الصياح . كان ثيرسيت يقف باستمرار ضد الملوك . وكان يكره بشكل خاص أوديسيوس وأخيل العظيم، ابن ثيتيس . والآن راح ثيرسيت يصرخ بصوت عال، ويشتم أغاممنون، كان يصيح أن أغاممنون حصل على الكثير من الغنائم والإماء، وأنه يكفيه ما حصل عليه من فديات سخية لقاء الطرواديين النبلاء، الذين يقعون في أسر المقاتلين العاديين . وراح ثيرسيت يهيب بالجميع أن يسرعوا في العودة إلى الوطن، وكانت نصيحته أن يترك أغاممنون تحت أسوار طروادة لوحده . وحينذاك سيكتشف ابن أتريوس ما إذا كان المقاتلون قد ساعدوه، وما إذا كانوا خدماً مخلصين . كان ثيرسيت يلوم أغاممنون، ويصف

أخيل - في نفس الوقت - باللامبالاة . وصل صياح ثيرسيت إلى مسامع أوديسيوس ، فاقترب منه ، وصاح به بهول :
- لا تجرؤ أيها الأحمق على شتم الملوك . وإياك والحديث عن العودة إلى الوطن . من يعرف كيف ستكون نهاية العمل الذي بدأناه؟ اسمع ، ولاتنس أي سأنفذ ما أقول : إذا ماسمعتك مرة أخرى ، أيها المجنون ، وأنت تشتم الملك أغاممنون ، إذن فالأفضل أن يقطعوا رأسي ، ولن أكون أب تليماخ إن لم أمسك بك ، وأمزق كل ما عليك من ثياب ، وأوسعك ضرباً ، ثم أطرده من الاجتماع العام باتجاه المراكب ، وأنت تبكي ألماً .

هكذا صاح أوديسيوس بصوت رهيب ، ثم لوح بالصولجان ، وهوى به على ظهر ثيرسيت . ومن شدة الألم طفرت الدموع من عيني ثيرسيت ، وانتفخ حزام أرجواني على ظهره ، وراح ، وهويرتجف من الخوف ، يعبس ، ويمسح دموعه المتدحرجة بيده . ضحك الجميع بصوت عال ، وهم ينظرون إلى ثيرسيت ، ويقولون :

- لقد انجز أوديسيوس الكثير من الأعمال المجيدة إن في المجلس أو المعركة ، لكن هذه أروع مآثره ، كيف كبح جماح هذا الصاحب . لن تواتيه الجرأة بعد الآن على شتم الملوك ، أحباب زوس .

أما أوديسيوس فقد ألقى كلمة في الناس ، وإلى جانبه كانت تقف أثينا بالاس في هيئة رسول . وراح أوديسيوس يحاول إقناع اليونانيين بعدم وقف حصار طروادة ، ويقول لهم أنهم إذا ما عادوا إلى الوطن قبل الاستيلاء على طروادة ، فسيجلبون العار على أغاممنون وعلى أنفسهم ؛ هل يعقل أنهم ، كالأطفال الصغار ، أو النساء الأرامل ، سيعودون إلى الوطن بسبب قلة اهتمامهم ، وهل يعقل أنهم نسوا نجوعات كالحاس بضرورة الانتظار؟ وهل يعقل أن الجميع نسوا تلك الدلالة التي أرسلها زوس في أوليس؟ ففي العام العاشر فقط كتب لليونانيين

الاستيلاء على طروادة . لقد استطاع أوديسيوس بخطبته أن يعيد التعطش للمآثر إلى الجميع . فراح اليونانيون يطلقون هتاف الترحيب بكلمة أوديسيوس ، فيتردد صدى هتافهم في كل مكان . وهنا نهض الشيخ نسطور، فران السكون من جديد . وبدوره نصح نسطور بالبقاء وخوض المعركة ضد الطرواديين . وقد نصح أن تصطف الجيوش أثناء القتال حسب القبائل ، والأفخاذ، لكي تساعد القبيلة القبيلة والفخذ الفخذ . وحينذاك سيعرف من من الزعماء أو أفراد القبيلة الخائف ومن منهم الشجاع ، وما السبب في أن طروادة لم تفتح حتى الآن - بمشيئة الآلهة ، أم لأن الزعماء لا يعرفون شؤون القتال . وافق أغاممنون على هذا ، وأوعز للمقاتلين بالانصراف لتناول طعام الغداء ، والاستعداد من ثم لخوض المعركة الدامية ، التي لن تعطى فيها الراحة لأي كان ، ولوللحظة واحدة ، والويل كل الويل لمن سيتهرب من المعركة ، فسوف يرمى به للكلاب والطيور الجارحة .

أطلق المقاتلون صيحة قوية ، كما يصطحب البحر أثناء العاصفة الهوجاء ، حين تسوق الرياح الأمواج العالية علو الجبال ، وأسرع الجميع إلى الخيام ، وانتشر الدخان في كل أرجاء المعسكر . أكل اليونانيون استعداداً للمعركة ، وقدم كل منهم قرباناً للإله ، وتوسل إليه أن تكتب له النجاة في المعركة الطاحنة . أما أغاممنون فقد قدم قربانه لزوس . فقد نحر ثوراً سميناً عند المذبح ، الذي تحلق من حوله مشاهير الأبطال ، وراح يصلي لزوس أن يكتب له النصر ، وأن يساعده في الاستيلاء على طروادة المنيعة وقصر الملك بريام قبل أن يخيم الليل على الأرض ، كما صلى له أن يمكنه من تعفير هكتور بالتراب . بيد أن زوس - قاذف الصواعق ، لم يستجب لدعاء أغاممنون ، بل أعد لملك ميسين الكثير من الفشل في ذلك اليوم . فبعد أن قدم القربان ، وانتهت طقوس التضحية ، راح الشيخ نسطور يستعجل الزعماء قيادة القوات إلى ساح المعركة .

أسرع الزعماء إلى محاربيهم ، وراح الرسل يجمعون المقاتلين بصوت عال .

وضع الزعماء المقاتلين في تراتيب القتال ، وقادوهم إلى أسوار طروادة . كانت الأرض تئن تحت وقع خطوات المقاتلين وسنابك الخيول . وقد ملأت القوات كل وادي اسكمندر^(٣٣) . كان المحاربون يتشوقون لقتال الطرواديين . وكانت أثينا بالاس تطوف صفوف القوات جيئة وذهاباً . كانت تشجع المحاربين على القتال ، وتبث فيهم روح الرجولة والصمود . وفي مقدمة القوات كان الزعماء يمتطون متن مركباتهم . وكان الملك أغاممنون يبزهم جميعاً بمظهره الرهيب ، الشبيه بزوس قاذف الصواعق . كانت القوات تسير بانتظام ، صفّاً إثر صف ، نحو أسوار طروادة .

المبارزة بين مينيلوس وباريس^(٣٣) :

انطلقت إيريس ، رسولة الآلهة ، من على الأوبل على عجل . وأخبرت الطرواديين ، بعد أن ظهرت لهم في هيئة بوليتوس ، ابن بريام ، أن قوات لاتحصى خرجت من معسكر اليونانيين ، وبدأت تقترب من طروادة . حين وصلت إيريس إلى طروادة كان الطرواديون يعقدون اجتماعاً عاماً ، وقد عمد هكتور إلى فض الاجتماع فوراً .

سارع مواطنو طروادة وحلفاؤهم إلى التسلح واتخاذ وضعية القتال . فتحت بوابات طروادة ، وبدأت تخرج منها فصائل الطرواديين وحلفائهم الواحدة تلو الأخرى . كان الطرواديون يسرون وهم يطلقون صيحات قوية ، كما أسراب الغرانتق في السماء . أما اليونانيون فكانوا يقتربون بصمت مطبق . وكانت سحب الغبار تغطي السهل كله .

التقى الجيشان ، لكنهما لم يلتحما بعد في المعركة . خرج باريس من صفوف الطرواديين ، وكان قد ألقى جلد النمر الأرقط على كتفه ، وعلى ظهره القوس وجعبة السهام ، وعلى فخذه سيف قاطع ، وفي يده كان يمسك برمحين . وقف

باريس ، وراح يدعو الإخائيين لمنازلته . ولم يكد مينيلابوس يرى باريس حتى نزل من عربته ، وخرج إلى الأمام . تقدم مينيلابوس لمنازلة باريس فرحاً ، كالليث الذي عثر فجأة على فريسة دسمة .

ما إن رأى باريس مينيلابوس حتى اختلج فؤاده ، واختفى بين أصدقائه ، خوفاً من الموت . وإذ رأى هكتور جبن أخيه راح يربخه :

- إنك جريء بالمظهر فقط . كان الأفضل أن لاتولد فلا تجر علينا العار . هل يعقل أنك لاتسمع كيف يضحك منا اليونانيون ؟ لم تكفك جرأتك إلا لاختطاف زوجة مينيلابوس فجلبت الشقاء على طروادة بأسرها ! خفت مينيلابوس ! آه لو كان الطرواديون أكثر حزمًا وعزمًا إذن لرحمك من زمان بسبب ماجلبت عليهم من محن وأرزاء .

ورد باريس :

- يحق لك أن توبخني يا هكتور ، لكن اطمئن . لسوف أخوض النزال ضد مينيلابوس ، فقط أوعز للطرواديين بالتوقف . لسوف نتبارز أنا ومينيلابوس أمام الجيشين من أجل هيلين الحسنة . ومن ينتصر يقُد هيلين إلى داره .

ما إن سمع هكتور هذا الرد حتى خرج إلى وسط صفوف الطرواديين وأوقفهم . وهم اليونانيون برمي هكتور بالسهام ، حتى أن بعضهم رشقوه بالحجارة . لكن أغاممنون صاح بهم :

- مهلاً أيها اليونانيون ، قفوا أيها الإخائيون الأبطال ! إن هكتور ، صاحب الخوذة الساطعة ، يريد أن يوجه لنا كلمة .

حين سكت الجميع أعلن هكتور أن باريس يقترح فض الخلاف حول هيلين بالمبارزة . فرد عليه مينيلابوس بقوله :

- اصغ إلي . لقد آن الأوان من زمان لوقف هذا النزاع الدموي ؟ فلنتبارز أنا وباريس ، وليهلك منا من كتب على جبينه الهلاك : أما أنتم فاعقدوا الصلح

بعد ذلك . فلنضح للآلهة . نادوا الشيخ بريام : إن جميع أبنائه دهاة ، فليقسم قبل المباراة أنه سينفذ هذا الاتفاق .
فرح الجميع حين سمعوا هذا الاقتراح ، وللحال أرسل هكتور الرسل في طلب بريام .

وفي هذا الوقت ظهرت الربة إيريس لهيلين في هيئة لاوودقا (Laodice) الحسناء ، ابنة بريام ، ودعتها للصعود إلى البرج عند بوابة اسكيا ، حيث اجتمع شيوخ طروادة برئاسة بريام لمشاهدة المباراة بين باريس ومينيلوس . ارتدت هيلين ، ذات الشعر الرائع ، ثياباً فاخرة ، وأسرعت في أثر إيريس ، ترافقهما خادمتان ، وحين تذكرت هيلين زوجها السابق ووطنها واسبارطة الغالية ترققت الدموع في عينيها . رأى شيوخ طروادة هيلين قادمة ، فبدت لهم في غاية الحسن والجمال ، لدرجة أنهم راحوا ينظرون إليها بإعجاب ، وهم يقولون لبعضهم :

- كلا ، لا يجوز لوم اليونانيين ولا الطرواديين لأنهم يخوضون الصراع الدامي من أجل هذه المرأة الحسناء . كانت في الحقيقة تضاهي الرباط الخالدات جمالاً . لكن من الأفضل أن تعود إلى اليونان وحينذاك لن يعود الهلاك يتهددنا لانحن ولا أولادنا .

أما بريام فقد نادى هيلين ، وراح يسألها عن أولئك الأبطال ، الذين كان يراهم من فوق الأسوار . فدلته هيلين على أغامنون الجبار ، وأوديسيوس الداهية ، وأجاكس الكبير (ابن تيلامون) وايدومينوس - ملك كريت . دهش بريام ، وهو ينظر إلى هؤلاء الأبطال ، من مظهرهم المقاتل الجبار . وفي هذا الوقت وصل الرسل ، الذين بعثهم هكتور إلى بريام . نهض بريام على عجل ، وأمر بتحضير المركبة ، ثم انطلق نحو القوات عبر بوابة اسكيا .

نهض أغامنون وأوديسيوس للقاء الشيخ بريام . وقدمت القرابين للآلهة

الأولب . وأقسم الزعماء على مراعاة الاتفاق . وحينذاك قال الملك بريام مخاطباً قوات الطرواديين واليونانيين :

- أيها الأبطال الشجعان ، الطرواديون واليونانيون ! الآن سأبتعد إلى طروادة العظيمة . فليس لدي من القوة ما يسمح لي بمشاهدة منازل ولدي باريس مع الملك مينيلوس الجبار . إن زوس هو وحده الذي يعرف من كتب له الهلاك في هذه المعركة .

غادر بريام ساح المعركة ، أما هكتور وأوديسيوس فقد راحا يقيسان المكان للمبارزة ، وبعد ذلك وضعوا القرعة في الخوذة ، ثم راحا يخضانها لكي يعرف لمن سيكون رمي الرمح أولاً ، ففاز باريس .

تسلح باريس ومينيلوس ، ثم خرجا إلى مكان المبارزة ، وهما يهزان الرماح الثقيلة . كانت أعينهما تقدح شرراً وكراهية . لوح باريس برمحه ، ثم رمى به مينيلوس ، فوقع على ترسه الهائل دون أن يثقبه . التوى سنان الرمح إذ اصطدم بالنحاس ، الذي يغطي الترس ، ورفع مينيلوس صوته مستنجداً بزوس أن يساعده بالانتقام من باريس لكي لا يجزؤ أحد في المستقبل على مقابلة حسن الضيافة بالاثم . لوح الملك مينيلوس برمحه بشكل مخيف ، ثم قذف باتجاه ترس باريس ، فثقب الترس ، كما ثقب درع باريس ، ومزق قميصه . ولولم يثب باريس مبتعداً لكانت الضربة قاتلة . امتشق مينيلوس سيفه ، وضرب به باريس على خوذته ، لكن السيف انشطر من شدة الضربة إلى أربع قطع . انقض مينيلوس على باريس ، بعد أن فقد سيفه ، وأمسك به من خوذته ، وراح يجره على الأرض نحو صفوف اليونانيين ، وهنا جاءت الربة أفروديت لنجدة محظيها . وحين هم مينيلوس بطعن باريس برمحه ، وهو يجره على الأرض ، غطته الربة أفروديت بغيمة داكنة ، ثم حملته إلى طروادة على عجل . عبثاً راح مينيلوس يبحث عن باريس . فقد راح يبحث عنه كالوحش الكاسر ، في صفوف الطرواديين ، لكن لم

يستطع أحد أن يدلّه على ابن بريام، على الرغم من أن جميع الطرواديين كانوا يكرهونه. وصاح أغاممنون بصوت عال: - اسمعوا أيها الطرواديون واليونانيون! جميعكم رأيتم فوز مينيلائوس، فليعيدوا لنا هيلين وكل ما نهبه باريس من كنوز مينيلائوس، وليدفعوا لنا الجزية. لكن كلمات أغاممنون ظلت بدون جواب، فلم يكن مقدراً للمعركة أن تنتهي.

بنداروس ينتهك القسم . المعركة : (٣٤)

حين قرر مينيلائوس وباريس أن يتبارزا كان الآلهة الخالدون يحتفلون في قصور زوس . كانت الربة الشابة هيبه تصب الرحيق في الأقداح . كان الآلهة يحتفلون ، وهم ينظرون من الألب العالي إلى طروادة . أما زوس فقد راح يقول لهيرا مازحاً أنه سيوقف النزاع الدامي بين الطرواديين واليونانيين لأن مينيلائوس قد انتصر . لكن الربة هيرا طلبت من زوس أن يرسل أثينا المحاربة إلى صفوف الطرواديين لكي تدفع أحدهم للحنث بالقسم ، وقد وافق زوس ، قاذف الصواعق . وانطلقت أثينا من الألب بسرعة ، في هيئة نجم ساطع ، ثم وقعت في صفوف القوات الطروادية . استولت الدهشة على الطرواديين ، ولم يعرفوا مغزى هذه الرسالة : هل سيندلع القتال الدامي من جديد ، أم أنها إشارة من زوس إلى ضرورة عقد الصلح ؟ اقتربت أثينا ، في هيئة مقاتل ، من بنداروس ، رامي القوس المشهور ، وأقنعتته بأن يجندل مينيلائوس بسهمه القاتل . أخذ بنداروس قوسه ، ثم سحب سهماً حاداً ، واستنجد بأبولون . رن وتر القوس المشدود ، وانطلق السهم ، وكان يمكن أن يقتل مينيلائوس ، لو لم تسارع أثينا إلى إبعاد السهم ، فأصاب مينيلائوس في المكان الذي كان فيه جسمه محمياً بدرع مزدوج . اخترق

السهم الدرع ، وانغرز في جسم مينيللوس . لم يكن الجرح عميقاً ، ومع ذلك فقد تدفق منه الدم بغزارة . وجن جنون أغاممنون وهو يرى أخاه جريحاً ، لكن مينيللوس طمأنه . أمر أغاممنون بإحضار الطبيب - البطل ماخاوون . كشف ماخاوون على الجرح ، ثم رشه بالعقاقير . وبينما كان أغاممنون وغيره من الأبطال منصرفين للعناية بمينيللوس الجريح بدأ الطرواديون الهجوم . وأسرع أغاممنون إلى القوات ، وراح يشجع المقاتلين على خوض غمار المعركة .

كان المقاتلون اليونانيون يسرون بصمت ، ولم يكن يتردد في صفوفهم سوى أصوات الزعماء ، أما الطرواديون فكانوا يزحفون وهم يطلقون الأصوات العالية . كانت أثينا بالاس هي التي تقود قوات اليونان ، أما القوات الطروادية فكانت بقيادة أريس ، إله الحرب العاصف . التحم الجيشان . واختلطت صيحات النصر بأنين المحتضرين .

راح الطرواديون يتقهقرون تحت ضغط اليونانيين ، فزاد اليونانيون من ضغطهم . وحين رأى أبولون ، خامي الطرواديين ذلك استشاط غضباً ، وصرخ بصوت عال :

- هيا إلى الأمام أيها الطرواديون ! لاتظنوا أن صدور اليونانيين من حجر ، وأن أجسامهم من حديد . انظروا فهم يحاربون اليوم بدون أخيل العظيم ، الذي يجلس غاضباً في خيمته .

بهذه الصرخة شجع الإله النبال الطرواديين . وحمى وطيس المعركة ، وسقط الكثير من الأبطال . وبدورها راحت أثينا بالاس تشجع اليونانيين . وفي هذه المعركة وهبت القوة الراسخة للملك ديوميد ، ابن تيديوس . ولم يلبث الطرواديون أن بدأوا يتقهقرون .

لم يكذبنداروس ، الرامي المشهور يرى ديوميد حتى شد قوسه ، وأطلق عليه سهماً ، فانغرز السهم في كتف ديوميد ، وتحضب درعه بالدم الأحمر القاني ، مما

أثلج صدر بنداروس ، الذي راح يشجع الطرواديين فيصبح بأن ديوميدي أصيب بجرح قاتل . أما ديوميدي فقد بدأ يتوسل لأثينا بالاس أن تسمح له بقتل من جرحه بسهم . تجلت أثينا بالاس أمام ديوميدي ، ووهبتة قوة كبيرة وشجاعة خارقة ، ثم أوعزت الربة إليه أن يندفع إلى المعركة بجرأة ، وأن يهاجم الجميع إلا الآلهة الخالدين . ولم يكن بوسعه أن يجندل برمح الربة أفروديت . وكالليث الجريح ، الذي ضاعف الجرح قوته عشر مرات ، وزاد هياجه ، اندفع ديوميدي إلى ساح الوغى .

ما إن رأى البطل إنياس^(٣٥) ديوميدي وهو يصول ويجول في الميدان حتى جرى عبر صفوف الطرواديين بحثاً عن بنداروس . وبعد لأي أقنع إنياس بنداروس بالهجوم على ديوميدي . امتطى بنداروس متن مركبة إنياس ، واندفعاً معاً لمقارعة ديوميدي .

حين رأى سفينيلوس صديق ديوميدي البطلين المشهورين إنياس وبنداروس في المركبة ، نصح ديوميدي بتجنب الصراع معها . لكن البطل الصنديد رفض هذه النصيحة بكل سخط . كانت مركبة إنياس تدنومن ديوميدي بسرعة ، لوح بنداروس برمحه ، ثم قذف به ترس ديوميدي ، فاخترق الرمح الترس ، واصطدم بالدرع ، الذي حمى البطل . لوح ديوميدي برمحه ، فتدحرج بنداروس من المركبة ميتاً ، أما إنياس فقد قفز إلى الأرض بسرعة ، ووقف للدفاع عن جثة بنداروس ، محتتماً بالترس والرمح الضخم في يديه . واختطف ديوميدي صخرة كبيرة ، يعجز اثنان عن رفعها ، وييد واحدة رمى بها إنياس فأصابه في فخذه ، سقط إنياس على ركبتيه ،

وكان سيلقى حتفه حتماً لو لم تهرع لنجدته أمه الربة أفروديت ، التي غطته بثوبها ، وهمت بسحبه من ساح المعركة .

انقض ديوميدي على الربة أفروديت ، وجرحها برمحه الثقيل في يدها الناعمة . أطلقت أفروديت صرخة قوية . ثم تركت إنياس وشأنه ، لكن الإله

أبولون غطاه بغمامة سوداء ، أما ديوميد فقد صرخ بالربة أفروديت بصوت رهيب :
- اختبئي يا ابنة زوس ، غادري المعركة الطاحنة . ألا يكفيك أنك تغوين النساء
الضعيفات؟

غادرت ربة الحب ساح الوغى ، أما ديوميد ففكر على إنياس من جديد .
ثلاث مرات انقض عليه ابن تيديوس وفي المرات الثلاث كان أبولون يتصدى له .
و حين هجم ديوميد على إنياس للمرة الرابعة صرخ به أبولون بصوت رهيب :
- ثب إلى رشدك يا ابن تيديوس ! تراجع ، ولا تجرؤ على مهاجمة الخالدين ، فلن
يتساوى الفانون أبداً بالقوة مع الآلهة .

خاف ديوميد إذ سمع صوت الإله أبولون وتقهقر . أما أبولون فقد نقل
إنياس إلى معبده في طروادة ، وهناك شفته الربة لاتون والربة أرتيميس ، وفي ساح
المعركة خلق أبولون طيف إنياس ومن حول هذا الطيف دارت رحى معركة
طاحنة .

وفي هذا الوقت غادرت الربة أفروديت ، بعد أن جرحها ديوميد ، ساح المعركة
إلى حيث يجلس أريس . وهناك راحت تتوسل إليه أن يعطيها مركبته ، أعطاها
أريس مركبته فامتطتها وصعدت على متنها إلى الألب بسرعة . وقالت أثينا وهيرا
لزوس قاذف الصواعق ، ساخرتين من أفروديت :

- ألم تغو الربة أفروديت إحيائية أخرى بالهرب مع أحد أحبائها الطرواديين؟
ولعلها قد جرحت يدها من كثرة مالاظفت هذه الإحيائية؟

ابتسم زوس ، واستدعى أفروديت إليه ، وقال لها :

- ليست المعارك الصاخبة من شأنك يا ابنتي الحبيبة . اسهري على الزواج
والحب ، أما المعارك فاتركيها للإله العاصف أريس ولأثينا المقاتلة .

كان وطيس المعركة لايزال حامياً من حول طيف إنياس ، الذي صنعه
أبولون ، وطلب الإله أبولون من أريس أن يكبح جماح ديوميد . وقد أصغى إله

المعركة، المضرج بالدم، لطلب أبولون. كانت المعركة ستزداد ضراوة، فقد عاد إنياس بعد أن التأم جرحه. وكم فرح الطرواديون حين رأوه سليماً معافى. فانتظمت صفوفهم بعد أن دبت فيها الفوضى، وكروا على اليونانيين، ومن جديد حمى وطيس المعركة، كان المقاتلون يتساقطون، الواحد تلو الآخر، وتغمض ظلمة الموت عيونهم. كان هكتور يقاتل في طليعة الطرواديين، وكان يساعده أريس والربة الرهية اينو⁽³⁾. وحين رأى البطل ديوميدي الإله أريس تراجع إلى الوراء، وصاح مخاطباً اليونانيين.

- لاداعي للدهشة يا أصدقاء أن هكتور يقاتل بمثل هذه البسالة، فإلى جانبه يقاتل أريس نفسه، ويساعده، تراجعوا أيها الأصدقاء، وإياكم وقاتل الآلهة. ازداد ضغط الطرواديين على اليونانيين. وفي هذه المعركة قتل الشاب تليبوليم، ابن هرقل، بطعنة رمح صوبها إليه سارييدون، ابن زوس. وقبل أن يقتل تليبوليم أصاب خصمه بجرح في فخذه. وبالكاد استطاع أصدقاء سارييدون إخلاءه من أرض المعركة. دون أن يتمكنوا من نزع الرمح من جرحه. وحين رأى سارييدون هكتور يمر بالقرب منه راح يتوسل إليه أن يدحر اليونانيين. ومن جديد دخل هكتور غمار المعركة، فجندل الكثير من الأبطال برمحه. وزاد الطرواديون من تضيق الخناق على اليونانيين.

وحين رأت الربة هيرا ذلك نادى الربة أثينا، وبدأت تتسلح بسرعة للذهاب إلى المعركة لكبح جماح أريس. وقد ربطت الربتان، بمساعدة الربة هيبه الجياد إلى المركبة الرائعة، وارتدت أثينا الدروع، ووضعت على رأسها خوذةها الثقيلة، وصعدت، والرمح في يدها إلى مركبة الربة هيرا، ثم ساقت الجياد بسرعة، وحين انطلقت الربتان من على الأولب العالي رأتا زوس، الذي كان جالساً لوحده على تلة عالية، أوقفت هيرا الجياد وقالت لزوس:

- هل يعقل أنك لست غاضباً يا زوس من أريس الجامح، الذي يقتل هذا العدد

- الكبير من الأبطال؟ إنني أرى مدى غبطة أبولون وأفروديت بذلك . هل يعقل أنك ستغضب مني إذا ما كبحت جراح الإله أريس؟
- فأجابها زوس ، قاذف الصواعق ، بقوله :
- اذهبي ! دعي الربة المحاربة أثينا بالاس تتصدى لأريس . إن أحداً من الخالدين لا يجارها في إلحاق الأذى بأريس .
- سأقت الربة هيرا الجياد بسرعة ، إلى أن وصلت إلى حيث يلتقي النهران سيمويس واسكمندر ، وهنا ترجلت الربتان من المركبة ، وفكتا الجياد ، ثم أثارنا غمامة سوداء من حولها . اتخذت هيرا هيئة ستيتتور الرجل ، ذي الصوت القوي ، وراحت تهيب باليونانيين أن يقاتلوا الطرواديين برجولة . واقتربت أثينا بالاس من ديوميدي ، فوجدته يمسح الجرح الذي أصابه به بنداروس . وراحت أثينا بالاس تفرعه لأنه تقاعس عن خوض غمار القتال ، ولأنه يخاف قتال الطرواديين ، وذكرته بأن والده تيديوس المقاتل المجيد ما كان ليتصرف على هذا النحو . لكن ديوميدي رد على الربة بقوله :
- كلا يا ابنة زوس قاذف الصواعق ، يا ذات اللحاظ الفاتحة . لست أخاف قتال أبطال طروادة . ولست أذكر إلا أنك أمرتني بعدم منازلة الآلهة الخالدين .
- وحينذاك قالت أثينا لديوميدي :
- ألا يا ابن تيديوس يا محظي أثينا ، الآن لا تخش أريس ولا غيره من الآلهة . فلسوف أكون بنفسني إلى جانبك . فانطلق بسرعة ، وقاتل أريس ، فمنذ عهد غير بعيد كان قد وعد بمساعدة اليونانيين ، لكنه الآن ، الغادر ، يساعد الطرواديين .
- وقفت أثينا بالاس في مركبة ديوميدي . وأن محاور المركبة البلوطي تحت ثقل العربة . وسأقت أثينا الجياد ، وأريس لا يراها ، فوصلت إليه في اللحظة التي كان ينزع فيها الدروع عن البطل بيرثانتوس الميت . حين رأى أريس ديوميدي ، الواقف

قرب أثينا رماه بالرمح . لكن أثينا أبعدت الرمح ، فطاشت الطعنة . ضاعفت أثينا قوة ديوميدي عشر مرات ، فأصاب أريس برمحه ، ثم سحب الرمح من الجرح ، وأطلق أريس صيحة هائلة لكان عشرة آلاف مقاتل صاحوا دفعة واحدة . اقشعرت أبدان الطرواديين واليونانيين من هول هذه الصرخة . وعلى جناح السرعة صعد أريس العاصف إلى الأولب مجللاً بالسحب السوداء . وهناك جلس قرب زوس ، وراح يشكوله من أثينا بالاس لأنها ساعدت ديوميدي على جرحه . ونظر زوس إلى ابنه نظرة فظيعة . كان زوس يكره ابنه بسبب حبه للمعمارك الدامية . توقف أريس عن تدمره . واستدعى زوس طيبب الآلهة ، الذي شفى جرح أريس بسرعة . أما هيبية فقد غسلت أريس وألبسته الثياب الفاخرة . وإلى الأولب المشرق عادت الربتان هيرا وأثينا .

وعند أسوار طروادة كانت المعركة لاتزال تدور . ومن جديد عاد اليونانيون يضيقون الخناق على الطرواديين . وإذ رأى العراف هيلينوس أن الهزيمة الماحقة وشيكة راح يتوسل إلى هكتور ، ذي الخوذة الساطعة ، وإناس أن يشجعا الطرواديين ، وأن يسرعا إلى طروادة ، ويسترضيا الربة أثينا بالهبات السخية . سمع هكتور كلام أخيه ، وراح يشجع الطرواديين من جديد ، فاستطاعوا صد هجوم اليونانيين .

هكتور في طروادة ، وداع هكتور وأندروماك^(٣٧) :

وفي هذا الوقت دخل هكتور طروادة عبر بوابة سكيس . وعلى الفور أحاط به النساء والأطفال ، وراحوا يسألونه عن الأزواج والآباء . لكن هكتور لم يقل لهم شيئاً إلا أن يصلوا لآلهة الأولب . وأسرع هكتور إلى قصر بريام . وفي القصر التقته أمه هيكوبه ، وهمت بأن تجلب له النبيذ لكي يسترد قواه ، لكن هكتور رفض

ذلك . وطلب من أمه أن تستدعي الطرواديات لكي يسرعن بتقديم غطاء فاخر للربة أثينا بالاس ، ولكي يقدمن للربة القرابين السخية ، ويتوسلن إليها أن تكبح جماح دينوميد الهائج . نفذت هيكوبة طلب ابنها على الفور ، أما هوفقد أسرع قاصداً باريس .

كان باريس يتفحص سلاحه بهدوء ، وكانت هيلين قد وزعت العمل على الخادومات . وراح هكتور يلوم باريس لأنه يجلس في البيت وادعاً ، في الوقت الذي يتهدد الهلاك جميع الطرواديين . ورد باريس على هكتور بأنه يستعد للمعركة . وخاطبت هيلين هكتور بكلمات الترحيب ، ورجته أن يجلس ، ويرتاح من اجتراح المآثر ، أما زوجها باريس فقد راحت تلومه على تقاعسه . كما أعربت هيلين عن ندمها ، لأنها جرت على طروادة هذه المحن والمصائب الكثيرة . رفض هكتور أن يرتاح في دار باريس ، فقد كان على عجل لرؤية زوجته وولده . لم يكن هكتور يعرف إن كان سيتمكن من رؤية زوجته وولده مرة أخرى . وهل سيعود حياً من المعركة ، أم أن الآلهة قد كتبت عليه أن يلاقي حتفه على يد اليونانيين .

ذهب هكتور إلى قصره ، لكن الخادومات أخبرنه أن زوجته ما إن عرفت أن اليونانيين يضيقون الخناق على الطرواديين حتى هرعت مع ولدها إلى أسوار المدينة ، حيث تقف هناك ، تذرف الدمع .

انطلق هكتور من القصر ، وأسرع باتجاه بوابة سكيوس . وعند البوابة تماماً التقى أندروماك ، ومن خلفها كانت الخادمة تحمل طفلها أستياناكس ، الذي كان رائعاً كنجمة الصبح . أخذت أندروماك هكتور من يده ، وقالت له وهي تبكي :
- آه يازوجي ! لسوف تقودك بسالتك إلى التهلكة . إنك لاتشفق لا علي ولا على ولدنا . لسوف أصبح أرملة عما قريب ، فسوف يقتلك اليونانيون . الأفضل لي أن لا أعيش بدونك ياهكتور ، فليس لدي أحد غيرك . إنك كل شيء بالنسبة لي - الأب والأم والزوج . هلا رثيت لي ولولدنا ! لاتذهب للقتال .

فرد هكتور، ذو الخوذة الساطعة، على زوجته بقوله:

- أي عار كان سيحقيق بي لوبقيت وراء أسوار طروادة، وتقاعست عن خوض المعركة. كلا، إن علي أن أقاتل في مقدمة الجميع تخليداً لمجد أبي. إنني أعرف جيداً أنه سيحل ذلك اليوم الذي سيشهد هلاك طروادة المقدسة. لكن ليس هذا ما يحزني، بل إن ما يثير حزني هو ماذا سيحل بك أنت، وأن أحد اليونانيين سيأخذك أسيرة، وهناك في الغربية ستجبرين، وأنت الأمة، على الحياة للغريبة وتقديم الماء لها. ولسوف يقولون، إذ يرونك باكية: «هذه زوجة هكتور، الذي بز جميع الأبطال الطرواديين قوة ويسالة»، فيزداد بذلك حزني. كلا، الأفضل أن أقتل قبل أن أراهم يأخذونك أسيرة، قبل أن أسمع بكاءك. اقترب هكتور، بعد أن قال ذلك، من ابنه، وهم بعناقه، لكن استياناكس الصغير التصق بصدر المربية وهو يصرخ، فقد خاف من عرف الحصان، الذي يرفرف على خوذة هكتور. ابتسم هكتور وأندروماك للطفل بلطف، ونزع هكتور الخوذة، ووضعها على الأرض، ثم حمل استياناكس بين ذراعيه وقبله. رفع هكتور ولده عالياً نحو السماء، ثم راح يصلي لزوس، قاذف الصواعق، ولجميع الآلهة الخالدين:

- ألا يازوس، وأنتم أيها الآلهة الخالدون، أتوسل إليكم أن يكون ولدي مشهوراً بين المواطنين شهرتي أنا، وليكن جباراً، وليحكم في طروادة، وليقولوا عنه حين يرونه عائداً من المعركة أنه يبز أباه رجولة. وليكن نعمة لأمه ونقمة على أعدائه.

هكذا صلى هكتور للآلهة. ومن ثم ناول استياناكس لزوجته. ضمت أندروماك ابنها إلى صدرها، وابتسمت له من خلال الدموع. رق قلب هكتور، فعانق أندروماك بحنان، وقال لها:

- لا تحزني هكذا يا أندروماك، فلا مفر من القدر لأحد، لا للباسل ولا

للجبان . اذهبي يا حبيبتى إلى البيت ، وانصرفي إلى الحياكة والغزل ، ومراقبة الخادومات . أما نحن الرجال فسوف نهتم بالشؤون الحربية ، وسأكون أنا الأكثر اهتماماً بها .

ارتدى هكتور خوذته ، وسار على عجل نحو بوابة سكيس . أما أندروماك فقد سارت باتجاه البيت ، وهي لا تكف تتلفت ، وتنظر من خلال الدموع إلى هكتور وهو يبتعد . وحين وصلت إلى البيت باكية بكت معها خادوماتها جميعهن : فلم يكن الأمل يراودهن بعودة هكتور من المعركة إلى البيت سالماً .

عند بوابة سكيس لحق باريس بهكتور . كان مسرعاً إلى القتال والدرع النحاسية تسطح عليه .

استمرار المعركة . مبارزة هكتور وأجاكس (٣٨) :

خرج هكتور وباريس من بوابة سكيس سوية . وقد فرح الطرواديون حين رأوا كلا البطلين . فارتفعت روحهم المعنوية من جديد ، واشتد وطيس القتال . وقد جنّد هكتور وباريس وغلوكوس العديد من الأبطال . وبدأ اليونانيون يتقهقرون . وما إن رأت أثينا ذلك حتى انطلقت نحو طروادة المقدسة . وقد التقى الإله أبولون بأثينا ، المنطلقة من الأوبل ، عند شجرة البلوط العتيقة ، النامية عند طرف الحقل . وسأل أبولون الربة أثينا إذا كانت مسرعة لمساعدة اليونانيين ، وأقنعها بأن تساعد في وقف القتال . وافقت أثينا . وقرر الإلهان من أجل وقف القتال أن يوحيا لهكتور أن يتحدى أمجد أبطال اليونان لمنازلته . وما إن قررا ذلك حتى نقل قرارهما العراف هيلينوس ، ابن بريام ، فدنا من أخيه هكتور ، ونصحه أن ينازل البطل اليوناني . وكشف هيلينوس لأخيه أنه سمع صوت سكان السماء ،

الذين أمروا بالتصرف على هذا النحو، وأن قدر هكتور ليس الهلاك في هذا النزال.

أوقف هكتور القتال في الحال، بإيقاف الطرواديين، وعلى غراره تصرف أغاممنون. جلس المحاربون على الأرض، وقد أضناهم القتال. أما أثينا بالاس وأبولون فقد حلقا كأنهما نسران جارحان، وحطا على البلوطة العتيقة، وراحا ينظران إلى جيوش الطرواديين واليونانيين. نادى هكتور بصوت عال واحداً من الأبطال اليونانيين لمنازلته. وقد وعد بعدم التمثيل بجثة القتيل، وعدم نزع الدروع عنه، وطالب بالمعاملة بالمثل في حال انتصار البطل اليوناني عليه. استمع اليونانيون لكلام هكتور. لكنهم صمتوا جميعاً. فلم يجرؤ أي منهم على منزلته، مما أثار استياء مينيلائوس من اليونانيين، وهم أن ينازل هكتور بنفسه، لكن أغاممنون منعه: كان يخاف أن يلقي أخوه حتفه على يدي هكتور، الذي كان أخيل نفسه يخاف منزلته. كما راح الشيخ نسطوريوبخ اليونانيين. وللحال اندفع إلى الأمام تسعة أبطال: الملك أغاممنون، ديوميدي، أجاكس الكبير والصغير، ايدومينيوس، ميريون، ايغرييل، ثاونتوس وأوديسيوس. وبناء على نصيحة نسطور قرروا رمي القرعة بين الأبطال. فوقعت القرعة على أجاكس.

فرح أجاكس، وارتدى دروعه، ثم تقدم إلى الأمام إلى مكان المباراة. كان يسير كما إله الحرب أريس، ضخماً، قوياً، ورهيباً. وكان يحمل أمامه ترساً من النحاس، كبيراً كالبرج، وهويلوح برمحه الثقيل. ذعر الطرواديون لدى رؤية أجاكس، ودب الذعر في صدر هكتور. وجه المقاتلان، أحدهما إلى الآخر نظرة رهيبية. كان هكتور أول من رمى الرمح، لكنه لم يخترق درع أجاكس. وبدوره قذف أجاكس رمحه، فاخترق ترس هكتور، وثقب دروعه، ومزق قميصه الداخلي. ولم ينقذه من الهلاك إلا أنه قفز جانباً. انتزع البطلان رمحيهما، واشتبكا من جديد. ومن جديد ضرب هكتور رمحه بترس تيلامونيد، فانثنى سنان رمحه.

أما أجاكس فقد اخترق ترس هكتور من جديد، وأصابه بجرح طفيف في عنقه. لكن هكتور لم يوقف القتال، بل تناول حجراً ضخماً، وألقاه على ترس أجاكس، ففرقع النحاس، الذي يغطي الترس الضخم. وبدوره تناول أجاكس حجراً أثقل، وقذفه بقوة في ترس هكتور، فانكسر الترس، وأصيب هكتور بجرح في رجله. سقط هكتور على الأرض، لكن الإله أبولون رفعه بسرعة. ومد البطلان يديهما إلى سيفيهما، وكان من شأنهما أن يقطعا بعضهما لولم يصل المناديان في الوقت المناسب، ويفرقا بينهما بوضع الصولجان بينهما.

وصاح المناديان:

- أوقفنا القتال أيها البطلان. إننا نرى أنكما محاربان عظيمان، وأن زوس يجبكما بالتساوي، إن الليل يخيم، والجميع بحاجة إلى الراحة.

وقال أجاكس مخاطباً منادي الطرواديين:

- أيها المنادي، إن ماتفوحت به كان يجب أن يقوله هكتور نفسه: فهو الذي دعا إلى المبارزة، إنني مستعد لوقف القتال إذا كان يرغب في ذلك.

وللحال رد هكتور على أجاكس:

- لقد وهبك الآلهة ياتيلامونيد القامة الطويلة. والقوة والعقل، فأنت أوسع أبطال اليونان شهرة. لئنه مبارزتنا لهذا اليوم. وبوسعنا أن نلتقي في ساح الوغى من جديد. لكن ليكرم أحدنا الآخر - ونحن نفرق - بهدية، تذكراً عن مبارزتنا. فليذكر مقاتلو طروادة واليونان أن البطلين قاتلا بعضهما، وهما يتقدان عداوة ضد بعضهما، لكنهما افترقا متصالحين، كأنهما صديقان.

قال هيكتور ذلك، ثم نزع سيفه، المزدان بالفضة، وناوله لأجاكس، أما أجاكس فأهدى هكتور نطاقاً أرجوانياً من الأحجار الكريمة. هكذا انتهى نزال البطلين. وقد أقام الملك أغاممنون مأدبة على شرف أجاكس، دعا إليها جميع الزعماء.

حينما انتهت المأدبة نصح الشيخ نسطور الزعماء اليونانيين بالتوقف عن القتال ليوم واحد من أجل دفن الأبطال، الذين استشهدوا، وبناء سور ذي أبراج من حول المعسكر والسفن، لكي يكون هذا السور حماية لليونانيين. وافق الزعماء على نصيحة نسطور، ثم تفرقوا على خيامهم بانتظار الصباح.

وبدورهم عقد الطرواديون مجلساً ضم زعماءهم. وفي هذا المجلس اقترح أنطينور تسليم اليونانيين هيلين الحسنة والكنوز المنهوبة. لكن باريس لم يرغب في تسليم هيلين، ولم يوافق إلا على تسليم الكنوز لمينيلاوس، مضيفاً إليها بعض الهدايا منه. واقترح الملك بريام أن يبعثوا عند الصباح رسولاً إلى اليونانيين ينقل إليهم اقتراح باريس، فإن لم يوافق اليونانيون تابعدوا القتال حتى يعطي الآلهة النصر المؤزر لهذا الجانب أو ذاك. وافق الطرواديون على اقتراح بريام، ومع حلول الصباح بعثوا برسولهم إلى اليونانيين، لكن هؤلاء رفضوا اقتراح باريس، ولم يوافقوا إلا على وقف القتال ليوم واحد من أجل دفن القتلى.

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، حين بدأ الطرواديون واليونانيون دفن قتلاهم. كانوا ينقلون الجثث إلى المحارق، ثم يحرقونها. ومن ثم شيد اليونانيون خلال يوم واحد سوراً عالياً، ذا أبراج من حول المعسكر، وحفروا أمامه خندقاً عميقاً. حتى آلهة الأولب، دهشت من عمل اليونانيين هذا. وحده الإله بوزيدون غضب على اليونانيين لأنهم لم يقدموا القرابين للآلهة وهم يبنون السور.

أما اليونانيون فما إن أنجزوا العمل حتى بدأوا يجهزون طعام العشاء، وفي هذا الوقت وصلت المراكب، تقل المحاربين من ليمنوس. فرح اليونانيون وأراقوا النبيذ بسرعة، وبدأ الاحتفال في المعسكر. لم يجرؤ أي من اليونانيين على الشرب قبل أن يريق الخمرة على شرف زوس الرهيب. أخيراً خيم سلطان الكرى على معسكر اليونانيين كله.

انتصار الطرواديين (٣٩) :

في الصباح الباكر ومع صعود إيوس ، ربة الفجر إلى السماء ، جمع زوس ، قاذف الصواعق ، الآلهة على الأولب وقال لهم :

- اصغوا إلي أيها الآلهة الخالدون . لا يتجاسرن أحد منكم اليوم على النزول من الأولب العالي لنجدة اليونانيين أو الطرواديين ومن لا يمثل لذلك سأرميه في هوة التارتار السحيقة ، لكي يعرف كم أنا أقوى من الآلهة الخالدين .

أصابت كلمة زوس الرهيبية الآلهة بالخوف ، وردت الربة أثينا على زوس بقولها :

- إننا نعرف جميعاً يا قاذف الصواعق العظيم أن قوتك لا حدود لها ، ومع ذلك فنحن جميعاً نتأسى لليونانيين . فهل يعقل أن الهلاك سيحقيق بهم ؟

فأجابها زوس :

- ليس في نيتي يا ابنتي أن أهلك جميع اليونانيين .

قال زوس ذلك ثم ربط الجياد ذات الأعراف الذهبية إلى المركبة ، وأخذ في يده الصولجان الذهبي ، وصعد إلى المركبة ، ثم ساق الجياد بسرعة ، فانطلقت بين السماء والأرض . نحو إيذا^(١٠) الشاهق . وهناك جلس زوس على قمة الجبل ، وراح يراقب اليونانيين والطرواديين وهم يستعدون للمعركة .

تقدم الجيشان عبر السهل ، والتحما بسرعة . وبدأ القتال الضاري من جديد . وعند حلول الظهيرة أخذ زوس الميزان الذهبي ووزن في كفتيه حظ الطرواديين واليونانيين . فارتفعت إلى السماء كفة الطرواديين ، مما يبشر بنصرهم ، أما كفة اليونانيين فقد هوت حتى لامست الأرض ، مما ينذر بهلاك الكثيرين منهم . وتردد هزيم رعد زوس من على إيذا ، وأرسل برقه الساطع على جيش

اليونانيين ، قدب الذعر في صفوف المحاربين ، ولاذوا كلهم بالفرار ، ليحتموا خلف أسوار المعسكر. ولم يبق في الميدان إلا نسطور، وكان أحد جياده قد أصيب بسهم أطلقه باريس ، فشب الجواد عالياً. وفي هذه الأثناء كان هكتور يقترب منه على متن مركبته. وكان هلاك الشيخ نسطور محققاً لولم يصل ديوميد لنجدته في الوقت المناسب. أخذ ديوميد نسطور إلى مركبته ، ثم انطلق لمواجهة هكتور. قذف ديوميد هكتور برمح، لكن الطعنة طاشت، واندفعت جياذ هكتور جانباً. وربما كان من شأن اليونانيين الفارين أن يتوقفوا لو أنهم رأوا ديوميد، لكن زوس قذف برقه الساطع أمام جياذ ديوميد، فخافت من وميض البرق وتراجعت. وراح نسطور يحاول إقناع ديوميد بترك ميدان القتال، لأن زوس لا يبشره بالنصر. سخر هكتور من ديوميد، الذي لاذ بالفرار. ثلاث مرات هم ديوميد بالعودة. وثلاث مرات تردد هزيم رعد زوس. وأدرك هكتور أن زوس يبشر برعوده الطرواديين بالنصر، فراح يشجعهم على مطاردة اليونانيين وحرق مراكبهم، بعد اختراق معسكرهم.

أصبحت المعركة تدور الآن عند السور المحيط بمعسكر اليونانيين. وأوحت هيرا لأغاممنون بفكرة تشجيع اليونانيين. فوقف على مركب أوديسيوس، وراح يهيب بالمقاتلين أن يدافعوا برجولة. كما راح أغاممنون يتوسل لزوس أن يرسل النجدة لليونانيين، ولا يتركهم يهلكون، على أيدي الطرواديين. قويت شوكة اليونانيين، واستطاعوا صد الطرواديين. وكان الملك ديوميد أكثرهم بسالة: فقد جندل العديد من الأبطال الطرواديين، والأبطال اليونانيون الآخرون قاتلوا ببسالة.

ومن جديد أثار زوس البسالة لدى الطرواديين، فضيقوا الخناق على اليونانيين، وأوصلوهم حتى مراكبهم. كان هكتور ينتقل بين الصفوف، فيدب الرعب فيها. ورثت هيرا لحال اليونانيين، وطلبت من أثينا أن تهب لنجدتهم.

ومن على إيذا العالي رأى زوس الربتين المسرعتين . فأرسل ، وقد تملكه السخط ، إيريس لإيقافهما ، مهدداً إياهما بغضبه . خافت الربتان ، أثينا وهيرا ، غضب زوس ، وعادتتا إلى الأولب حزينتين . وعلى تهديد زوس ردت هيرا بأنهما ترثيان لحال اليونانيين . فقال زوس لهيرا أن الطرواديين سيستمرون في تحقيق النصر على اليونانيين إلى أن يتصالح أغامنون مع أخيل ، ويرسل له الهبات السخية عما ألحق به من إهانة .

خيم الليل على الأرض ، وتوقفت المعركة الدامية ، لكن الطرواديين لم يعودوا إلى طروادة المقدسة ، وبقوا لقضاء الليل في السهل . كان هكتور يأمل في أن يتمكن في اليوم التالي من تحقيق النصر المؤزر على اليونانيين وطردهم من طروادة . أشعل الطرواديون الكثير من النيران في السهل .

أغامنون يحاول مصالحة أخيل (١٠٩) :

أرسل أغامنون ، المستاء من انتصار الطرواديين ، المنادين لدعوة الزعماء إلى المجلس . وفي اجتماع الزعماء راح أغامنون يتحدث عن أنهم مضطرون الآن للهرب من طروادة إلى اليونان ، لأن هذه إرادة زوس . لكن ديوميذرد على أغامنون غاضباً بأن الزعماء باقون ، وسوف يستمرون في القتال إلى أن يستولوا على طروادة ، وبدوره لم ينصح نسطور بالهرب ، بل اقترح الشيخ على أغامنون إقامة احتفال تناقش فيه الأمور .

وفي أثناء الاحتفال نصح نسطور أغامنون بمصالحة أخيل . وقد وافق أغامنون على ذلك ، وأعلن للزعماء أنه سينقد الهبات على أخيل ، ويعيد إليه بريسيديا ، وحينها يعود الجميع إلى الوطن منتصرين سوف يزوج أخيل بإحدى بناته ، ويعطيه الكثير من المدن الغنية مهراً لها . بارك الزعماء قرار أغامنون ، واتفقوا

على إرسال أجاكس تيلامونيد، أوديسيوس وفينيكوس للتفاوض مع أخيل. فقد كان أخيل يكن الحب لهؤلاء الأبطال بشكل خاص، وقد زود نسطور الموفدين الثلاثة بالكثير من الوصايا.

حين وصل رسل أغاممنون إلى أخيل وجدوه يعزف على القيثارة، يتغنى بمجد الأبطال، وإلى جانب أخيل كان يجلس صديقه باتروكليس. استقبل أخيل الأبطال بالترحاب، وأعد لهم مأدبة عامرة. وبعد أن شبعوا وجه أوديسيوس كلامه لابن بيلياس محاولاً إقناعه بمصالحة أغاممنون. وحدثه أوديسيوس كيف يضيق الطرواديون بقيادة هكتور الخناق على اليونانيين. وعدد أوديسيوس تلك الهبات التي يعد بها أغاممنون علامة الصلح. لكن أخيل رفض مصالحة ملك ميسين، فهو لم يستطع نسيان الإهانة التي ألحقها به أغاممنون. كان أخيل متشبثاً بقراره، وحتى أنه هدد بالإبحار إلى فثيا. لكن فينيكسوس، المتألم لحالة اليونانيين، استمر يحاول إقناع أخيل بالمصالحة. ولم يرد أخيل على فينيكسوس بشيء. وقام أجاكس بالمحاولة الأخيرة لإقناع أخيل، لكن هذا ظل على عناده، ولم يقل إلا أنه لن يدخل القتال ضد هكتور إلا بعد أن يحرق الطرواديون مراكب اليونانيين، ويصلوا إلى مراكبه وخيمته.

غادر أجاكس وأوديسيوس صامتين. أما فينيكسوس فقد بقي عند أخيل. وعند وصول البطلين إلى أغاممنون نقلوا رد أخيل إلى الزعماء. وقد أصغى إليهما الزعماء في صمت مطبق. واقترح ديوميد، بعد أن أكلوا وشربوا، أن يخلدوا للنوم لكي يستأنفوا القتال في اليوم التالي.

المعركة عند معسكر الأخيين^(٤٢):

ما إن توهج الشرق بتباشير الصباح الأولى حتى أرسل زوس الربة

إيريس^(٤٣) إلى معسكر اليونانيين . وقفت الربة على متن مركب أوديسيوس ، وراحت تصيح بصوت عال فظيع ، وتثير التعطش الجامح للحرب لدى جميع المقاتلين . وبدوره راح أغاممنون المتسربل بالدروع الفاخرة ، يشجع الأبطال على القتال ، وهويلوح بالرمح الهائل . اندفع اليونانيون إلى القتال مشاة ، فتصدى لهم الطرواديون ببسالة ، وكان هكتور يزيهم جميعاً بآثره . كان المقاتلون يندفعون عبر ميدان القتال كالذئب الضارية . أما الآلهة فقد ابتعدوا إلى الأولب ، وبقوا في قصورهم ، وهم يشكون من مساعدة زوس للطرواديين . وأما زوس فكان ينظر إلى القتال فرحاً . كان الملك أغاممنون أكثر من فطخ في هذه المعركة . فقد جندل العديد من الأبطال برمح الثقيل . وكما تلتهم النار الغابة ، وتتداعى الأشجار تحطمها العاصفة النارية ، كان ابن تريوس يجندل الأبطال الطرواديين ، الواحد تلو الآخر . وكانت المركبات تندفع عبر ميدان القتال بصوت كهزيم الرعد ، ومن عليها كان أغاممنون يجندل الأبطال ، فيتساقطون وقد فارقوا الحياة . اختلت صفوف الطرواديين ، ولاذوا بالفرار ، لكنهم توقفوا عند بوابة سكيوس .

وحين رأى زوس ، قاذف الصواعق ، هرب الطرواديين أمر الربة إيريس بأن تسرع إلى هكتور ، وتخبره بأن لا يدخل المعركة إلا حين يرى أن أغاممنون جريح ، وأن زوس سيهبه القوة فيدفع باليونانيين حتى مراكبهم . نفذت إيريس إرادة زوس . وقفز هكتور من مركبته ، وراح يشجع الطرواديين . وفي هذا الوقت كان أغاممنون لا يزال يجندل الأبطال الطرواديين ، واحداً إثر آخر . لكن كوون جرح أغاممنون في ذراعه ، فضربه ملك ميسين بسيفه ضربة أطاحت برأسه ، فوقع ابن أنطينور البكر ميتاً . لكن أغاممنون لم يستطع متابعة القتال : كان ألم جرحه فظيماً ، فغادر ميدان القتال .

حين رأى هكتور أن أغاممنون رحل في مركبته راح يصرخ بصوت عال مشجعاً المقاتلين ، واندفع بنفسه ، لخوض غمار القتال . فجندل الكثير من

الأبطال، وأصبح اليونانيون مهددين بالهلاك. لكن أوديسيوس استنجد بديوميدي، فصد البطلان هجمة الطرواديين. وأصاب باريس ديوميدي بسهمه، وشعر بالغبطة. أما ديوميدي فقد انتزع السهم من الجرح، بعد أن غطاه أوديسيوس بترسه، لكنه لم يستطع استئناف القتال، فغادر الميدان.

في هذا الوقت أحاط الطرواديون بأوديسيوس، الذي كان يقف وهو يصد مهاجميه برمح. وقد سقط الكثيرون من أبطال طروادة برمح، بمن فيهم هاروبوس، شقيق الملك سوكوس. وانتقاماً لموت أخيه طعن سوكوس أوديسيوس في ترسه فثقب الترس، وجرح أوديسيوس في خاصرته، لكن أوديسيوس استطاع، حتى وهو جريح، أن يهزم سوكوس، الذي ولى الأدبار، وأن يقتله بطعنة رمح في ظهره، أثناء فراره، وبعد أن قتل سوكوس انتزع أوديسيوس الرمح من جرحه هو، فتدفق الدم الساخن غزيراً. هرع أجاكس إليه، وغطاه بترسه الضخم. أما مينيلوس فقد أخرج أوديسيوس من قلب المعركة إلى العربة، وغادر أوديسيوس ميدان القتال.

ظلت المعركة تدور. ولم يستطع الطرواديون اجتياز الخندق والاستيلاء على السور، الذي كان يحتمي اليونانيون خلفه. وهم هكتور بالقفز فوق الخندق، في مركبته، لكن جياده اندفعت جانباً. وحينذاك توزع الطرواديون، بناء على نصيحة البطل بوليدامانت^(١١) على خمس فرق كبيرة، وتقدموا للاقتحام بقيادة زعمائهم. راح زعماء الطرواديين يقاتلون مشاة، بعد أن تركوا مركباتهم عند الخندق.

أثار قاذف الصواعق زوس عاصفة هوجاء. انقضت أعمدة الغبار على مراكب اليونانيين. وقد دافع اليونانيون عن السور ببسالة، على الرغم من العاصفة، وراح الطرواديون ينتزعون زوائد السور ويهزون الأخشاب، التي تسند الأبراج، بهدف تقويضها. استقبل اليونانيون المهاجمين بالأحجار والسهام

والرماح . وحينذاك تناول هكتور حجراً ضخماً ، لا يقوى على رفعه - إلا بالكاد -
رجلان قويان ، مسلحان بالعتلات . ثم قذف البوابة به . لم تصمد للضربة لا
البوابة ولا الرتاج الضخم ، فتحطما . وعبر البوابة اندفع هكتور إلى المعسكر .
واندفع الطرواديون من خلفه . وهكذا تم الاستيلاء على السور بالهجوم . وقد لاذ
اليونانيون بالفرار ، وجروا باتجاه مراكبهم .

المعركة عند المراكب^(٤٥) :

بدأت المعركة عند المراكب مباشرة . ولم يعد زوس يراقب المعركة لأنه كان
على ثقة بأن أيأ من الآلهة لن يجرؤ على مساعدة اليونانيين . وإذ رأى الإله
بوزيدون ذلك نزل بسرعة عن جبال تراقيا ، حيث كان يراقب مجرى القتال ،
قاصداً قصره ، فكانت الجبال تهتز تحت وقع أقدامه ، وصل بوزيدون إلى قصره ،
وربط الجياد إلى المركبة ، ثم انطلق عبر أمواج البحر قاصداً طروادة ، انطلقت
الجياد كالعاصفة ، لاتلامس أمواج البحر ، فوصل بوزيدون طروادة بعد وقت
قصير . ترك بوزيدون جياده مع المركبة في كهف واسع على شاطئ البحر ، بعد
أن ربط قوائمها بسلاسل ذهبية . وبعد أن تجلى في هيئة كالخاس لأجاكس الكبير
والصغير راح يحثهما على خوض القتال . وقد بث فيهما قوة كبيرة بأن لاسهما
بصولجانه . وأدرك البطلان كلاهما أن الآله هو الذي تحدث معهما في هيئة
كالخاس ، فاندفعا يخوضان غمار القتال وهما أكثر بسالة وإقداماً . طاف بوزيدون
صفوف اليونانيين ، وهو يحث الجميع على القتال ببسالة . أحاطت صفوف
المقاتلين بأجاكس الكبير والصغير ، ترساً لترس وخوذة لخوذة ، وقد أشهروا الرماح
بانتظار الطرواديين ، وبين مواطني طروادة كان هكتور يستعد للهجوم .
وكما يتدحرج الحجر الثقيل من على ذرى الجبل ، وقد انفصل عن

الصخرة، وهو يحطم كل ما في طريقه، كذلك اندفع هكتور، حاملاً رمح ودرعه نحو صفوف اليونانيين، لكنه توقف أمام الصفوف المغلقة، وراح يحث الطرواديين على خرق صفوف المقاتلين اليونانيين. دارت معركة طاحنة.

كان هكتور يقاتل هناك حيث يدافع أجاكس الكبير والصغير عن المراكب، كانا يقفان بعناد، وهما يقفان جنباً إلى جنب، ومن حولهما كان يقتتل الكثير من المحاربين. ومن خلفهم كان اللوكريون، المسلحون بالأقواس والمقاليع يرمون المهاجمين بزخات من السهام. وكان الطرواديون على وشك أن يلوذوا بالفرار، لكن البطل بوليدامانت نصح هكتور بأن يستنجد بأشهر الأبطال، ويقرر هل ينقضوا على مراكب اليونانيين، أو يتراجعوا. وذهب هكتور لدعوة الأبطال، لكنه لم يعثر على الكثيرين منهم، بعضهم كان راقداً، وقد لقي حتفه عند مراكب اليونانيين، وبعضهم الآخر انسحب من المعركة، بعد أن أصيب بالجراح. وحده باريس كان يصد هجمات اليونانيين. وراح هكتور يلوم باريس، لكن هذا اللوم لم يكن في محله، فقد كان باريس يقاتل ببسالة، ولا جريرة لباريس في أن الكثيرين جرحى، والأكثر منهم قتلى. أهاب باريس بهكتور أن يقود الطرواديين إلى القتال. وكما العاصفة هب الطرواديون للقتال، لكن اليونانيين لم يخشوا زحفهم.

رأى أجاكس تيلاموند هكتور فدعاها للاقترب أكثر من صفوف المقاتلين اليونانيين. وفوق رأس أجاكس ظهر نسر يحلق، فصاح اليونانيون فرحاً، إذ رأوا هذه الإشارة، لكن الطرواديين بقيادة هكتور انقضوا على اليونانيين، وهم يطلقون صراخاً رهيباً. ورد عليهم اليونانيون بصراخ مثله، فوصل صراخ المقاتلين إلى عنان السماء.

وهم أغاممنون بإصدار أوامره بإنزال المراكب، إلى الماء. لكن أوديسيوس نصحه بعدم القيام بذلك، لأنه كان يخاف أن اليونانيين سيفكرون، في حال إنزال المراكب، بالهرب أكثر من تفكيرهم بالقتال.

وفي هذا الوقت قررت الربة هيرا . . وهي ترى ورطة اليونانيين ، أن تساعدهم بالحيلة . فقررت أن تسلط سلطان الكرى على زوس ، وتمنح النصر لليونانيين أثناء نومه .

انطلقت الربة هيرا من على الألب إلى ليمنوس بسرعة ، وهناك عثرت على هينوس ، إله النوم . وقد راودته هيرا طويلاً لجعل قاذف الصواعق ينام ، لكن هينوس ظل يرفض ، لأنه كان يخاف زوس ، وتمكنت هيرا أخيراً من إقناعه ، انطلقت هيرا مع الاله هينوس إلى قمة جبل إيدا على عجل . اختبأ هينوس ، خفية عن زوس ، على شجرة شوح ضخمة في هيئة طائر ذي تغريد عذب ، ثم جعله يروح في سبات عميق ، ومن ثم انطلق هينوس من على جبل إيدا الشاهق إلى بوزيدون ، مزلزل الأرض ، وأخبره أن زوس نائم . .

فرح بوزيدون وضاعف من حثه اليونانيين على القتال . وقد نسي أغاممنون ، ديوميدي وأديسيوس جراحهم ، وراحوا ينظمون صفوف القوات اليونانية . زحفت القوات بقيادة بوزيدون لملاقاة الطرواديين . هاج البحر وماج ، وتلاطمت أمواجه فوصلت مراكب اليونانيين وخيامهم . كأواج البحر زحف اليونانيون على الطرواديين . ومن جديد بدأت المعركة الفظيعة . رمى هكتور أجاكس برمح ، لكنه لم يصبه . أما أجاكس فقد أصاب هكتور بحجر ضخم في صدره ، فوقع هكتور على الأرض ، وسقط الرمح من يديه ، وكان ترسه الضخم يسحبه نحو الأرض . انقض اليونانيون على هكتور ، لكن الأبطال الطرواديين هموا ابن بريام ، وسحبوه من الميدان . وضعوا هكتور ، الغائب عن الوعي ، على ضفة نهر كسانف ، وراحوا يرشون وجهه بالماء ، تنهد هكتور بصوت عال ، وفتح عينيه ، ثم نهض قليلاً ، فاندلق الدم من فمه . ومن جديد سقط هكتور على قفاه . فاقد الوعي . ازداد ضغط اليونانيين على الطرواديين ، فازداد القتال

ضراوة. ولاذ الطرواديون بالفرار، ولم يتوقفوا إلا خلف الخندق المحيط بمعسكر اليونانيين.

في هذا الوقت استيقظ زوس على قمة إيدا. وقد تملكه الغضب الفظيع حين رأى الطرواديين الفارين يطاردهم اليونانيون بقيادة بوزيدون. راح زوس يوبخ هيرا، ويهددها بأن يعلقها بحبل ذهبي بين السماء والأرض، لأنها أقنعت بوزيدون بمساعدة اليونانيين. لكن هيرا أكدت لزوس، بعد أن أقسمت له يميناً فظيماً، أن بوزيدون لايساعد اليونانيين بناء على نصيحتها. نادى هيرا الإله أبولون وإيريس رسولة الآلهة، وقالت لهما أن زوس يأمرهما بالذهاب إليه على قمة إيدا.

حين وصل أبولون وإيريس إلى إيدا أوعز زوس لإيريس بأن تطير إلى بوزيدون. وفي طرفة عين مثلت إيريس أمام بوزيدون، لم يكن بوزيدون يريد الرضوخ لإرادة أخيه. فقال أنه يعادل زوس قوة، وأن بوسع زوس أن يأمر أبناءه وبناته، وليس بمقدوره أن يأمره هو. غير أن بوزيدون رضخ في النهاية، وغادر ساح المعركة، وهو يهدد زوس بأنه إذا ما استمر في الرأفة بطروادة فإن العداء الأبدي سيبدأ بينه وبين زوس.

أما أبولون فقد أمره زوس بأخذ ترسه وإخافة اليونانيين به، كما أمره زوس بإعادة هكتور إلى قوته. وحين حط أبولون، مثل النسور، على الأرض قرب هكتور، بدأ هذا يسترد قواه فوراً، وقال له أبولون:

- قف يا هكتور. إنني الإله أبولون، أرسلني زوس لنجدتك. اذهب إلى القوات، واصدر إليها الأوامر بالهجوم على اليونانيين، ولسوف أكون في طليعة الطرواديين.

بث أبولون قوة جبارة في صدر هكتور. فنهض ومشى نحو الطرواديين. وفرح هؤلاء حين رأوا هكتور سليماً معافى. ودهش اليونانيون حين رأوا هكتور في

صفوف خصومهم من جديد. توقف الطرواديون عن الفرار، وعادوا يضيقون الخناق على اليونانيين. وازدادت المعركة ضراوة وسفك دماء، أبدى اليونانيون بسالة نادرة في صد زحف الطرواديين، لكن فقط إلى أن لوح الإله أبولون بترس زوس. فاختلت صفوف اليونانيين، ودب في نفوسهم الرعب، فلاذوا بالفرار. وطاردهم الطرواديون، ولم يتوقف اليونانيون إلا عند المراكب، وراحوا يستنجدون بالآلهة.

سمع زوس توسلاتهم، فتردد هزيم الرعد من السماء، وقد اعتبر الطرواديون الرعد، فألا حسناً، فانقضوا على اليونانيين كما الموجة البحرية العاتية، التي ترتفع فوق متن السفينة. وبدأت المعركة تدور عند المراكب مباشرة. كان أجاكس يقاتل بعناد.

حمى وطيس المعركة. وأقام اليونانيون سوراً من تروسهم النحاسية حول المراكب. كانوا يدافعون بجرأة. لكن هجوم الطرواديين كان يزداد ضراوة. وكان يبدو أن القتال يدور بين جيشين بدأ المعركة للتو، لا بين جيشين أضناهما طول الحرب. وكما ينقض النسر على الطيور المهاجرة كان هكتور يجندل اليونانيين. وهاقد قبض بيده على مؤخرة مركب بروتيزيلاس، وراح يصرخ بالطرواديين أن يعطوه المشعل ليضرم النار في المركب. حتى أجاكس الجبار نفسه لم يستطع التصدي للزحف الضاري، وبالكاد راح يقاوم الطرواديين برمحه. دب الخدر في يد أجاكس اليسرى بسبب ثقل الترس، فبدأ يتقهقر. وبضربة من سيفه قطع هكتور المنذفع إلى الأمام، سنان رمح أجاكس، وأضرم الطرواديون النار في مركب بروتيزيلاس، فراح يحترق من كل الجهات. كان يبدو أن الهلاك سيحل بجميع اليونانيين، لكن النجدة جاءتهم من حيث لم يكونوا يتظنونها.

مآثر باتروكليس وموته (٤٦) :

حين اقتحم الطرواديون معسكر اليونانيين أسرع باتروكليس إلى خيمة أخيل، وهو يذرف الدمع الغزير، فسأله أخيل:

- ما بالك تبكي يا باتروكليس كالطفلة، التي تجري في أثر أمها، وتطلب منها أن تحملها؟ لعلك تلقيت أنباء سيئة من فثيا؟ أم لعلك تبكي لأن اليونانيين يتساقطون لدى مراكبهم؟ اطلعي على سبب حزنك، ولا تخف عني شيئاً.

فرد عليه باتروكليس:

- آه يا ابن بيلياس! مصيبة هائلة حلت باليونانيين، فقد جرح أكثرهم بسالة. هل يعقل أنك لن تساعد اليونانيين؟ إن كنت لا تريد مساعدتهم فدعني أذهب مع أصحابك الميرميدونيين، اعطني دروعك، فقد يعتقد الطرواديون أنني أنت، فيوقفوا القتال. فنصد الطرواديين عن المراكب بهذه القوة الجديدة.

كان باتروكليس يتوسل إلى أخيل، دون أن يخطر بباله أنه إنما يطلب الموت لنفسه.

كان أخيل يرى مدى صعوبة وضع اليونانيين، ولم يكن يريد هلاكهم. وافق أخيل على إعطاء باتروكليس سلاحه، وسمح له بدخول المعركة ضد الطرواديين، فقط إذا ماتعرضت مراكبه للخطر، وحينذاك سيكون على باتروكليس أن يصد الطرواديين، ولا يسمح لهم بإحراق المراكب. لكن أخيل حظر على باتروكليس قيادة الميرميدونيين نحو أسوار طروادة: كان يخاف على صديقه المحبوب من الهلاك.

فجأة رأى أخيل أحد مراكبه يشتعل، بعد أن أضرم هكتور النار فيه، فصاح بغضب:

- اسرع يباتروكليس ، إنني أرى أن اللهب ينتشر بين المراكب ، تسليح بسرعة .
ولسوف أقوم بنفسى بترتيب صفوف الميرميدونيين للقتال .
وعلى جناح السرعة تسليح باتروكليس بدروع أخيل ، لكه لم يأخذ رجه ،
فقد كان أخيل وحده القادر على الطعن بهذا الرمح لشدة ثقله . وربط الجياد إلى
مركبة أخيل سائسه أوتوميدونت . أما أخيل فقد وضع الميرميدونيين في ترتيب
القتال ، وراح يحثهم على اجتراح المآثر ، ويحرضهم على القتال ببسالة ، لكي
يدرك الملك أغاممنون كم كان مخطئاً حين أهان أخيل ، أشهر أبطال الاغريق .
اندفع الميرميدونيون إلى القتال . وحين رأى الطرواديون باتروكليس في دروع
أخيل ظنوه أخيل فعلاً ، وأنه نسي خصامه مع أغاممنون ، وهب لنجدة اليونانيين .
وراقت فكرة الهرب تراود كل طروادي . أما باتروكليس فقد اندفع إلى حيث تدور
المعركة على أشدها ، وراح يجندل برمحه الطرواديين الذين كانوا يقاتلون عند
مركب بروتيزيلاس . فتراجع الطرواديون خائفين .

لم يغادر الطرواديون المعسكر فوراً ، بل اكتفوا بالابتعاد عن المراكب . لكنهم
لم يصمدوا في المعسكر ، فقد راح الأبطال اليونانيون ينفضون عليهم كالذئاب
الضارية . وأخيراً تراجع هكتور نفسه ، فقد حملته الجياد بسرعة عبر الخندق إلى
الميدان .

راح باتروكليس ، وهو يحث اليونانيين على مطاردة الفارين ، يسوق جياده
على عجل باتجاه الخندق . كان باتروكليس يبحث عن هكتور ، الذي نجى
بجلده ، وهو في مركبته . ارتفعت سحب الغبار فوق الميدان نتيجة فرار المقاتلين
الطرواديين .

ساق باتروكليس الطرواديين حتى أسوار المدينة ، كان يندفع للقاء حتفه .
قتل باتروكليس العديد من الأبطال ، وكان يمكن أن يستولي على طروادة لولا أن
سارع أبولون ، تنفيذاً لمشيئة زوس ، إلى الوقوف على برج طروادة الشاهق .

ثلاث مرات حاول باتروكليس تسلق السور، وثلاث مرات صده أبولون. وحين اندفع باتروكليس للمرة الرابعة نحو السور صرخ به أبولون مهدداً:
- تراجع عن السور يا باتروكليس المقدام. فقدر طروادة أن يكون هدمها على يد أخيل، لا على يدك.

تراجع باتروكليس، دون أن يجزؤ على إثارة سخط الإله أبولون، الذي يصيب بناله الذهبية على مسافة بعيدة.

لم يوقف هكتور جياده إلا عند بوابة سكييس، كان متردداً هل يهجم على باتروكليس، أم يأمر الجميع بالاحتفاء خلف أسوار طروادة. وهنا تجلى له أبولون في هيئة شقيق هيكوبه، ونصحه بالهجوم على باتروكليس في الميدان الواسع. سمع هكتور النصيحة، وأوعز لسائسه بأن يدير عنان الجياد. لم يكذب باتروكليس يرى هكتور في مركبته حتى وثب إلى الأرض، وحمل حجراً كبيراً بيده اليمنى، وراح يلوح برمحه باليد اليسرى، وينتظر اقتراب خصمه. وحين أصبح هكتور قريباً منه رماه باتروكليس بالحجر، فأصاب به رأس السائس.

وثب هكتور من المركبة وبدأ القتال مع باتروكليس من أجل جثة سائسه، بدأت المعركة الطاحنة. كان اليونانيون والطوراديين يقاتلون كما تصطبخب ريح الشرق وريح الجنوب في واد حراجي، حين تتمايل الأشجار بصخب، وهي تصطدم بأغصان بعضها، ويتردد من حولك أنين أشجار البلوط والصنوبر والشوح المتكسرة. استمر قتال اليونانيين والطوراديين طويلاً. وبدأت الشمس تميل إلى الغروب. ثلاث مرات هاجم باتروكليس الطرواديين، وفي كل مرة كان يجندل برمحه تسعة من أبطالهم، وحين انقض على الطرواديين للمرة الرابعة تصدى الإله أبولون له، وهو مسربل بالظلمة التامة. وقف خلف باتروكليس وضربه على ظهره وكتفيه، فأظلمت الدنيا في عيني باتروكليس. انتزع الإله أبولون الخوذة عن رأس باتروكليس، تلك الخوذة التي سبق لها أن تألقت على رأس بيلياس، وتدحرجت

الخوذة على الأرض . وانكسر رمح باتروكليس في يده ، وسقط ترسه الثقيل على الأرض . وتجنباً للهلاك راح باتروكليس يتراجع نحو صفوف اليونانيين . لكن هكتور رآه فأصابه بطعنة رمح قاتلة . كان فرح ابن بريام لا يوصف ، فقد قتل صديق أخيل . الذي هدد بتدمير طروادة العظيمة . سقط باتروكليس على الأرض ، وقال لهكتور وهو يحتضر :

- بوسعك الآن أن تفخريا هكتور بنصرك ، الذي حققته بمعونة زوس وأبولون . لقد غلبني الآلهة . هذا سهل على الآلهة ، لكن لو أن عشرين من أمثالك هاجموني ، إذن لجندلتكم جميعاً برمحي . تذكر ما سأقول لك : لم يبق لك من الحياة إلا القليل ، والموت قاب قوسين منك لقد كتب القدر القاسي لك الموت على يد أخيل .

ما إن أنهى باتروكليس كلامه حتى أسلم الروح . وبكل هدوء طارت روحه إلى مملكة هادس الكئيب وهي تشكو من أنها فارقت جسداً شاباً قوياً . وصاح هكتور بالميت :

- لماذا تنذرنى بالموت يا باتروكليس ؟ من يعرف : فقد يفارق أخيل الحياة قبلي بطعنة من رمحي ؟

انتزع هكتور رمحه من جثة باتروكليس ، وانقض على أوتوميدون ، بغية الاستيلاء على جياذ أخيل .

القتال من أجل جثة باتروكليس (٤٧) :

رأى الملك مينيلوس باتروكليس راقداً على الأرض ، فاندفع إليه : لم يكن يريد أن يمثل الطرواديون بجثة البطل ، الذي حارب من أجله . وكما الأسد الهصور راح يصول ويجول قرب باتروكليس ، محتتماً بترسه ، وملوحاً برمحه الثقيل .

ودنا الطروادي ايفوربوس، الذي أصاب باتروكليس في ظهره، من مينيلوس، وهو يتحرق رغبة للانتقام لأخيه من قاتله، ملك أسبارطة .
طعن برمح ترس مينيلوس، لكنه لم يستطع خرق الترس . أما مينيلوس فقد غرز رمحه، بطعنة قوية، في صدر إيفوربوس، فهوى الطروادي الشاب على الأرض . بدأ مينيلوس يخلع الدروع المزادنة بالأحجار الكريمة عنه . لكن هكتور انقض على مينيلوس . فراجع مينيلوس عن جثة باتروكليس، وإن كان يعرف أن اليونانيين سيدينونه على هذا، لكنه خاف أن يجد نفسه وقد حاصره الطرواديون . قرر مينيلوس الاستنجاد بأجاس . وكان هكتور قد تمكن من الإمساك بجثة باتروكليس، ونزع دروع أخيل عنها، حين وصل أجاس، فاضطر هكتور للانسحاب . وإذ رأى غلوكوس ذلك راح يوبخ ابن بريام على لامبالاته، وعلى خوفه من أبطال الاغريق . بهذه الكلمات أرغم غلوكوس هكتور على العودة إلى القتال . ونادى خدمه ليعودوا، بعد أن كان قد أمرهم بحمل دروع باتروكليس إلى طروادة، وارتداها هو . وفكر زوس، قاذف الصواعق، حين رأى هكتور يتسلح بسلاح أخيل : «إنك لاترى أيها المسكين مدى قرب الموت منك . إنك ترتدي دروع البطل، الذي يهابه الجميع . الآن سأهبك النصر مكافأة لك . على أن زوجتك أندروماك لن تأخذ من يديك أبداً دروع أخيل» . هذا ماخطر ببال زوس، وكدليل على أن هذا ماسيكون قطب حاجبيه .
أما هكتور فقد شعر أنه مفعم بالقوة والجرأة، فانطلق إلى القوات، وراح يبحث الأبطال على القتال . أما مينيلوس فكان في هذا الوقت ينادي اليونانيين بصوت عال للحماية جثة باتروكليس . تراصت تروس الأبطال من حول جثة باتروكليس، لكن الطرواديين صدوهم . بيد أن أجاس تيلامونيد الجبار شتت صفوف الطرواديين، وانتزع جثة باتروكليس منهم .
همى وطمس المعركة من جديد، واختلت صفوف الطرواديين، لكن أبولون

تمكن من حث إينياس على القتال، فأوقف هزيمة القوات. كانت المعركة تدور كالنار الشرهة، التي لاتبقي ولا تذر.

نصح أجاكس مينيلوس الأبطال برفع جثة باتروكليس، وحملها إلى المعسكر. أما هو نفسه فقد راح يغطيهم فيصد الطرواديين. ولم يكد الطرواديون يرون أن الأبطال قد رفعوا جثة باتروكليس حتى انقضوا عليهم، كالكلاب الضارية. لكن كان يكفي أن يلتفت أجاكس ناحيتهم حتى يتوقف الطرواديون وقد شحبت وجوههم من شدة الفزع. وازدادت المعركة ضراوة كالحريق الذي يدمر المدينة فبيلتهم كل ما حوله. سار مينيلوس ببطء حاملاً جثة باتروكليس على يديه. وبالكاد تمكن أجاكس من صد هجمات الطرواديين وفي طليعتهم إينياس وهكتور. في هذا الوقت كان أخيل جالساً لدى خيمته يفكر وقد استبد به القلق بسبب تأخر باتروكليس. وفجأة اقترب منه ابن نسطور وهوبكي. لقد حمل إلى أخيل نبأ مقتل باتروكليس. استولى على أخيل حزن لا يوصف. وبكلتا يديه غرف الرماد من الموقد، ورش رأسه به. وقع أخيل على الأرض، وراح يمزق شعره حزناً. وبكى أنتيلوخ الشاب. كان يمسك بيد أخيل، لكي لاتدفعه المصيبة إلى الانتحار. كان أخيل يتتحب بصوت عال، وسمعت ثيتيس بكاءه، فأجهشت بالبكاء.

تجلت ثيتيس مع شقيقاتها أمام أخيل، واحتضنت رأس ابنها الحبيب باكية، ثم سألته:

- لماذا تبكي بهذا الصوت العالي؟ لاتخف عني شيئاً، واخبرني بكل شيء. فقد لبي زوس طلبك، ودفع بقوات الاغريق حتى مراكبهم. إنهم لا يريدون إلا شيئاً واحداً، أن تمد لهم يد المساعدة.

وأجاب أخيل:

- إنني أعرف هذا يا أمي الحبيبة، لكن أي فرح في هذا! لقد فقدت باتروكليس.

كنت أحبه أكثر من الجميع ، وأصونه كما أصون حياتي . لقد قتله هكتور ، واختطف تلك الدروع ، التي أهداها الآلهة لبيلياس . لاحتياة لي بين الناس إن لم أتمكن من طعن هكتور برمحي ، وإن لم يدفع لي حياته ثمن موت باتروكليس .
وصاحت ثيتيس :

- لكنك بدورك ستموت في أعقاب هكتور .
- حسناً ، فلأمت الآن إن كنت لا أستطيع إنقاذ صديقي . سأنسى غضبي من أغاممنون وأخوض غمار القتال من جديد ، لكي أقتل هكتور . فلست أهاب الموت ، إن أحداً لا ينجو من الموت ، إنني مستعد للموت هناك ، حيث كتب علي القدر ، لكنني سأبلغ قبل ذلك المجد العظيم . كلا لا تثنييني عن عزمي يا أماه .
هكذا رد أخيل على والدته . ولم تطلب منه الربة ثيتيس إلا شيئاً واحداً : أن لا يدخل القتال قبل أن تأتيه بدروع جديدة من عند الإله هيبياستوس .
وفي معسكر الاغريق ناح أخيل على باتروكليس ، ووضع يديه على صدر القتيل .

أمر أخيل أصدقاءه بغسل الجثة الدامية ، ومسحها بالطيب . وضعوا جثة باتروكليس على فراش فاخر ، وغطوها بقماش رقيق ، ومن الأعلى وضعوا غطاء مزخرفاً . ظل الميرميدونيون يندبون باتروكليس الليل بطوله .

ثيتيس عند هيبياستوس . سلاح أخيل (٤٨) :

طارت ثيتيس على جناح السرعة إلى الأوبلب المشرق ، نحو قصر الإله هيبياستوس . حين وصلت الربة ثيتيس إلى هناك وجدته في مشغل الحدادة . كان ، والعرق يتصبب منه ، يصنع عشرين حاملاً دفعة واحدة . كانت الحوامل على دواليب ذهبية . فكانت تتدحرج نحو الإله بنفسها ، ثم تعود بنفسها . ولم يبق

للإله إلا أن يضع هذه الحوامل القبضات الذهبية . كان الإله منكباً على صنع المسامير للقبضات حين دخلت الربة ثيتيس القصر بهدوء . رأت هاريت الحساء ، زوجة الإله هيبايستوس الربة ثيتيس ، فأخذتها من يدها بلطف ، وقالت لها :
- ادخلي القصر يا ثيتيس ، إنك نادراً ما تزورينا . ماهي الحاجة ، التي جاءت بك إلينا؟

أمسك هيبايستوس بيد ثيتيس ، وسألها :

- قولي لي أيتها الربة ماذا تريدين؟ وإذا كان بمقدوري فإنني على استعداد لأن أفعل كل شيء من أجلك .

حدثتها ثيتيس ، وهي تذرف الدموع ، كيف فقد ولدها تلك الدروع ، التي أهداها الآلهة لأبيه بيلياس ، وكيف قتل هكتور باتروكليس ، وكيف يتعذب أخيل حزناً على صديقه ، ويتعطش للانتقام من القاتل ، لكن لا سلاح لديه . وطلبت الربة من هيبايستوس أن يصنع السلاح لابنها . ما ان سمع هيبايستوس كلام ثيتيس حتى وافق فوراً على أن يصنع ذلك السلاح ، الذي سيهز جميع الناس بجسماله النادر .

قبل كل شيء صنع هيبايستوس لأخيل ترساً ، وزينه بالصور الساحرة . وبعد صنع الترس صنع الدروع لأخيل فجاءت براءة ، كاللهب الساطع . ثم صنع له خوذة ثقيلة ، ذات عرف ذهبي ، وغمداً من القصدير المرن . بعد أن أنهى عمله حمل السلاح إلى ثيتيس ، التي انطلقت كالنسر السريع من على الأولب إلى الأرض البعيدة ، لكي تقدم الدروع لابنها .

صلح أخيل وأغاممنون^(٩٠) :

عمدت ثيتيس ، من أجل تهدئة خاطر ابنها ، إلى عرض الدروع ، التي جلبتها ، عليه .

سار أخيل عبر شاطئ البحر، يدعو الجميع إلى المجلس، فاجتمعت القوات كلها عند خيمة أغاممنون، وقد جاء أوديسيوس وديوميدي وهما يعرجان، كما خرج أغاممنون، الذي يتألم من جرحه. وحين التأم شمل الجميع، وخيم الصمت المطبق، عرض أخيل على أغاممنون أن يتصالحا، وراح يستعجل الجميع على خوض القتال ضد الطرواديين. فرح اليونانيون حين سمعوا أن العداء بين أخيل وأغاممنون قد انتهى. نهض أغاممنون من مكانه، واعترف بذنبه، وقال أن آلهة الشقاق هي التي أعمت بصيرته. وأمر أغاممنون بأن يسلم أخيل فوراً كل الهبات التي وعده بها لقاء المصالحة. لكن أخيل لم يعد بحاجة إلى الهبات، بل كان كل همه القتال والانتقام من هكتور، فراح يهيب بالجميع أن يقاتلوا. لكن أوديسيوس تمكن من إقناع أخيل بتأجيل بدء المعركة. وقد جلب الهبات من خيمة أغاممنون، كما جيء للبطل بالأسيرات ومعهن بريثيس.

انصرف كل إلى خيمته، أما الميرميدونيون فقد أخذوا هبات أغاممنون، وذهبوا إلى مراكبهم، وقد ذهب أخيل برفقتهم.

أخيل يخوض القتال ضد الطرواديين (٥٠):

بدأت فصائل الاغريق تخرج من المعسكر فصيلة إثر أخرى. كان عددهم كبيراً. وتحت أشعة الشمس كانت تسطع الخوذات والرماح والتروس. وماد شاطئ البحر تحت وقع أقدام المحاربين. تسربل ابن بيلياس بالسلاح. فقد ارتدى الدروع التي صنعها له هيبايستوس، وعلق سيفه على كتفه، وتناول ترسه، الذي يسطع كالبدر، وأخرج من الصندوق رمحه الضخم، الذي لم يكن بوسع أحد آخر أن يقاتل به. كما ارتدى الخوذة، التي تتألق كالنجم، ثم خرج من خيمته. وكانت عيناه تقدحان شرراً، أما قلبه فكان لا يزال يعاني من الحزن الذي

لا يطاق. ربط أخيل جياده إلى المركبة، ثم صعد إلى متنها، وساق جياده إلى الميدان. أما اليونانيون فقد رتبوا صفوفهم في الميدان، ثم بدأوا زحفهم على الطرواديين، الذين كانوا يتمركزون في المرتفعات المطلّة على طروادة. وفي هذا الوقت أمر زوس، قاذف الصواعق، الربّة ثيتيس بدعوة الآلهة إلى المجلس. وفي قصر زوس اجتمع الآلهة جميعهم، حتى آلهة الأنهار والسيول، وحوريات وربات الينابيع. وقال إله الصواعق أنه لن يتدخل في القتال، بل سيراقب مجرى المعركة من على قمة الأولب، وأن بوسع جميع الآلهة أن يشاركوا في القتال سواء إلى جانب اليونانيين، أو الطرواديين. وللحال هبط الآلهة إلى الأرض. وقد وقفت الربتان هيرا وأثينا بالاس، والأرباب بوزيدون، هرمس وهيباستوس إلى جانب اليونانيين، أما الربات أفروديت، أرتيميس ولاتون والإلهان أيريس وأبولون، وإله النهر اسكاماندر فقد وقفوا في صف الطرواديين. ما إن اقترب آلهة الأولب من القوات حتى صعّدت الربّة إيريس حدة القتال. وصاحت أثينا بالاس متوعدة، وهي تمرّبين صفوف اليونانيين. ورد عليها أريس بصرخة كالعاصفة العاتية. اشتبك الطرفان، وقرّعت رعود زوس، وتدحرجت عبر السماء، وزلزل الإله بوزيدون الأرض كلها، وتمايلت الجبال من أسفلها إلى ذراها، ومادت طروادة العظيمة، وتراقصت مراكب اليونانيين. وخاف هادس، حاكم مملكة أرواح الموتى، فوثب عن عرشه، خشية أن تنقلب الأرض. وینفتح عالمه المرعب، الذي تقشعر له حتى أبدان الآلهة الخالدين. بدأت المعركة، كان أخيل يتوق إلى شيء واحد فقط - أن يلتقي في ميدان القتال بهكتور.

اندفع أخيل يخوض غمار المعركة بشراسة، وقد جندل الكثير من الأبطال، وهو يبحث عن هكتور. أما هكتور فكان الإله أبولون قد منعه من الهجوم على أخيل، وأمره بالبقاء في صفوف المقاتلين الخلفية. لكن ها هو أخيل يصرع

بوليدوروس برمحہ . وكان بوليدوروس أصغر ماتبقى من أبناء ملك طروادة . ولم يكدهكتوريرى موت أخيه حتى نسي نصائح أبولون ، واندفع إلى حيث يقاتل أخيل . رأى أخيل هكتور فتلاأت عيناه الرهيبتان فرحاً ، وصاح قائلاً :

- ها هوذا الذي أصاب قلبي بالحزن العميق . هيا اقرب كي أستطيع إرسالك على جناح السرعة إلى مملكة هادس .

لكن هكتور أجاب أخيل بقوله :

- غير معروف حتى الآن من منا سيقتل . صحيح أنني لست بقوتك يا أخيل ، لكن الآلهة وحدهم يعرفون من سيلقى حتفه منا ، ولتعرف أن رحمي ثاقب أيضاً .

قذف هكتور رمحہ ، لكن أثينا بالاس حرقت الرمح بتنفسها ، فسقط عند قدمي أخيل ، فانقض أخيل على هكتور ، لكن أبولون هرع لنجدته ، ودثر هكتور بالظلمة ، ثلاث مرات انقض أخيل على هكتور ، لكنه في كل مرة كان يصيب الظلمة برمحہ . وحين انقض عليه في المرة الرابعة صرخ به متوعداً :

- لقد نجوت من جديد - أيها الكلب - من الموت ، فمن جديد أنقذك أبولون ، لكنني سأنال منك قريباً إذا كان لدي حام بين الآلهة .

وفي ثورة غضبه انقض أخيل على أبطال طروادة الآخرين ، فسقط الكثيرون منهم بطعنات رمحہ القاتل . الكثيرون من الطرواديين حاولوا النجاة بجلدهم عن طريق نهر سكاماندر ، وهاج النهر وماج لكثرة المقاتلين ، الذين ألقوا بأنفسهم في مياهه . بعضهم كان يريد النجاة سباحة ، وبعضهم الآخر حاول الاختباء تحت ضفافه المتعرجة . واندفع أخيل ، والسيف في يده ، يخوض في مياه سكاماندر ، وهو يحصد الطراديين الفارين . وصاح إله نهر سكاماندر من اللجة بصوت عال :

- أخيل ! اطرده الطرواديين من مياهي . اقتلهم في الميدان ، لا في مياهي . لقد

وقفت جثثهم حجر عثرة في طريقي إلى البحر. تلاف قتل الطرواديين في مجراي .

فرد أخيل على الإله :

- لن أتوقف عن قتل الطرواديين ياسكاماندر إلى أن أزرهم في طروادة، وأقاتل هكتور.

وحينذاك نادى سكاماندر الإله أبولون بصوت عال :

- أيها الإله المهداف! إنك لاتنفذ أوامر زوس قاذف الصواعق . ألم يأمرك أنت

بالدفاع عن الطرواديين إلى أن يسدل الليل ستاره على الجبال والسهول؟

اصطخبت مياه سكاماندر، وراحت، وهي تزار متوعدة، تقذف إلى الضفة بجثث القتلى ، أما الأحياء منهم فقد خبأهم إله النهر في الكهف. تدافعت الأمواج من حول أخيل ، الذي ألقى بنفسه في النهر، وثب أخيل من النهر، وجرى عبر السهل، ومن خلفه تدحرجت موجة سكاماندر العاتية، مهددة باغراقه، رفعت الموجة المغطاة بالطين الماء عالياً، وكالجدار راحت تحاصر أخيل . خافت الربة هيرا من موت ابن بيلياس، فأرسلت لمساعدته ابنها الإله هيبيستوس، اندلع في الميدان لهب شديد، واحترقت جثث الطرواديين، الذين قتلهم أخيل . وبسرعة جف الميدان، بعد أن غمرته الأمواج، حتى النهر أضرم هيبيستوس النار فيه .

كانت المياه تبقبق من شدة الحرارة، وتوقف النهر عن الجريان، وراح إله نهر سكاماندر يتوسل لهيرا أن تكبح جماح ابنها . وأقسم يميناً عظيمة أنه لن يساعد الطرواديين بعد الآن . أوقفت هيرا الإله هيبيستوس، فخدمت النار.

اندلع الخصام القوي بين الآلهة . فقد هرعوا إلى القتال، ومادت الأرض تحت وقع أقدامهم . وضحك زوس وهو يرى الآلهة يتقاتلون فيما بينهم . فإنه الحرب أريس هاجم الربة أثينا بالاس، للانتقام منها لأنها ساعدت ديوميد على

جرحه . وقد أصاب أريس الربة في ترسها ، لكنه لم يستطع اختراقه ، وهنا اختطفت أثينا حجراً ضخماً ، فأصابت به أريس في عنقه ، قرقت الدروع على أريس ، وغطى الغبار شعره . وجاءت أفروديت ربة الحب ، لنجدة أريس ، وراحت تحاول سحبه من ميدان القتال ، لكن أثينا أصابتها بطعنة من رمحها في صدرها . فسقطت أفروديت على الأرض . وتحدى إله البحر بوزيدون الإله أبولون لمنازلته . لكن الإله الهداف لم ينازله . كان أبولون يخاف أن يرفع يده على بوزيدون مزلزل الأرض . وراحت الربة أرتيميس توبخ أخاها أبولون لأنه تقاعس عن خوض القتال . سمعت الربة هيرا ذلك فقبضت على ذراع أرتيميس ، وانتزعت القوس منها ، ثم ضربت الربة الشابة به . تناثرت نبال أرتيميس ، فهربت باكية . جمعت الربة ليتوالنبال ، ثم رفعت قوس ابنتها ، ولحقت بها . أما أرتيميس فقد صعدت إلى الأولب ، وراحت تشكو إلى زوس بحرقه كيف أهانتها هيرا . وعاد الآلهة الآخرون إلى الأولب : بعضهم فخوراً بالنصر ، والآخر بقلوب مفعمة بالسخط . أما أبولون فقد انطلق إلى طروادة على عجل : كان يخشى أن يدك اليونانيون أسوار طروادة ، رغم أنف القدر .

ومن البرج العالي رأى الشيخ بريام أخيل وهويطارد الطرواديين عبر الميدان ، فأمر بفتح بوابة المدينة كي يتمكن الطرواديون من الاحتفاء فيها . كان المقاتلون يقفون على الأسوار ، وقد أرهاقهم القتال ، وهم يروون عطشهم ، ويمسحون عرقهم . ولم يبق في الميدان إلا هكتور . كان يقف عند بوابة سكيوس ، لكأن القدر المحتوم ثبته في مكانه .

مبارزة أخيل وهكتور^(٥١) :

انطلق أخيل عبر الميدان نحو أسوار طروادة كالنجم الشاقب ، يسطع في

سواء الخريف، إنه سير يوس - كما يسميه البشر - نذير شؤم للفانين . حين رأى الشيخ بريام أخيل يقترب من أسوار طروادة راح من شدة الخوف يتوسل إلى هكتور أن يدخل المدينة .

كما راحت أمه العجوز هيكوب تتوسل إليه أن يختبئ في طروادة . وراحت تذكر ابنها كيف أرضعته في طفولته وكيف هدهدته . فهل يعقل أن يموت هكتور أمام عينيها، دون أن تتمكن لاهي ولا أندروماك من النواح عليه ، أما جثته فستمزقها كلاب المرميدونيين؟

لكن هكتور صمم على انتظار أخيل ، فوقف ينتظر خصمه ، وقد استند بترسه إلى نتوء البرج . لم يكن هكتور يستطيع التملص من قتال أخيل .

كان أخيل يقترب رويداً رويداً . واستولى الخوف على هكتور، وانطلق هارباً من ابن بيلياس الرهيب، يدور حول طروادة، وأخيل العاصف يطارده . وحين مر البطلان للمرة الرابعة قرب ينايع سكاماندر رمى الإله، قاذف الصواعق، قرعة الموت في الميزان الذهبي بين أخيل وهكتور . فانخفضت قرعة هكتور إلى مملكة هادس الكئيب . غادر الإله أبولون هكتور، أما الربة أثينا بالاس فقد اقتربت من أخيل . وقد أوعزت للبطل أن يتوقف، ووعدته بتحقيق النصر على هكتور . ثم اتخذت هيئة ديثيفوبوس، شقيق هكتور . وقد أقنعت هكتور بقتال ابن بيلياس، واعدة بالمساعدة، فتوقف هكتور . والتقى البطلان . كان هكتور أول من صاح :

- لن عود، يا ابن بيلياس، إلى البحث عن النجاة بالفرار، فلنتبارز، ولنرهل ستقتلني أنت، أم أفوز أنا . ولنهب بالآلهة أن يكونوا شهوداً قبل القتال . إنني أعد بأن لا أمثل بجثتك إن وهبني قاذف الصواعق الغلبة، فالتزم بدورك بهذا الاتفاق .

لكن أخيل رد عليه متوعداً :

- كلا ، لاتعرض علي الاتفاقات أيها العدو اللدود! كلا . فاستجمع كل قواك ، وتذكر كل فنك في القتال . لن تنجومي . ولسوف تدفع لي ثمن دم صديقي باتروكليس ، الذي أرقت ، ودم أصدقائي الآخرين ، الذين قتلت .
- قذف أخيل هكتور برمح بيده الجبارة ، لكن هكتور أقعى فنجا من الضربة القاتلة . طعن هكتور أخيل برمح في وسط ترسه . لكن الرمح ارتد كالعصا عن الترس ، المصنوع بيدي الإله هيبايستوس . ولم يكن لدى هكتور رمح آخر . أطرق برأسه ، وراح يستنجد بديثيفوبوس بصوت عال ، لكنه لم يجد له أثراً . وأدرك هكتور أن أثينا بالاس قد خدعته ، كما أدرك أنه ملاق حتفه لامحالة ، امتشق هكتور سيفه ، وانقض على أخيل ، وبدوره انقض أخيل على هكتور ، وبيد جبارة أصابه بطعنة من رمحه في عنقه . سقط هكتور على الأرض ، وقد أصيب بجرح قاتل . ولم يكن بمقدوره إلا أن يقول عدة كلمات لأخيل المنتصر :
- أستحلفك يا أخيل أن لاتترك جثتي تمزقها كلاب الميرميدونيين ، رد جثتي لأبي وأمي ، ولسوف يدفعان لك لقاءها فدية لاتعد ولا تحصى .
- وأجاب أخيل :
- كلا . عبثاً تتوسل إلي أيها الكلب الحقير . إن أحداً لن يرد الكلاب عن جثتك ، ولو عرضوا علي أسخى الهبات وأثمن العطايا ، حتى ولو أعطوني وزنك ذهباً ! لن يندب جثتك أبداً لابريام ولا هيكوب .
- وقال هكتور لأخيل ، وهو يفارق الحياة :
- كنت أعرف أن توسلي لن يؤثر فيك ، ففي صدرك قلب من حديد . لكن احذر سخط الآلهة . فلسوف يأتي دورك وتأتي نهايتك ، لسوف يصرعك باريس بسهمه بمساعدة الإله أبولون ، قرب بوابة سكييس .
- مات هكتور ، وطارت روحه ، وهي تشكو حظها العاثر ، إلى مملكة هادس الكئيب .

دعا أخيل جميع اليونانيين، وقد ذهلوا لرؤية طول قامته وجمال هكتور الممدد على الأرض. وراح كل من كان يقترب يطعن جثة هكتور برمح. الآن أصبحت إصابته سهلة.

كان أخيل قد نوى أمراً فظيماً. فقد ثقب قدمي هكتور ومرر عبر الثقبين سيراً متيناً، ثم ربط هكتور من قدميه إلى المركبة، ثم ركبها، وقد رفع عالياً الدروع، التي انتزعها عن جثة هكتور، وأطلق لجياده العنان عبر الميدان، جاراً جثة هكتور وراءه، وارتفع الغبار في الميدان، واسود وجه هكتور الجميل من الغبار، وهو يصطدم بالأرض.

ومن فوق أسوار طروادة رأت هيكوب أخيل وهو يجلب بالعارجثة ابنها. فراحت من فرط حزنها تنتف شعرها الشائب، وتندق على صدرها، بعد أن مزقت غطاءها. وبدوره كان بريام يتتجب. سمعت أندروماك صراخ الطرواديين المفجوع، فهرعت إلى الأسوار، ورأت من عليها جثة زوجها، تجرها عربة أخيل في التراب. سقطت زوجة هكتور المسكينة على أيدي الطرواديات، غائبة عن الوعي. وسقط عنها خمارها، المزدان بالأحجار الكريمة، هدية أفروديت لها. وحين ثابت إلى رשدها راحت تبكي وتولول. كان الحزن، الذي لا يوصف، يمزق قلب أندروماك. ومن حولها كانت الطرواديات يبكين بصوت عال، فقد مات حامي طروادة العظيم.

جنازة باتروكليس (٥٢):

عاد اليونانيون إلى مراكبهم. وأوعز أخيل للميرميدونيين بأن يطوفوا على مركبة حول جثة باتروكليس ثلاث مرات. وعلى المتكأ، الذي كان يرقد عليه باتروكليس القتيل، ألقى أخيل بجثة

هكتور، دون أن يغطيها بشيء. وأخيا ابن بيلياس مآدبة عامرة لجيشه الميرميدوني.

وأقام الأبطال اليونانيون بدورهم احتفالاً، تفرقوا بعده على خيامهم. وحده أخيل استلقى بقلب مفجوع على شاطئ البحر المصطخب أبداً. وأخيراً راح بدوره في سبات عميق.

وعند الصباح الباكر أرسل أغاممنون اليونانيين إلى سفح إيذا الشاهق لجلب الأخشاب اللازمة لمحرقه الدفن، وعلى شاطئ البحر أقام اليونانيون محرقه عالية. وحمل الميرميدونيون باتروكليس في موكب مهيب. وقدموا الكثير من النعاج والثيران قرباناً عن باتروكليس، وغطوا جثته كلها بشحوم هذه الأضاحي، كما وضعوا من حول المحرقه، التي وضعت عليها الجثة، أوعية العسل والزيت. ثم قتلوا أربعة جياد وكلبين. وعلى المحرقه وضعوا جثث اثني عشر شاباً طرودياً، قتلهم أخيل بيديه. أما جثة هكتور فقد وضعت عند المحرقه.

حين أصبح كل شيء جاهزاً للدفن أضرم أخيل النار. ظلت السنة اللهب تتراقص عالياً في المحرقه طوال الليل، أما أخيل فقد راح يغرف النبيذ بقدح ذي قعرين، وهو يريق النبيذ، وينادي روح باتروكليس.

وعند الصباح بدأت النار في المحرقه تحبوا. وردد أخيل المرهق على الأرض قرب المحرقه، التي توشك أن تنطفئ، فاستولى عليه سلطان الكرى. وقد استيقظ على أصوات زعماء الاغريق. وبناء على طلب أخيل أخذ الزعماء جمر المحرقه المتوهج بالنبيذ، ثم جمعوا عظام باتروكليس، ووضعوها في وعاء من الذهب، ومن ثم أقاموا هيكلًا، ووضعوا الوعاء فيه، ومن فوق الهيكل شيدوا تلة دفن عالية.

بعد الدفن أقام أخيل على شرف الميت ألعاب دفن فاخرة. ووزع أخيل هباته السخية على كل المشاركين فيها.

انتهت الألعاب، وتفرق الأبطال، ولم يلبث المعسكر كله أن استسلم للنوم. وحده أخيل لم ينام. كان - وهو المفجوع - يندب صديقه. وأمضى فترة طويلة وهو يذرع شاطئ البحر جيئة وذهاباً. أخيراً، وحين انبلج الفجر، ربط أخيل جياده إلى المركبة، ثم ربط إليها جثة هكتور، ودار ثلاث مرات حول تلة القبر، وهو يجرم من خلفه جثة ابن بريام المسكين. وبعد ذلك رمى جثة هكتور، وذهب إلى خيمته.

بريام في خيمة أخيل. دفن هكتور (٥٣):

رأى الآلهة من على الأولب كيف راح أخيل يمثل بجثة هكتور. وقد غضب الإله أبولون منه بسبب ذلك. أراد الآلهة أن يقوم هرمس باختطاف جثة هكتور، لكن الربتين هيرا وأثينا بالاس عارضتا ذلك، كما عارضه الإله بوزيدون. مر أحد عشر يوماً وهكتور ملقى عند خيمة أخيل لا يغطيه بشيء. وراح أبولون يقرع الآلهة لأنهم يسمحون لأخيل، الذي نسي التعاطف والضمير، فراح يمثل بجثة هكتور. اندلع الجدل بين أبولون وهيرا. وقد فض زوس قاذف الصواعق هذا الجدل. فقد قرّر أن يرسل ثيتيس إلى أخيل، لكي تبلغه مشيئة زوس بأن يسلم جثة هكتور لوالده لقاء فدية كبيرة. كان هكتور العظيم أحب الطرواديين إلى قلب زوس.

ومثل البرق الخاطف انطلقت إيريس قاصدة ثيتيس، وفي طرفة عين مثلت أمامها. نزلت ثيتيس إلى الأرض، ودخلت خيمة ابنها. جلست بجوار ابنها الحزين، واخبرته، وهي تلاطفه بحنان، أن زوس وجميع الآلهة غاضبون منه، ويأمرونه بتسليم بريام جثة هكتور. رضخ أخيل الجبار لمشيئة الآلهة. وفي نفس الوقت أرسل زوس قاذف الصواعق إيريس، تابعة الآلهة، إلى

بريام . كان الشيخ المسكين متمدداً على الأرض ، يذرف الدموع حزناً على ولده القاتل . اقتربت إيريس من الشيخ بريام وأمرته ، باسم زوس ، أن يسافر إلى معسكر اليونانيين . قاصداً أخيل ومعه فدية كبيرة . ووعدت إيريس بريام بأن يرافقه الإله هرمس إلى المعسكر .

ما إن سمع بريام كلام الربة حتى نهض ، وسار إلى القصر ، وأوعز بإعداد عربة لنقل الهبات ، وتجهيز المركبة له . ولدى دخوله القصر نادى بريام زوجته هيكوب ، وأخبرها أنه يريد الذهاب إلى معسكر اليونانيين . خافت هيكوب ، وراحت تتوسل إلى زوجها أن لا يذهب ، إلى هلاكه المؤكد ، لكن بريام طمأنها بأنه ذاهب إلى أخيل بمشيئة آلهة الأولمب . اختار بريام الهدايا السخية ، ثم بدأ يستعد للسفر . صعد بريام إلى مركبته ، وساط جواده . وأمام المركبة كانت البغال تجر العربة المحملة بالهبات . وقد بكى كل من كان في وداع بريام لكأنه كان ذاهباً إلى موته الأكيد .

حين ظهر بريام في السهل أرسل زوس قاذف الصواعق الإله هرمس للقائه . وقد تجلى هرمس لبريام في هيئة شاب جميل حينما كان الأخير يسقي جواده وبغاله في النهر . خاف بريام ، أن يقتله الشاب ويسلبه الهبات . لكن هرمس ، الذي قدم نفسه على أنه خادم أخيل ، عرض عليه أن يرافقه إلى المعسكر . حين اقترب بريام من خيمة أخيل كشف هرمس له عن حقيقته ، وأمره بدخول الخيمة بكل جرأة . دخل بريام الخيمة ، دون أن ينتبه إليه أحد ، وخر على ركبته أمام أخيل ، وراح يتوسل إليه :

- تذكر يا أخيل العظيم والدك وهو شيخ طاعن في السن مثلي . وربما يكون جيرانه قد حاصروا مدينته أيضاً ، وليس هناك من يدراً عنه المحنة . أما أنا ، البائس ، فقد فقدت جميع أبنائي تقريباً . وأنت قتلت هكتور ، أعظم أبنائي ، ومن أجله

جئت إلى مراكبك . ارث لمصابي ! تقبل الفدية السخية . إنك ترى كم أنا
بائس ، فأنا مرغم على تقبيل يدي قاتل أولادي .
أثارت كلمات بريام ذكريات أخيل عن أبيه ، فبكى بمرارة . أما بريام فقد
تمدد على الأرض ، وراح يبكي ولده . أخيراً نهض أخيل ، ثم أنهض بريام وقال
له :

- يالك من بائس ! لقد رأيت الكثير من البؤس في حياتك . كيف جرؤت على
أن تأتي إلى هنا لوحده ، إلى من قتل العديد من أولادك ؟ لكن اطمئن ،
توقف عن البكاء ، واجلس ها هنا .
ورد بريام :

- كلا يا أخيل ! تقبل الهدايا ، ودعني ألقى نظرة على جثة ولدي .
نظر أخيل إلى بريام غاضباً ، ثم قال :
- حاذر أن تثير غضبي أيها الشيخ . أنا نفسي أعرف أن علي أن أعيد لك جثة
هكتور ، تلك مشيئة زوس ، فاسكت . إنني أخاف أن يدفعني الغضب إلى
انتهاك وصية زوس - الرأفة بالسائل .

قال أخيل ذلك وخرج . غسلت وصيفات أخيل جثة هكتور ، والبسته
الثياب الفاخرة ، وقام أخيل بنفسه برفع الجثة ، ووضعها على متكأ فاخر الرياش ،
أما أصدقائه فقد وضعوا الجثة على عربة . بعد القيام بكل هذا عاد أخيل إلى
الخيمة ، وقال للشيخ أن كل شيء جاهز . أعد أخيل عشاء سخياً ، ودعا بريام
لتناول الطعام والشراب . وفي أثناء العشاء راح بريام ينظر بدهشة إلى أخيل
الجميل والعظيم كالاله ، بينما كان أخيل ينظر بإعجاب إلى المظهر الجليل للشيخ ،
أبيض الشعر ، ويصغي إلى أحاديثه الحكيمة .

حين انتهى العشاء طلب بريام من أخيل السماح له بأخذ قسط من النوم ،
لأنه لم يعرف طعم النوم مذ قتل هكتور . حين هم بريام بأن يخلد للنوم سأله أخيل

كم يوماً يلزمه لدفن ولده، ووعده بعدم بدء القتال في هذه الأيام . طلب بريام عشرة أيام للدفن . وقد وعده أخيل أن لا يدخل هونفسه القتال خلال هذه الأيام، وسيحول بين الاغريق وبين القتال أثناءها . شد أخيل على يد بريام بكل حنان . رغبة منه في طمأنة الشيخ، ثم افترقا .

عند مطلع الفجر وصل بريام إلى طروادة، كانت كساندرا أول من رآه، فراحت تندب هكتور بصوت عال، وتنادي الطرواديين والطرواديات . اجتمع حشد كبير من الناس عند بوابة طروادة، وفي مقدمة الجميع كانت تقف هيكوب وأندروماك، وهما تنتحبان وتمزقان شعرهما . كل الطرواديات كن ينتحبن، وهن يحاولن الاقتراب قدر الامكان من العربة، التي تحمل جثة هكتور، لكن بريام أمر الجمهور بتركه يمر، ففتح المحتشدون الطريق بين صفوفهم إلى داخل طروادة .

كانت أندروماك تبكي بصوت عال - كانت تندب زوجها، وحاميها الوحيد . كانت الآن تعرف أن طروادة سوف تسقط، ويسوق الاغريق جميع الطرواديات في الأسر القاسي . وبدورها كانت هيكوب تنتحب، وهي تذرف الدمع على ولدها الحبيب .

وبكت هيلين فلم يسبق لها أن سمعت من هكتور كلمة تأنيب ولم ترمه أية إساءة . كان هكتور، ذو الروح المرهفة، يدافع عنها أبداً، وبفضل حمايته لها كان الآخرون يتورعون عن الاساءة إليها . والآن مات صديقها الوحيد في طروادة، حيث كان الجميع يكون لها الكراهية .

أمر بريام بتجهيز محرقة الدفن . ظل الطرواديون على مدى تسعة أيام يجلبون الأخشاب للمحرقة من جبل إيدا . وفي اليوم العاشر وضعوا جثة هكتور على المحرقة، ثم أضرموا فيها النار . بعد ذلك جمعوا رفاته في وعاء ذهبي، وضعوه في قبر، ثم غطوا القبر بالصفائح الحجرية . وبينما كان الطرواديون يضعون

التراب فوق القبر على شكل كثيب، كان الحراس يراقبون لكي لا يباغتهم اليونانيون بالهجوم . بعد الدفن أحيا بريام في قصره احتفالاً جنازياً فاخراً .

القتال ضد الامازونيات . بانتيزيليا(٥٤) :

بعد موت هكتور حلت على طروادة أزمة عصبية، فلم يبق لديها بطل جبار يذود عن حياضها، لم يبق في طروادة بطل يستطيع منازلة أخيل . كان يبدو وكأن أيام المدينة الأخيرة قد حلت . وفجأة جاءت النجدة للطرواديين . فمن بونتوس البعيد جاءت الامازونيات المحاربات على جياذ سريعة لمساعدة الطرواديين . وكان على رأسهن ملكهتن بانتيزيليا، التي أرادت أن تكفر عن ذنبها، بقتل أختها عن غير قصد أثناء الصيد، من خلال قتال اليونانيين . كانت أرتميس غاضبة منها بسبب هذه الجريمة، فكانت بانتيزيليا تأمل استرضاء أرتميس، حامية الطرواديين، بالقتال إلى جانبهم . راحت ابنة أريس الجبارة تتبجح بأنها ستقتل جميع أبطال اليونان الأمجاد، وستطرد اليونانيين من على مشارف طروادة، وتحرق مراكبهم . استقبل الطرواديون الامازونيات بفرح كبير . واستقبل بريام بانتيزيليا كأنها ابنته، وأقام على شرفها احتفالاً فاخراً . في اليوم التالي خرجت الامازونيات بسلاحهن الرائع على رأس القوات الطروادية لمهاجمة اليونانيين . وبدأ القتال الضاري . ومثل الزوبعة العاصفة كانت انتيزيليا تشق صفوف اليونانيين، والامازونيات يرافقنها . كن يجندلن الأبطال الواحد تلو الآخر . فاختلت صفوف اليونانيين وبدأوا بتراجعون . وظلت بانتيزيليا تدفعهم حتى المراكب مباشرة . أصبح النصر النهائي للامازونيات وشيكاً . وفجأة جاء لنجدة اليونانيين أخيل وأجاكس تيلامونيد . كانا قد تخلفا عن القتال . فقد تمردا على الأرض قرب قبر باتروكليس، وهما حزنان لفقد صديقهما . وما ان

سمعا صخب القتال حتى تسليح البطلان على جناح السرعة ، وانطلقا إلى الميدان كأنهما أسدان . ولم يستطع الأمازونيّات والطرواديون التصدي لهما . رأّت بانتيزيليا أخيل الجبار ، فتصدت له بجساره . رمت أخيل برمحها ، لكن الرمح تكسر على ترسه . وفي ثورة غضبه انقض عليها أخيل فأصابها في صدرها . وبعد أن استجمعت بانتيزيليا كل ماتبقى لديها من قوة أرادت أن تستل سيفها ، لكن أخيل الجبار صرعها هي والجواد برمح . سقط الجواد على الأرض ، وتمددت بانتيزيليا بجواره . نزع أخيل الخوذة عنها ، ووقف ذاهلاً أمام الجمال الفريد لابنة أريس إله الحرب . كات بانتيزيليا الميتة رائحة مثل الربة أرتيميس . وقف أخيل فوق جثتها غارقاً في الحزن . ودنا ثيرسيت منه ، وسارع ، وهويسخر من حزن أخيل ، إلى سمل عين بانتيزيليا الحسناء برمح . وثارت ثائرة أخيل ، فضرب ثيرسيت على وجهه ضربة كانت القاضية .

رفع أخيل بكل هدوء جثة بانتيزيليا ، التي قتلها ، وحملها من الميدان . وبعد ذلك سلم اليونانيون الطرواديين جثة بانتيزيليا واثنتي عشرة أمازونية أخرى بكامل سلاحهن . فأقام الطرواديون جنازة فاخرة لهن ، واحرقوا الجثث على محارق الدفن .

أما أخيل فقد قصد جزيرة ليسبوس ، وهناك قدم القرابين السخية للإله أبولون والربة أرتيميس ولأمه ليتو ، وراح يتوسل إليهم أن يطهروه من رجس دم بانتيزيليا الذي أراق .

القتال ضد الاثيوبيين ، ميمنون^(٥٥)

بعد موت بانتيزيليا أصبح الطرواديون يواجهون صعوبة أكبر في صد زحف اليونانيين . لكن النجدة جاءتهم من جديد ، وعلى غير انتظار . فمن شواطئ

الأوقيانوس الشائب، الذي يحزم الأرض كلها بمياهه، جاء ميمنون إلى طروادة على رأس جيش جرار من الاثيوبيين. كان ميمنون ابن إيوس ربة الفجر الرائعة وتيفون، وأحد أقرباء بريام. ولم يكن أي من البشر الفانين يضاهيه جمالاً. كان كنجمة الصبح يتلألأ بين الطرواديين في دروعه الذهبية، التي صنعها الإله هيبايستوس بنفسه.

كان ميمنون خصماً يليق بأخيل. ومن جديد حمى وطيس القتال تحت أسوار طروادة. في طليعة الطرواديين كان ميمنون، بينما كان أخيل في مقدمة اليونانيين، لكن أخيل كان يتهرب من لقاء ميمنون، كان ابن ثيتيس يعرف أنه إذا ما قتل ميمنون لن يلبث هو نفسه أن يلقي حتفه بسهم أبولون، هاجم ميمنون الشيخ نسطور.

فأدار نسطور عنان جياده، يريد الفرار للنجاة بجلده. لكن باريس شد قوسه، وأصاب بسهمه أحد جياد نسطور.

وحين رأى نسطور الموت الأكيد يترصده استنجد بابنه أنتيلوخ. وقد هرع الابن البار لنجدة أبيه. أمسك أنتيلوخ حجراً ضخماً، ورمى ميمنون به، لكن الخوذة، التي صنعها هيبايستوس، أنقذت ميمنون من الضربة. وطعن ميمنون أنتيلوخ برمح في صدره، فسقط ابن نسطور على الأرض وقد فارق الحياة. أجهش الشيخ نسطور بالبكاء، وهو يرى موت ابنه.

وهم ميمنون بنزع دروع أنتيلوخ القتيل، فاندفع نسطور بنفسه للدفاع عن جثة ولده. دار القتال شرساً بين اليونانيين والطرواديين حول جثة أنتيلوخ. وقد استنجد نسطور بأخيل الجبار. ولاتسل عن وقع نبأ مقتل أنتيلوخ على أخيل. فقد كان يحبه كثيراً، وكان أفضل صديق له بعد باتروكليس. واندفع أخيل يخوض غمار القتال، وقد نسي أنه سوف يموت بعد موت ميمنون. امتشق البطلان سيفيهما، وانقض أحدهما على الآخر. كانا كلاهما متعادلين من حيث القوة، وكلاهما كانا

ولسدي ربتين، وعلى هذا وذاك كانت تتوهج الدروع المصنوعة على يدي هيبايستوس. راح البطلان يتقاتلان وقد احتمى كل منهما بترسه. ومن على الأولمب العالي كان الآلهة يراقبون هذه المباراة، وراحت أمهما الربة أيوس، والربة ثيتيس، تتوسلان إلى زوس، أن ينقذ ابنها. أخذ زوس الميزان الذهبي، ووضع عليه قرعتي البطلين، ووزنهما. فانخفضت قرعة ميمنون منذرة بالموت على يد أخيل. فأجهشت الربة، أيوس بالبكاء: لقد كان عليها أن تفقد ولدها الذي تكن له كل الحب، أخيراً لوح أخيل برمح الثقيل، وطعن به ميمنون في صدره. التفت الربة أيوس في غيمة داكنة، إعراباً عن الحزن.

أما الأثيوبيون فقد حولهم الآلهة إلى طيور. ومنذ ذلك الحين وهذه الطيور تأتي كل عام فتحط عند قبر ميمنون، وتشدب ملكها. دفن اليونانيون أنتيلوخ الشاب بكل مظاهر الاجلال والتكريم.

موت أخيل^(٥٦):

كان أخيل يتقد غضباً من الطرواديين. وقد قرر أن ينتقم منهم بقسوة لموت باتروكليس وأنتيلوخ. كان أخيل يقاتل كالأسد الضاري. وقد لاذ الطرواديون بالفرار، وأسرعوا للاحتباء خلف أسوار طروادة.

ظل أخيل يطاردهم كالمجنون حتى بوابة سكيس مباشرة. وكان يمكن أن يقتحم طروادة المقدسة، ويدمرها، لولم يأت الإله أبولون، وهدد أخيل الإله بأنه سيصرعه برمح. كان القدر الغاشم قد وضع غشاوة على بصيرة أخيل. غضب أبولون، ونسي أنه سبق له أن وعد بحماية أخيل في عرس بيلياس وثيتيس، فقام، وقد تدثر بغيمة سوداء، بحيث لا يراه أحد، بتوجيه سهم باريس، فأصاب أخيل في كعبه. كان هذا الجرح مميتاً لأخيل. شعر أخيل بدنو

أجله ، فانتزع السهم من جرحه ، ووقع على الأرض . ومن جديد استجمع أخيل قواه ، ونهض عن الأرض رهيباً كالأسد المحتضر ، لكن البرودة دبّت في أوصاله ، وأصبح الموت قاب قوسين . تمايل أخيل ، ثم استند إلى رمحه ، وصرخ بالطرواديين متوعداً :

- الويل لكم ، لسوف يحقق بكم الهلاك . لسوف أنتقم منكم حتى بعد مماتي .
ومن هول هذه الصرخة ولي الطرواديون الأدبار . لكن ضعف أخيل راح يزداد ، وفقد آخر ماله من قوة ، فارتدى على الأرض ، قرقت الدروع الذهبية عليه ، ومادت الأرض . مات أخيل ، لكن الطرواديين لم يجرؤوا على الاقتراب منه حتى وهوميت . وشيئاً فشيئاً بدأوا يتغلبون على مخاوفهم ، ودار القتال الضاري حول جثة أعظم الأبطال . وفي هذه المعركة اشترك أقوى الأبطال من الطرفين ، وتكومت الجثث جبلاً من حول أخيل ، أما هوفكان يرقد دون حراك ، ولم يعد يسمع ضجيج القتال . وكان يبدو وكأن القتال لن ينتهي أبداً . وفجأة قصف زوس برعوده ، وثار العاصفة ، فأوقفت الطرواديين . لم يكن زوس يرغب في أن يستولي الطرواديون على جثة أخيل . رفع أجاكس تيلامونيد الجبار جثة أخيل ، وحملها نحو المراكب ، بينما كان أوديسيوس يحميه فيصد الطرواديين المهاجمين . أوصل أجاكس أخيل إلى المراكب . غسله اليونانيون ، ومسحوه بزيت الطيب ، ثم وضعوه على منصة ذات زينة فاخرة . أحاط اليونانيون بالمنصة ، وراحوا يندبون بطل الأبطال ، وينتفون شعرهم حزناً . سمعت الربة ثيتيس بكاءهم ، فخرجت من لجة البحر مع شقيقاتها النيريثيد . وحين عرفت ثيتيس بموت ولدها الحبيب ، أطلقت صرخة من قلب مفجوع ، اقشعرت من هولها أبدان اليونانيين جميعاً . استمر النواح على أخيل سبعة عشر يوماً . ومن على الألب العالي نزلت ربّات الإلهام ، وهن ينشدن الأناشيد الجنائزية على شرف الميت . وفي اليوم الثامن عشر أقيمت محرقة الدفن ، وعليها أحرقت جثة أخيل . وحين خمدت النار جمعت عظام أخيل ،

ووضعت في وعاء ذهبي ، كان ديونيزوس قد أهداه لثيتيس . وفي هذا الوعاء نفسه كانت قد وضعت عظام باتروكليس . أقام اليونانيون تلة عالية فوق القبر ، كانت تبدو من مكان بعيد في البحر، دليلاً على المجد الكبير للبطلين المدفونين تحتها . بعد الدفن أقيمت الألعاب على شرف الميت . ومن البحر جلبت الربة ثيتيس الأحجار الكريمة ، لتوزع كجوائز على الفائزين في الألعاب .

موت أجاكس التيلاموني^(٥٧) :

بعد موت أخيل بقيت دروعه الذهبية ، المصنوعة على يد الاله هيبايستوس . وقد أمرت ثيتيس بأن تعطى لذلك الذي بز الجميع في الدفاع عن جثة أخيل .

وكان من المفروض أن تعطى إما لأجاكس أو لأوديسيوس . وقد دب الخلاف بينهما من أجل الدروع . كان كلا البطلين جديراً بالمكافأة . أخيراً قررا أن يكون الطرواديون الأسرى الحكم في هذا الخلاف . وهنا أيضاً عمدت أثينا بالاس إلى مساعدة محبوبها أوديسيوس . فبمساعدهتها قام أغاممنون ومينيلوس باستبدال قرعة أجاكس ، كما إنهما لم يكونا دقيقين في إحصاء أصوات الطرواديين ، فكانت الدروع من نصيب أوديسيوس ، مما حز في نفس أجاكس ، فانصرف إلى خيمته وفي نيته أن ينتقم من ابني أتريوس ومن أوديسيوس .

خرج أجاكس تحت جناح الظلام ، ومعسكر الإغريق كله يغط في سبات عميق ، خرج من خيمته وسيفه في يده ، وقد عزم على قتل أغاممنون ومينيلوس . لكن الربة أثينا بالاس أصابته بمس من جنون . وكانت الربة غاضبة عليه منذ عهد بعيد ، لأنه كان يرفض معونة الآلهة ، ويعتمد على قوته . انقض أجاكس المجنون على قطيع الثيران ، وراح يقتلها في الظلمة ، ظناً منه أنه يقتل اليونانيين .

أما الثيران الباقية فقد ساقها إلى خيمته ، ظناً منه أنه يسوق الأسرى . وفي خيمته سام أجاكس الثيران صنوف العذاب ، وكان يتلذذ بتعذيبها وموتها ، فهي بالنسبة له لم تكن ثيراناً ، بل كان يظنها ابني أتريوس . أخيراً بدأ أجاكس يثوب إلى رشده رويداً رويداً . ولاتسل عما استبد به من هلع حين رأى أن كل خيمته مملوءة بالحيوانات الميتة . ويطلب أجاكس أن يوضحوا له ماذا جرى . وحين أخبروه بكل شيء كاد قلب البطل العظيم ينفطر من هول المصيبة . وقد قرّر أن يكفر بموته عما لحق به من عار . وبعد أن وضع ابنه في عهدة أخيه تيفكروس والمقاتلين ، الذين جاءوا من سالامين برفقته ، ذهب إلى شاطئ البحر ، آخذاً معه السيف ، الذي سبق لهرقل أن وهبه له ، وقال لرفاقه أنه ذاهب ليلتمس من الآلهة أن ترأف به وترحمه ؛ أما سيفه فيود أن ينذره لهادس ولربة الليل .

انتشر خبر ما قام به أجاكس في معسكر الإغريق ، وقد عثروا على الثيران والنعاج ، التي قتلها ، وعلى جثث الرعاة . أدرك أوديسيوس بواسطة الآثار الدامية أن كل هذا من صنع أجاكس . وقد تملك أغاممنون ومينيلوس غضب شديد ، وقررا الانتقام من أجاكس .

وفي هذا الوقت جاء رسول من عند تيفكروس ، وأخبر أصدقاء أجاكس بضرورة حماية البطل العظيم لأن الموت يتهدده ، وفي هذا اليوم فقط ، وإذا ما مر هذا اليوم بسلام فلن يبقى شيء يتهدد أجاكس . ولم يلبث أن وصل تيفكروس نفسه إلى المعسكر . وحين عرف أن أخاه قد ذهب إلى شاطئ البحر هرع للبحث عنه . كان يخاف أن يكون أجاكس قد أصيب بمكروه . وبالفعل فقد وجد أن أخاه لم يعد على قيد الحياة . فعلى شاطئ البحر لم يجد تيفكروس سوى جثة أجاكس ، كان قد رمى بنفسه على سيفه . هكذا قضى بطل الإغريق الأقوى بعد أخيل .

رفض مينيلوس وأغاممنون السماح لتيفكروس بدفن جثة أخيه . وكان يمكن أن يدب العداة السافريين تيفكروس وابني أتريوس ، فيندلع القتال بين

الأخوة في معسكر الإغريق ، لولم يتدخل أوديسيوس في الأمر. فقد أقنع أغاممنون بالسماح لتيفكروس بدفن أجاكس ، الذي قدم لليونانيين الكثير من الخدمات الجليلة . ارتفعت تلة دفن جديدة قرب تلة أخيل ، وتحت هذه التلة كانت ترقد رفات أجاكس الجبار ابن تيلامون .

فيلوكتيت . أيام طراودة الأخيرة (٥٨) :

بعد موت أخيل وأجاكس استمر اليونانيون في حصار طروادة ، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة . وفي ذات مرة سمع أوديسيوس في كمينه كلام العراف هيلينوس ، ابن بريام ، حول الطريقة الكفيلة بالاستيلاء على المدينة ، ومن ثم عمد إلى أسره بالمكر والحيلة . وقد استطاع أوديسيوس أن يحصل منه على أن طروادة لن تسقط إلا إذا جاء إلى قوات الإغريق فيلوكتيت حاملاً نبال هرقل المسمومة وبرفته نيوبتوليم ، ابن أخيل الشاب ، وللحال قرر أوديسيوس الذهاب في هذه الرحلة البعيدة في طلب هذين البطلين .

لم يجد أوديسيوس ، الذي وصل جزيرة سكير وس إلى الملك ليكوميد كبير عناء في إقناع ابن أخيل الشاب بالمشاركة في حصار طروادة . فقد كان نيوبتوليم الجميل ، مثله مثل والده ، يتحرق شوقاً لاجتراح المآثر العظيمة . وقد انطلق للحال برفقة أوديسيوس ، وذلك على الرغم من محاولات والدته ديثيداميا إقناعه بالبقاء ، وبالرغم من كل ماذرفت من دموع . لكن إقناع فيلوكتيت كان أصعب بكثير . كان فيلوكتيت يعيش على جزيرة خريس غير المأهولة ، قرب ليمنوس ، وحيداً في كهف ذي مدخلين ، أحدهما من الشرق ، والآخر من الغرب . وعبر هذين المدخلين كانت الشمس تدفئ الكهف شتاء ، وفي الصيف كانت الريح تحفف من وطأة الحرفيه . وكان فيلوكتيت غالباً ما يعاني من الجوع . وكان يجد

صعوبة كبيرة في تأمين ما يقتات به ، فيصطاد الحمام البري بنباله . كان الجرح في ساقه يؤلمه كثيراً ، وبالكاد كان المسكين يتحرك لجلب الماء . وبصعوبة بالغة كان يتمكن من إضرام النار بضرب حجرين ببعضهما . عانى فيلوكتيت من الحرمان والعذاب الفظيع في جزيرة خريس على مدى عشر سنوات . ونادراً ما كان البحارة يرسون إلى شواطئ الجزيرة ، بيد أن أياً منهم لم يوافق على نقل فيلوكتيت إلى اليونان . وكان الذنب في كل هذا العذاب يعود إلى ابني اتريوس وإلى أوديسيوس ، فكان فيلوكتيت يكن لهم كرهاً فظيماً . وكان بوده لو يصرعهم بنبال قوسه .

كان أوديسيوس يعرف أن سيلقى حتفه حتماً في حال وقعت عينا فيلوكتيت عليه ، ولذا فقد قرر أخذه بالحيلة والمكر ، حيث أقنع نيوبتوليم بالذهاب إلى فيلوكتيت ، وإخباره أنه عائد من تحت أسوار طروادة . وأنه ترك القوات لأن زعماء الاغريق أهانوه . وفي حال طلب فيلوكتيت أخذه إلى اليونان فيجب أن يوافق ، لأنه سيكون بالامكان - بهذه الطريقة - أخذ فيلوكتيت وقوسه ونباله . وحينذاك سيكون من السهل جلب فيلوكتيت إلى ضواحي طروادة . لم يكن نيوبتوليم يريد أن يلجأ إلى الخداع ، لكن أوديسيوس أقنعه أن هذه هي الطريقة الوحيدة الكفيلة بجذب فيلوكتيت إلى المركب ، وقد وافق ابن أخيل على ذلك .

حين وصل المركب إلى جزيرة خريس ، نزل نيوبتوليم إلى الشاطئ مع عدة محاربين ، قاصداً الكهف ، فلم يجد فيلوكتيت داخله ، لكن فيلوكتيت لم يلبث أن جاء .

كان يسير نحو الكهف وهو يثني بصوت عال ، فقد كان جرحه يعذبه كثيراً . سر فيلوكتيت حين رأى زواره ، وتضاعف سروره حين عرف أنه أمام نيوبتوليم ، ابن أخيل . روى نيوبتوليم لفيلوكتيت القصة التي اختلقها أوديسيوس ، كما حدثه عن موت أخيل باتروكليس وأجاكس . حزن فيلوكتيت حين عرف بموت أولئك

الذين أحب أكثر من جميع الأبطال الآخرين . وافق فيلوكتيت على الابحار مع نيوبتوليم إلى اليونان ، حتى أنه سلم ابن أخيل الشاب قوسه وسهامه ، وراح يتوسل إليه أن يحميه من دهاء أوديسيوس وغدره ، كما راح يستعجله أن يبحر إلى اليونان .

وعلى غير انتظار جاء أحد المحاربين يزعم أن البطل فينيكوس وابني ثيسيوس يقتربون لكي ينقلوا فيلوكتيت إلى عند طروادة عنوة . وعلى الرغم من آلامه الفظيعة فقد أسرع فيلوكتيت نحو الشاطئ . كان نيوبتوليم يرى هذه الآلام . ولم يعد قادراً على الاستمرار في خداعه ، فيخبر فيلوكتيت بالحقيقة كلها . وهم نيوبتوليم بإعادة القوس والسهام لفيلوكتيت ، لكن أوديسيوس ، الذي خرج من مكمته على عجل ، لم يدعه يفعل ذلك . أراد فيلوكتيت أن يهرب ، ويلقي بنفسه من على قمة الصخور إلى البحر ، المهم أن لا يصبح أداة طيعة في يدي أوديسيوس الكريه وابني أتريوس . أوعز أوديسيوس للخدم بالإمساك بفيلوكتيت ونقله إلى المركب بالقوة . واستولى اليأس على فيلوكتيت . ولم يستطع نيوبتوليم أن يرى عذابه ، فأعطى القوس والنبال للمسكين . وهنا تداعت خطة أوديسيوس كلها ، حتى أنه لاذ بالفرار لينجو بجلده ، لأنه كان يعرف مدى فظاعة الموت بسهام هرقل .

قام نيوبتوليم بمحاولة أخرى لإقناع فيلوكتيت بمرافقته إلى طروادة ، ومساعدة الإغريق في الاستيلاء عليها . لكن فيلوكتيت رفض بشكل قاطع ، فهو لم يستطع أن ينسى ذلك العذاب الذي جره عليه أغاممنون ، مينيلوس وأوديسيوس . كان يبدو أنهم سيغادرون الجزيرة بخفي حنين ، أو أن يعود نيوبتوليم إلى الخداع والحيلة من جديد .

وفجأة ظهر طيف هرقل متألقاً أمام فيلوكتيت . وقد أوعز لفيلوكتيت بالذهاب إلى أسوار طروادة ، وقد وعده بطل الأبطال بشفائه من جرحه وبالمجد

العظيم عند فتح طروادة، رضخ فيلوكتيت لمشيئة صديقه، فصعد إلى مركب أوديسيوس باختياره، ثم أقلع قاصداً طروادة.

اجترح نيوبتوليم الكثير من المآثر بعد وصوله إلى أسوار طروادة. ولم يكن بمقدور أحد أن يقارن بابن أخيل قوة وجراًة. فقد سقط على يديه الكثير من الطرواديين. وفي مباراة ضارية قتل يفربيلوس الجبار ابن تيليفوس وأحد أحفاد هرقل. وكانت أمه هي التي أرسلته لمساعدة بريام، بعد أن أغرتها الهبة الثمينة - شجرة الكرم الذهبية، التي كان زوس قد زرعها لغانيميد الجميل. وبعد ميمنون كان يفربيلوس، الرائع كالاله، الأقوى من بين المدافعين عن طروادة. لكن حب أمه للمنفعة جر عليه الموت.

بعد وصول فيلوكتيت إلى أسوار طروادة بفترة قصيرة جرح بسهمه باريس، الذي اندلعت هذه الحرب بسببه. لقد أصابه فيلوكتيت بجرح غير قابل للشفاء من سهم هرقل المسموم، وكان عذاب باريس لا يوصف، فقد راح السم ينفذ في جسمه شيئاً فشيئاً. وغادر باريس طروادة إلى الغابة، حيث مات بعد عذاب لا يطاق. لقد مات في نفس المكان الذي سبق له أن عاش فيه راعياً بسيطاً. عثر الرعاة على جثة باريس، فبكوا بلوعة موت رفيقهم القديم. أقام الرعاة محرقة عالية، ووضعوا جثة باريس فوقها، ثم أضرموا النار فيها. بعد ذلك جمعوا رفاته في وعاء، وضعوه في القبر.

يوماً بعد يوم كان دفاع الطرواديين عن المدينة يزداد صعوبة. ومع ذلك فلم يتمكن الاغريق من الاستيلاء عليها بالقوة. وحينذاك قرر أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة من جديد. فشوه وجهه بضربات السوط، ثم ارتدى الأسهل البالية، ودخل طروادة في زي شحاذ، لكي يكتشف كل ما يخطط له الطرواديين. رأى الطرواديين الشحاذ المسكين، وهو يجمع الصدقات. وحدها هيلين الحسناء عرفت أوديسيوس. فدعته إلى دارها، وغسلت جسمه، ثم أقسمت أنها لن

تكشف للطرواديين عن حقيقته . تنسم أوديسيوس كل الأخبار، وعاد إلى معسكر الاغريق بسلام ، بعد أن قتل العديد من الحراس . وبعد ذلك عمد أوديسيوس وديوميدي إلى دخول طروادة سراً ، ثم تسللوا إلى معبد أثينا بالاس . وهناك كان ينتصب تمثال الربة ، الذي كان قد وقع من السماء (تمثال البالاديون) . كان لابد للاغريق من الحصول على هذا التمثال . فلم يكن بالإمكان الاستيلاء على المدينة مادام هذا التمثال فيها . وقد وجد البطلان صعوبة كبيرة في اختطافه . وفي طريق العودة قتل الكثير من الطرواديين ، ثم عادا إلى المعسكر .

سقوط طروادة (٥٩) :

ومع هذا فلم يستطع الاغريق الاستيلاء على المدينة ، وحينذاك اقترح أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة ، فنصح ببناء حصان خشبي ضخم ، يستطيع أن يختبئ في جوفه أقوى أبطال اليونان ، أما القوات الباقية فتبحر كلها ، مبتعدة عن طروادة ، وتختبئ خلف جزيرة تينيدوس^(٦٠) . وسيقوم الطرواديون بجر الحصان إلى المدينة ، وفي الليل يخرج المقاتلون من جوفه ، ويفتحون أبواب المدينة للاغريق العائدين خفية . وراح أوديسيوس يؤكد أن هذا الأسلوب هو وحده الكفيل بالاستيلاء على طروادة .

وبدوره راح العراف كالكس ، الذي تلقى علامة زوس ، يحاول إقناع اليونانيين باللجوء إلى المكر . أخيراً وافق اليونانيون على اقتراح أوديسيوس . قام الفنان الشهير إيبوس وتلميذه ، تساعدهما الربة أثينا بالاس ببناء حصان خشبي ضخم . وقد مليء جوف الحصان بالمقاتلين المدججين بالسلاح . وأغلق إيبوس الشق الذي دخل منه المقاتلون بشكل متقن ، بحيث لا يخطر بالبال أبداً أن

المقاتلين موجودون داخل الحصان . ومن ثم أحرق اليونانيون كل الأبنية في معسكرهم . وركبوا مراكبهم ، وانطلقوا إلى عرض البحر .

من على أسوار طروادة العالية رأى المحاصرون حركة غير عادية في معسكر اليونانيين . ولفترة طويلة لم يعرفوا ماذا يجري هناك . وفجأة رأوا - والدنيا لاتسعهم من فرط السرور، أن أعمدة الدخان الكثيفة ترتفع فوق معسكر اليونانيين ، وادركوا أن اليونانيين قد غادروا أرض طروادة . خرج الطرواديون جميعاً من المدينة فرحين ، واتجهوا إلى المعسكر . كان المعسكر مهجوراً بالفعل ، وكانت الأبنية لاتزال تشرق هنا وهناك . وبكل فضول راح الطرواديون يجوبون تلك الأماكن التي كانت تقوم فيها حتى عهد قريب خيام أخيل ، أغاممنون مينيلوس وغيرهم ، من الأبطال ، كانوا واثقين أن الحصار قد انتهى ، وأن كل المحن والأرزاء قد ولت .

وفجأة توقف الطرواديون ذاهلين إذ رأوا الحصان الخشبي . كان الطرواديون يتأملونه وهم في حيرة من أمر هذا البناء الرائع . بعضهم نصح بأن يلقي به في البحر ، أما البعض الآخر فقد نصح بجره إلى المدينة ، ووضعه على الأوكروبل . بدأ الجدل . وهنا ظهر أمام الطرواديين ، لاوكوودن ، كاهن الإله أبولون ، وقد راح يحث مواطنيه بكل حماسة على تدمير الحصان . كان لاوكوون على ثقة أن هذه إحدى مكائد أوديسيوس الحربية . لم يصدق لاوكوون أن اليونانيين غادروا أرض طروادة نهائياً . وكم توسل لاوكوون للطرواديين أن لا يأمّنوا جانب الحصان . كان لاوكوون يخاف الاغريق ، وقد تناول رماً ضخماً ورمى الحصان به ، فاهتز الحصان من شدة الضربة ، وأطلق السلاح في داخله زنباً خافتاً . لكن الآلهة أعموا بصيرة الطرواديين ، فلم يسمعوا زنين السلاح ، وقرروا جر الحصان إلى المدينة .

وبينما كان الطرواديون يقفون من حول الحصان أحضر الرعاة أسيراً شديداً وثاقه . إنه اليوناني سينون ، وقد راح يشكو ، وهو يذرف الدموع ، من مصيره

بمرارة. أثارت دموع سينون شفقة بريام وجميع الطرواديين، وراحوا يسألونه عمن يكون وعن سبب بقائه. وحينذاك روى لهم سينون قصة كان أوديسيوس قد ألفها له، لخداع الطرواديين، ومفادها أن الآلهة طلبوا منهم قرباناً بشرياً لكي يعودوا إلى الوطن سالمين. تردد كاخاس طويلاً في اختيار ضحية للآلهة، إلى أن وقع اختياره أخيراً على سينون. وقد شد اليونانيون وثاق سينون، وقادوه إلى المذبح. لكن سينون قطع الحبل، ولاذ بالفرار للنجاة بجلده من الموت الأكيد. وقد أمضى سينون فترة طويلة مختبئاً بين نباتات القصب الكثيفة، بانتظار إقلاع الاغريق إلى الوطن. وحين أقلعوا خرج من مخبئه، وسلم نفسه للرعاة طوعاً. صدق الطرواديون اليوناني الماكر، فأوعز بريام بفك وثاقه، وسأله ماذا يعني هذا الحصان الخشبي، الذي تركه الاغريق في المعسكر. كان سينون ينتظر هذا السؤال بالذات. وبعد أن دعا الآلهة ليكونوا شهوداً على صدق كلامه، قال بأن اليونانيين تركوا الحصان لكي يهدئوا خاطر أئينا بالاس الرهيبة، التي أغضبها خطف تمثال البالاديون من طروادة. وحسب كلام سينون فإن هذا الحصان سيكون حامياً قوياً لطرودة إذا ما أدخله الطرواديون إلى المدينة. صدق الطرواديون سينون.

وما زاد في اقتناع الطرواديين بصدق كلام سينون المعجزة التي أرسلتها أئينا بالاس. فقد ظهرت على سطح البحر حيتان هائلتان، كانتا تسبحان بسرعة نحو الشاطئ، وهما تتلويان بدوائر لا تحصى على أمواج البحر. وعلى رأسيهما كان يرتفع عالياً عرفان أحمران كالدم. وكانت عيونهما تقدح شرراً. خرجت الحيتان من البحر قرب ذلك المكان الذي كان لاوكوون يقدم فيه القربان لإله البحر بوزيدون. تفرق الطرواديون وقد استبد بهم الهلع. أما الحيتان فقد انقضتا على ولدي لاوكوون والتفتا عليهما. وهرع لاوكوون لنجدة ولديه، ولكن الحيتين التفتتا عليه أيضاً، وراحتا تمزقان بأنيابهما الحادة جسم لاوكوون ولديه، وراح السم يتغلغل أعمق أعمق في جسمه. كان عذاب لاوكوون ولديه فظيماً. هكذا مات

لاوكونون لأنه أراد إنقاذ وطنه ، رغماً عن أنف الآلهة . أما الحيتان فقد زحفتا ، بعد أن قامتا بعملهما الفظيع ، واختفيتا تحت ترس تمثال أثينا بالاس .
زاد موت لاوكونون من اقتناع الطرواديين بأن عليهم إدخال الحصان الخشبي إلى المدينة . ولما كان يستحيل إدخال الحصان الضخم عبر البوابة ، فقد هدموا جانباً من سور المدينة ، وراحوا يجرون الحصان بالحبال إلى المدينة وهم يغنون ، ويعزفون الموسيقى تعبيراً عن فرحهم . أربع مرات توقف الحصان وهو يصطدم بالجدار لدى سحبه عبر الفجوة . ومن شدة الصدمات كان سلاح اليونانيين يقرقع داخله ، لكن الطرواديين لم يسمعوا ذلك . أخيراً أوصلوا الحصان إلى الأوكروبل . وقد استبد الذعر بالعرفافة كاساندره حين رأت الحصان في الأوكروبل ، وتنبأت بدمار طروادة . لكن الطرواديين ردوا عليها ضاحكين ، فهم لم يكونوا يصدقون نبوءاتها .

كان اليونانيون جالسين في جوف الحصان في صمت مطبق ، وقد تحولوا إلى آذان مرهفة لتلقف كل صوت يأتي من الخارج . وقد سمعوا هيلين الحسناء ، وهي تناديهم بأسمائهم ، مقلدة أصوات زوجاتهم . وبالكاد استطاع أوديسيوس منع أحد الأبطال من الرد عليها . بأن كم فمه . كما سمع اليونانيون هتافات الفرح ، التي أطلقها الطرواديون وصخب الاحتفالات المرحية بمناسبة انتهاء الحصار . أخيراً حل الليل ، وهدأ كل شيء ، وغطت طروادة في سبات عميق . وعند الحصان الخشبي سمع صوت سينون ، لقد أعطى للمقاتلين الإشارة بأن بإمكانهم أن يخرجوا .

وقد تمكن سينون من إقامة محرقة كبيرة عند بوابة طروادة ، كإشارة لليونانيين المختبئين خلف تندوس ، لكي يسرعوا بدخول المدينة . خرج اليونانيون من الحصان بهدوء ، محاذرين إحداث ضجة ، وكان أوديسيوس وايببيوس أول الخارجين . انتشر المقاتلون في دروب المدينة النائمة ، واشتعلت النار في البيوت ، في

الوقت الذي اقتحمت فيه القوات اليونانية المدينة عبر الثغرة . بدأت المعركة الهائلة . كان الطرواديون يدافعون عن أنفسهم بكل ما تيسر لهم ، كانوا يرمون اليونانيين بالجمر بالطاولات بسقط المتاع ، ويقاتلون بالسفود ، التي كانوا قد استخدموها لتوهم في شي اللحوم للمأدبة . لم يرحم اليونانيون أحداً . وكان الطرواديون يدافعون ببطولة اليائس . وازدادت ضراوة الاقتحام لدى اليونانيين . كسر نيوبتوليم بوابة القصر بالبلطة وكان أول من اقتحمه . امتلاً قصر بريام بنحيب النساء وبكاء الأطفال . ولدى مذبح الآلهة اجتمعت بنات بريام وزوجات أبنائه ، ظناً منهن أن المذبح سيحميهن . وأراد بريام ، المسربل بالدروع ، أن يدافع عنهن ، أو يسقط في القتال ، لكن هيكوب راحت تتوسل إلى الملك الكهل أن يبحث عن الحماية عند المذبح . وبطعنة من رمحه جندل نيوبتوليم بوليتوس على الأرض عند أقدام أبيه . رمى بريام نيوبتوليم برمحه ، لكنه ارتد - كالعصا الخفيفة - عن دروع ابن أخيل . وفي ثورة غضبه أمسك نيوبتوليم بريام من شعره الشائب ، وطعنه بسيفه في صدره . مات بريام في القصر الذي عاش فيه سنوات عديدة يحكم طروادة العظيمة . ولم ينج أحد من أبنائه حتى حفيده ، استياناكوس ، ابن هكتور . انتزع من أحضان أندروماك المسكينة ، وألقي به من فوق أسوار طروادة . وكان مينيلوس قد هم من شدة غضبه بقتل هيلين الحسنة ، لكن أغامنون حال بينه وبين ذلك . ومن جديد أيقظت الربة أفروديت حب هيلين في صدر مينيلوس ، وهكذا فقد قادها بكل مهابة باتجاه مركبه .

حاولت العرافة كاساندره ، ابنة بريام ، اللجوء إلى معبد أثينا بالاس . وارتمت على تمثال أثينا ، واحتضنته بيديها . لكن أجاكس أمسك بها بفضاظة ، وجذبها بقوة بعيداً عن التمثال لدرجة أن التمثال المقدس سقط على أرض المعبد ، وتحطم . غضب اليونانيون من أجاكس ، كما غضبت منه الربة العظيمة ، وفيها بعد كان انتقامها من أجاكس على هذا قاسياً .

لم ينج من جميع أبطال طروادة سوى إينياس ، الذي حمل من طروادة على يديه أباه العجوز أنخيس وابنه الصغير اسكاتي . كما عفا اليونانيون عن البطل الطروادي أنتينور لأنه كان ينصح الطرواديين باستمرار أن يعيدوا لليونانيين هيلين الحسناء والكنوز التي نهبها باريس إلى مينيلوس .

ظلت النيران مشتعلة في طروادة لفترة طويلة ، وكانت أعمدة الدخان تصل إلى عنان السماء ، وكان حريق طروادة يشاهد من بعيد . وقد عرفت الأقوام المجاورة من أعمدة الدخان ومن الحريق الكبير ليلاً بسقوط طروادة ، التي ظلت لفترة طويلة المدينة الأقوى في آسيا .

عودة الإغريق إلى بلادهم^(٦١) :

استولى اليونانيون على الكثير من الغنائم في طروادة . وقد حمل اليونانيون معهم الكثير من الذهب والفضة وسقط المتاع ، وعدداً لا يحصى من الأسيرات الحسنات .

حين رست مراكب اليونانيين إلى الساحل المقابل لهيليسبونت ظهر لهم طيف أخيل العظيم . وطالب البطل بأن يضحى له ببوليكسينا ، ابنة بريام الحسناء ، والتي سبق أن وعد بها له زوجة . لكن أغاممنون لم يرغب في تسليم بوليكسينا . وقد راحت كاساندره تتوسل إليه أن يرحم أختها . لكن أوديسيوس أصر على هذه التضحية ، مذكراً بالخدمات الجليلة التي قدمها أخيل لليونانيين أثناء حصار طروادة . ثم إن بوليكسينا نفسها كانت مستعدة لأن تقدم نفسها ضحية ، فقد كانت تعرف أن في ذلك نجاتها من العبودية القاسية في أرض الغربية . مشت بوليكسينا بكل هدوء نحو المذبح ، وكان الكاهن ينتظرها بجواره وسكين القربان في يده . لكنها لم تسمح للشباب ، الذي كان سيقودها إلى الموت أن

بمسها، فهي لم ترغب بالنزول إلى مملكة هادس امة . بل اقتربت من المذبح بنفسها، وبفسها كشفت عن صدرها، فتضرج بالدم الحار مذبح أخيل^(٦٣) .

بعد أن تمت التضحية ببوليكسينا استأنف اليونانيون رحلتهم البعيدة إلى الوطن، وقد تعرضوا للكثير من المحن والأرزاء في طريق العودة، فقد هلك الكثيرون من الأبطال قبل أن تكتحل أعينهم برؤية الوطن .

وكانت أثينا بالاس الغاضبة قد أثارَت الخلاف بين مينيلوس وأغاممنون في أثناء تدمير طروادة . كان مينيلوس يريد الأبحار إلى اليونان على جناح السرعة، بينما كان أغاممنون يصصر على بقاء اليونانيين في طروادة إلى أن يسترحموا أثينا بالضحايا . ولم يكن أغاممنون يدري أن لاشيء يمكن أن يخفف من غضب الربة . وهكذا فقد أبحر قسم من المراكب اليونانية مغادراً طروادة، بعد أن أخذ حصته من الغنيمة الكبيرة . فقد أبحر نسطور، ديوميدي، نيوبتوليم ايدومينيوس وفيلوكتيت . وبعد هؤلأ بفترة قصيرة غادر مينيلوس، الذي لحق بنسطور وديوميدي في جزيرة ليسبوس .

من ليسبوس ألق اليونانيون باتجاه جزيرة أثينا، وفي هذه الجزيرة قدموا ضحية للاله بوزيدون عند الرأس المنذور للاله هيفستوس، ثم تابعوا طريقهم . وبعد أربعة أيام وصل نسطور إلى بيلوس وديوميدي إلى أرغوس . كما نجح إيدومينيوس وفيلوكتيت بالعودة إلى الوطن بسلام .

أما مينيلوس فقد عانى من الكثير من المصائب، فحين بدأت مراكبه تلف حول رأس ماليوس الخطير (الطرف الجنوبي - الغربي للاكونيا) سلط عليه زوس عاصفة هوجاء، دفعت بقسم من مراكب مينيلوس إلى كريت، حيث تحطمت على الصخور، وبالكاد استطاع اليونانيون، الموجودون على متنها، النجاة بأرواحهم . أما المراكب الباقية، التي كان مينيلوس على أحدها، فقد ظلت

أمواج البحر تتقاذفها طويلاً إلى أن وصلت أخيراً سواحل مصر. أمضى مينيلوس سبع سنوات طويلة يطوف بين الأقاليم الغربية. وقد حصل على الكثير من الهبات، وجمع الثروات الطائلة. أخيراً، وفي طريق العودة من مصر، رسا مينيلوس إلى جزيرة فاروس^(١٣). وفي هذه الجزيرة أمضى مينيلوس عشرين يوماً بانتظار الريح المواتية. كانت الجزيرة قاحلة. وأوشكت المؤونة أن تنضب، وأصبح الموت جوعاً يتهدد الجميع. وكانت الربة ايدوفيا، ابنة إله البحر بروتوس^(١٤)، هي التي أنقذت مينيلوس ورفاقه. فقد تجلت لمينيلوس، وعلمته كيف يسيطر على بروتوس، ويجبره على الكشف عن مشيئة الآلهة. وفي الصباح الباكر توجه مينيلوس إلى شاطئ البحر برفقة ثلاثة أبطال أقوياء. وهناك كانت ايدوفيا تنتظرهم ومعها أربعة جلود من جلود الفقمة. ألبست ايدوفيا مينيلوس ورفاقه هذه الجلود، وطلت أنوفهم بالأمبروزيا لكي لاتعذبهم رائحة الجلود الكريهة. رقد مينيلوس ورفاقه على شاطئ البحر دون حراك. أخيراً خرج بروتوس مع قطع الفقمة. وبعد أن أحصى عدد الفقمة استلقى على الرمل وغفا. انقض مينيلوس ورفاقه على بروتوس، وبدأ القتال الضاري. تحول بروتوس إلى أسد فأفعى فنمر فخنزير بري، ثم إلى ماء فشجرة، لكن مينيلوس ورفاقه ظلوا يمسكون به بقوة. أخيراً رضخ العجوز، وعاد إلى هيئته الأولى، ثم سأل مينيلوس عما يريد أن يعرف منه. وسأل مينيلوس الشيخ البحري من الآلهة غاضب عليه فلا يرسل له ريحاً مواتية. فأوعز بروتوس لمينيلوس بالعودة إلى مصر ليقدم القرابين للآلهة، وحينذاك فقط سيرضى عنه الآلهة، ويمكنه من العودة إلى وطنه بسلام. كما تنبأ العراف بروتوس لمينيلوس بمصيره ومصير زوجته هيلين، وكشف له عن كل ما ينتظر كل يوناني في طريق العودة من طروادة. نفذ مينيلوس ما أمره به بروتوس فعاد إلى مصر، وقدم الضحايا للآلهة، فأرسل له الآلهة ريحاً مواتية، وعاد بسلام إلى وطنه أسبارطة، حيث عاش حياة طويلة

وسعيدة . وبعد الموت نقل مينيلوس وزوجته ، هيلين الحسناء ، إلى جزر
السعداء ، حيث يعيشان خالدين لا يعرفان الحزن .
ويدوره صادف الملك أغاممنون الكثير من المخاطر لدى عودته إلى الوطن ،
فقد وصل هو ومرافقوه إلى سواحل أثينا ، وهنا ، عند رأس هيرا ، هبت عاصفة
هوجاء ، أرسلتها الربة أثينا ، الغاضبة من اليونانيين . وبالكاد تمكنت مراكب
أغاممنون من النجاة من الهلاك ، ووصلت أخيراً إلى سواحل الوطن . لكن عودة
أغاممنون إلى ميسين ، الغنية بالذهب ، كانت نحساً عليه . فهناك كان يترصده
الموت على يد زوجته الخائنة كليتمينسترة^(٦٥) .

هوامش

- ١ - اقتبسنا أساطير الملحمة الطروادية من ملحمة هوميروس، «اللياذة» ومن تراجيديات سوفوكل «أجاس» «فيلوكتيد» ويوربيدس «ايفيجينيا في تاوريس» «أندروماخي» «هيكوب» وملحمتي «اللياذة» لفرجيل و«البطلات» لأوفيدوس وعدد من المؤلفات الأخرى.
- ٢ - مقاطعة في غرب اليونان الأوسط.
- ٣ - حاضرة لاكونيا في البيلوبونيز.
- ٤ - ومن هنا يقال: «تفاحة الفتنة أو الشقاق».
- ٥ - زوجة بريام أنجبت له ١٩ صبياً (أكبرهم هكتور) ونفس العدد من البنات. بعد سقوط طروادة استرقها أوليس.
- ٦ - أحب أبولون كساندرا فرزقها موهبة التنبؤ، لكن كساندرا رفضت حبه فانتقم أبولون منها بأن جعل الجميع لا يصدقون تنبؤاتها.
- ٧ - كان هيلينوس يتمتع بموهبة العرافة، وكان يعرف بسقوط طروادة المنتظر.
- ٨ - نسبة إلى مقاطعة لقريا في اليونان الأوسط، بين بيوتيا وايتوليا.
- ٩ - عراف مشهور، اشترك في حملة طروادة، وقد تنبأ أن حرب طروادة ستستمر عشر سنوات.
- ١٠ - جزيرة في بحر إيجه تقع شمال شرق جزيرة أثينا.
- ١١ - في فتوته المبكرة قتل باتروكلوس خطأ أحد أقرانه فاضطر للهرب إلى فتوتيد، حيث تصادق مع أخيل، وأصبح وصيفه المخلص.
- ١٢ - شيخ تسالي علم أخيل الفصاحة وفن الحرب.

- ١٣ - بنات أطلس السبع تحولن إلى برج، يعرفن بام الفيرجيلات لدى الرومان .
- ١٤ - أول ملك طروادي، وينتسب الطرواديون إليه فيعرفون باسم «التوسريون» .
- ١٥ - بلاد في شمال غرب آسيا الصغرى حاضرتها بيرغام .
- ١٦ - مدينة على المضيق الذي يفصل بين جزيرة أثينا واليونان الأوسط .
- ١٧ - أسلوب البلاغة الملحمية . بهدف اعطاء إحساس بضخامة الحرب القادمة . أما في الواقع فلم يكن عدد المحاربين كبيراً إلى هذا الحد .
- ١٨ - ابن هرقل من أوجيه ابنة الملك الاركادي، أرضعته غزالة أرتيميس، أصبح رائد ملوك البيرغاميين .
- ١٩ - عن تراجيديا يوربيديس «إفجينيا في أوليس» .
- ٢٠ - شبه جزيرة القرم حالياً .
- ٢١ - عن أعمال مختلفة لكتاب قدامى . أما مشهد موت بالاميد فمأخوذ من ملحمة أوفيدوس «التحولات» .
- ٢٢ - ملك تساليا . بعد موت بروتيسيلالوس توسلت زوجته لاوداميا إلى الهة العالم السفلي أن يعيدوا لها زوجها للقاء قصير، ومن ثم اقتفت أثره إلى العالم السفلي .
- ٢٣ - مدينة في ميزيا تحمل نفس اسم حاضرة بيبوتيا وطيبة المصرية، مكانها غير معروف بدقة
- ٢٤ - كان اليونانيون يعتقدون أن أرواح الموتى، الذين يجرمون من الدفن، كانت لا تكف عن التطواف، ولا تجد لنفسها مكاناً آمناً . ولذا فقد كان الحرمان من الدفن يعتبر أكبر تدنيس للميت .
- ٢٥ - بريسا - ابنة بريسيس ملك الليليج .
- ٢٦ - لدى عودة اليونانيين من تحت أسوار طروادة أشعل نوبليوس المنارة المزيفة . مما أدى إلى تحطم الكثير من المراكب اليونانية .
- ٢٧ - عن ملحمة هوميروس «اللياذة» .
- ٢٨ - الاثيوبيون عند هوميروس هم الشعوب السعيدة المباركة والمعمرة، التي كانت تقطن سواحل المحيط المنذورة لهيليسوس . في العام العاشر لحرب طروادة جاء مينون، ملك الاثيوبيين إلى تحت أسوار طروادة لمساعدة بريام، فقتل على يد أخيل .
- ٢٩ - Acheens طائفة يطلق اسمها توسعاً على طوائف الاغريق .

- ٣٠ - عن «اللياذة» هومير وس . ثيرسيت مقاتل يوناني نفر، يصوره هومير وس شريراً وثرثاراً بشعاً . وهنا يعبر هومير وس عن مصالح الزعماء ، الذين كان ثيرسيت ضدهم .
- ٣١ - ريح الجنوب وريح الشرق .
- ٣٢ - اسم نهر يجري بالقرب من طروادة .
- ٣٣ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٣٤ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٣٥ - بطل طروادي ، ابن أفروديت وأنخيس (حفيد الملك ايلوس الطروادي) ، ولد في جبل إيدا وتربى على أيدي الحوريات ، أثناء عودته من حصار طروادة استقر البطل ، بعد الكثير من المغامرات والرحلات ، في ايطاليا ، حيث أسست ذريته روما .
- ٣٦ - ربة الحرب الدموية . مخربة المدن ، وصيفة أريس .
- ٣٧ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٣٨ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٣٩ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٠ - جبل في آسيا الصغرى ، إلى الشرق من طروادة في فريجيا الجنوبية - الغربية .
- ٤١ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٢ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٣ - ربة الشقاق ، أخت أريس ورفيقتة ، أم المشادات ، المصائب والجوع وغيرها . تقابلها في الأساطير الرومانية ديسكورويه رفيقة ربة الحرب بيلونه .
- ٤٤ - بطل طروادي وعراف ، صديق هكتور ، تميز بفصاحته ورجاحة عقله .
- ٤٥ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٦ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٧ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٨ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٤٩ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٥٠ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٥١ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .

- ٥٢ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٥٣ - عن ملحمة هومير وس «اللياذة» .
- ٥٤ - عن ملحمة أوفيدوس «البطلات» وفرجيل «اللياذة» .
- ٥٥ - عن ملاحم «الاوذيسة» (هومير وس) ، «التيفوني» (هسيود) و«اللياذة» (فرجيل) .
- ٥٦ - كان الكعب نقطة الضعف الوحيدة في جسم أخيل ، إن مياه نهر ستيكس الجوفي لم تلامسه ، وكانت الربة ثيتيس قد غطست أخيل وهو طفل صغير في مياه هذا النهر ، لكي تجعله خالداً ، وكانت تمسك بالطفل من كعبه . ومن هنا عبارة «كعب أخيل» - أي نقطة الضعف .
- ٥٧ - عن تراجيديا سوفوكليس «أجاس غاضباً» .
- ٥٨ - عن تراجيديا سوفوكليس «فيلوكيتيت» .
- ٥٩ - عن ملحمة فرجيل «اللياذة» .
- ٦٠ - جزيرة في بحر إيجه قرب سواحل طروادة .
- ٦١ - عن تراجيديا يوربيدس «أندروماك» و«هيكوب» .
- ٦٢ - إن حكايات مابعد هومير وس تجعل بوليكسينا سبب هلاك أخيل ، الذي جاء إلى معبد أبولون للقائها (أول للزواج بها) وهناك قتله باريس .
- ٦٣ - جزيرة صغيرة عند السواحل المصرية ، وفيها بعد اشتهرت منارة فاروس ، التي اعتبرت واحدة من عجائب الدنيا السبع .
- ٦٤ - إله بحري تابع لبوزيدون ، شيخ ، قادر على اتخاذ أية هيئة ، عراف ، كان يقطن جزيرة فاروس ، حيث كان يرعى قطعان بوزيدون من الفقمة .
- ٦٥ - انظر «أغاممنون وأوريست» .

أوديسيوس

أوديسيوس عند الحورية كاليبسو^(١)

واجه أوديسيوس الكثير من المصائب القاسية والأخطار في طريق عودته من حصار طروادة، وأضاع جميع رفاق الدرب، فقد هلكوا جميعاً، ولم يرحم القدر الغاشم أيا منهم. وبعد رحلة طويلة وجد نفسه في جزيرة أوجيجيا^(٢) عند الحورية كاليبسو^(٣). وقد اضطر أوديسيوس إلى قضاء سبع سنوات طويلة في العذاب عند الساحرة الجبارة. وحل العام الثامن. فشده الشوق إلى موطنه^(٤) وإلى أسرته، لكن كاليبسو لم تتركه وشأنه. أخيراً رثى آلهة الأولمب له، وقررزوس في اجتماع الآلهة، بناء على طلب ابنته أثينا بالاس، أن يعيد أوديسيوس إلى وطنه، على الرغم من أن بوزيدون، إله البحر كان لا يكف يطارد أوديسيوس في كل أرجاء البحر، ويصب عليه جام غضبه لأنه أعمى ابنه السيكلوب بوليفيم.

في ايثاكه الخطاب يعيثون فساداً في غياب أوديسيوس وينهبون أملاكه^(٥) :

حين قرر الآلهة إعادة أوديسيوس إلى موطنه سارعت الربة المحاربة أثينا بالهبوط من الأوبل العالي إلى الأرض ، في إيثاكه ، وقصدت دار أوديسيوس في هيئة منتيس^(٦) ملك التفيانيين . وفي البيت وجدت الخطاب الهائجين ، الذين جاءوا يخطفون بنلوبه ، زوجة أوديسيوس^(٧) . كان الخطاب جالسين في صالة المآدب ، وهم يلعبون بالأكعاب . كان تليباخ ، ابن أوديسيوس ، أول من رأى أثينا . وقد استقبل تليباخ منتيس المزيف بالترحاب ، ثم قاده إلى البيت ، وأجلسه إلى مائدة منفردة . بدأت المأدبة . وحين شبع الخطاب نادوا المنشد فيميوس لكي يسليهم بأغانيه . أما تليباخ فقد راح يشكولمنتيس ، بحيث لا يسمعه الخطاب ، من تلك المصائب ، التي يتحملها بسببهم . وسأل تليباخ الضيف عن هويته ، فادعت أثينا بالاس أنها منتيس ، وأنها كانت تعرف أباه ، وترى أنه شبيه به ، ثم سألت تليباخ عما إذا كانوا يحتفلون بأحد الأعياد ، ولماذا يعربد ضيوفه هكذا؟ فحدثها تليباخ كيف يحاول الخطاب إرغام والدته بنلوبه على اختيار أحدهم زوجاً لها . كما حدثها عن فسادهم وعن نهبهم لأملاك أوديسيوس . كان تليباخ حزيناً لأن غيبة والده أوديسيوس قد طالت ، وكان على ثقة من أن عودة أبيه ستضع حداً لكل مصائبه . أصغت أثينا لحديث تليباخ ، ثم نصحته بالسفر إلى الشيخ نسطور في بيلوس ، وإلى مينيلوس ملك أسبارطة ليعرف منها ماجرى لأبيه أوديسيوس . ولم تكذ أثينا تسدي له هذه النصيحة حتى تحولت إلى طائر ، واختفت . وحينذاك أدرك تليباخ أنه إنما تحدث إلى إحدى الرببات . وفي هذا الوقت نزلت بنلوبه من مخدعها إلى صالة المآدب في الأسفل . فقد

سمعت فيميوس ، وهو يغني عن عودة الأبطال من حصار طروادة ، فراحت ترجوه أن يتوقف عن هذا الغناء الحزين . لكن تليماخ طلب منها أن لا تتدخل في الأمور التي لا تخصها ، وقال إنه هو الشخص الوحيد الذي يأمر وينهى في بيت والده أوديسيوس . أصغت بنلوبة لقول ابنها ، ثم عادت إلى مخدعها بإذعان ، وإذ تذكرت أوديسيوس أجهشت بالبكاء ، وأخيراً جعلتها الربة أثينا تستسلم لسultan الكرى .

أما الخطاب فقد بدأ ، بعد انصراف بنلوبة ، يتجادلون من سيكون منهم زوجاً لها . لكن تليماخ لم يلبث أن قاطعهم بقوله أنه سيلجأ إلى المجلس لكي يمنعهم من جر الافلاس على بيته . كما هددهم تليماخ بسخط الآلهة . لكن تهديداته لم تؤثر على الخطاب ، فقد تابعوا ضجيجهم كأن شيئاً لم يكن . ولم يتفرقوا إلا في وقت متأخر من الليل .

وبدوره ذهب تليماخ إلى مخدعه ، ترافقه العجوز أوريكليا ، خادمة أوديسيوس المخلصة . والتي تربي تليماخ على يديها . وهناك رقد ابن أوديسيوس على سريرته . لكن تليماخ أمضى الليل بطوله لم يغمض له جفن ، فقد كانت النصيحة ، التي أسدتها له أثينا شغله الشاغل .

في الصباح الباكر من اليوم التالي أوعز تليماخ للمنادين بالدعوة إلى عقد المجلس . وقد التأم المجلس بسرعة . ولم يلبث أن جاء تليماخ لحضور المجلس . وكان من الروعة بحيث أن جميع المجتمعين راحوا يتأملونه بإعجاب . وقد أفسح له شيوخ إيثاكة الطريق ، فجلس مكان أبيه . وخاطب تليماخ القوم راجياً أن يحموه من عريضة الخطاب ، الذين ينهبون داره .

بعد أن أنهى كلمته الغاضبة جلس في مكانه مطرق الرأس ، وراحت الدموع تتدحرج من عينيه . فران الصمت على المجلس كله ، لكن أحد الخطاب ، وهو أنطينوس ، راح يرد على تليماخ بوقاحة . فقد لام بنلوبة على ذلك

المكر الذي لجأت إليه لكي تتجنب الزواج بأي من الخطاب . فقد قالت لهم أنها ستختار زوجاً لنفسها بعد أن تنتهي من حياكة هذا النسيج الغالي ، إن بنلوبة تحوك النسيج نهراً ، لكنها لا تلبث أن تحل في الليل ما تمكنت من حوكه في النهار^(٨) . وهدد أنطينوس بأن الخطاب لن يغادروا دار أوديسيوس إلى أن تختار بنلوبة لنفسها زوجاً . ونادى تليماخ زوس ليكون شاهداً على ما يتحمل على أيدي الخطاب من إهانات ، وما يلحقون به من ضرر . استجاب زوس - قاذف الصواعق - لنداء تليماخ ، وأرسل إشارة . فقد طار فوق الحضور نسران ، راحا يخلقان على ارتفاع شاهق ، وهما يتعاركان ، وقد مزق كل منهما صدر الآخر وعنقه ، ولم يلبثا أن اختفيا عن أعين القوم الحيارى . وقال عراف الطيور اليثر للقوم أن هذه الإشارة تبشر بعودة أوديسيوس ، والسويل حينذاك للخطاب . لسوف يعود أوديسيوس متكرماً ، وينزل أشد العقاب بمن ينهب بيته .

وأعلن الخطاب بكل فخر أنهم لا يخافون أحداً ، لا تليماخ ، ولا الطيور العرافة ، ولا أوديسيوس .

لم يعد تليماخ إلى محاولاته الرامية إلى اقناع الخطاب بالتوقف عن عربدتهم . وطلب من القوم أن يعطوه مركباً سريعاً ليتمكن من الإبحار على متنه إلى نسطور في بيلوس ، حيث كان يأمل في أن يتنسم الأخبار عن أبيه . ولم يؤيد تليماخ إلا منظور العاقل ، صديق أوديسيوس^(٩) .

انصرف تليماخ وهو في غاية الحزن إلى الشاطئ . وهناك راح يتوسل إلى الربة أثينا . وتجلت له أثينا في هيئة منظور ، وقد نصحته أن يترك الخطاب وشأنهم ، لأنهم بعماهم يحفرون قبورهم بأيديهم ، فنهايتهم تقرب رويداً رويداً ، ووعدته الربة بالعثور له على مركب وبمرافقته إلى بيلوس . كما أمرته الربة بالذهاب إلى البيت وإعداد كل ما هو ضروري لسفرة طويلة .

لم يخبر تليماخ بنيته بالسفر إلى بيلوس إلا أوريكليا ، ورجاها أن تهتم بوالدته

في غيابه . وراحت الخادمة المخلصة تتوسل إلى تليماخ أن لا يغادر إيثاكه ، فقد كانت تخاف عليه من الهلاك ، لكنه ظل متشبثاً بقراره .

دخلت أثينا القاعة ، حيث يحتفل الخطاب ، خفية ، وسلطت عليهم سلطان الكرى ، فراحوا في سبات عميق . ومن ثم أخرجت تليماخ من القصر ، وسارت به نحو المركب . وبسرعة أحضر رفاق تليماخ المؤونة ، التي أعددتها أوريكليا ، ثم شحنوها على المركب . وأرسلت أثينا ربحاً مواتية فاندفع المركب إلى عرض البحر بسرعة .

تليماخ عند نسطور ومينيلوس^(١٠) :

أرسلت أثينا لتليماخ رحلة بحرية رائعة . ففي اليوم التالي وصلت سفينة تليماخ بيلوس^(١١) . وقد وجد تليماخ جميع القوم يحتفلون بالتضحية لإله البحر بوزيدون . كان البيلوسيون قد نحروا الكثير من الثيران ، وأعدوا مأدبة سخية . وحين بدأ الخدم يقدمون الطعام رأى نسطور الغرباء القادمين وفي طليعتهم الربة أثينا بالاس في هيئة منطور . رحب ملك بيلوس الكهل بالغرباء ، ودعاهم ابنه بيزيسترات لمشاركتهم المأدبة . قدم بيزيسترات لأثينا قدح الخمرة ، وطلب منها أن تشرب نخب الرب بوزيدون ، سرت أثينا أن بيزيسترات الشاب قد كرمها بالقدح الأول .

عند انتهاء الاحتفال سأل نسطور الغرباء من أين هم آتون ، فأجاب تليماخ أنه ابن أوديسيوس ، وقد جاء إلى بيلوس لكي يتنسم أخبار أبيه . سر نسطور إذ عرف أن الشاب ابن أوديسيوس ، الذي كان يحترمه أكثر من جميع الأبطال بسبب رجاحة عقله . حدث نسطور لتليماخ بكل المصائب والمحن ، التي واجهها اليونانيون في طريقهم من طروادة . لكنه لم يستطع أن يخبره بشيء عن أوديسيوس . ونصحه

الشيخ الحكيم بالعودة سريعاً إلى البيت، على أن يقوم قبل ذلك بزيارة الملك مينيلوس، لأنه كان آخر من عاد إلى الوطن، ومن المحتمل أن تكون لديه بعض الأخبار عن أوديسيوس. كان نسطور على يقين أن الآلهة، وأثينا بخاصة، سوف تساعد ابن أوديسيوس.

أرخبى الليل سدوله، فهم تليماخ بالعودة إلى مركبه، لكن نسطور لم يتركه، كان يريد أن يقضي ابن أوديسيوس الليل في قصره.

وفي صباح اليوم التالي ضحى نسطور للربة أثينا بعجلة، ذات قرنين مذهبين. وبعد تقديم القربان والاحتفال شد أبناء نسطور الجياد إلى المركبة. وقد صعد إلى متنها تليماخ وبيزيسترات وانطلقا قاصدين مينيلوس.

كانت الجياد تجري بسرعة، ومع حلول المساء وصل المسافران مدينة فيريا^(١٢)، حيث كان يعيش البطل ديوكليس، الذي أمضى البطلان الليل في ضيافته، ولم يكذب بلج الفجر حتى تابعا طريقهما، حيث وصلا اسبارطة مع حلول المساء.

اتفق عند وصول تليماخ وبيزيسترات إلى اسبارطة ان كان مينيلوس يحتفل بتجهيز ابنته [هرميونة ابنة هيلين الحسنة - المترجم] لارسالها إلى نيوبتوليم ابن أخيل، وكان قد وعده في طروادة بأن يزوجها له. ولما كان مينيلوس قد مر بالكثير من المحن فقد كان لا يضمن بحسن الضيافة على أحد. هرع الخدم لتنفيذ أوامر الملك. وبعد أن فك الخدم الجياد، رافقوا الغريبين إلى القصر. دخل تليماخ وبيزيسترات قاعة الاحتفالات، بعد أن اغتسلا في طستين رائعين، وارتديا الثياب النظيفة.

كان الاحتفال الذي أحياه مينيلوس سخياً. ومن شدة إعجاب تليماخ بروعة قصر مينيلوس انحنى على بيزيسترات، وقال له بصوت خافت إنه لم يسبق له أن رأى مثل هذه الأبهة، وأنه يعتقد أنه لا يوجد أفخم منه إلا قصر زوس

نفسه . وحين سمع مينيلوس قول تليماخ قال ، وهو يتسم ، إنه إذا كانت فخامة قصره عظيمة ، فإن أعماله أيضاً كانت جليلة ، كما كانت كبيرة تلك المخاطر ، التي واجهها ، وهو يجني هذه الثروة . ولكن هذه المخاطر الكبيرة لا تقارن بتلك المحن ، التي رزىء بها أوديسيوس . بكى تليماخ حين سمع الكلام يدور عن أبيه . وفي هذا الوقت دخلت هيلين الحسنة ، زوجة مينيلوس . ولم تكد تنظر إلى الغريين حتى أذهلها الشبه الكبير بين أحدهما وبين أوديسيوس ، فأخبرت مينيلوس بالأمر . وحين سمع بيزيستر كلامها قال إن صديقه هو فعلاً تليماخ بن أوديسيوس . فرح مينيلوس بذلك . فإلى جانبه يجلس ابن صديقه الحبيب . وبدأ يتذكر مآثر أوديسيوس ، ومأمره من محن إبان حصار طروادة . كما تذكرت هيلين أوديسيوس . ولدى سماع هذه الذكريات عن والده طفرت الدموع من عيني تليماخ من جديد . ولكن الاحتفال انتهى ، فأجل ملك اسبارطة الحديث مع تليماخ إلى اليوم التالي . في الصباح الباكر سأل الملك مينيلوس تليماخ عن سبب قدومه إلى اسبارطة ، فأجاب تليماخ أنه جاء أسبارطة ليعرف ما حل بأبيه . وهنا أخبر مينيلوس ابن أوديسيوس أن بروتوس ، إله البحر ، كشف له عن مصير الأبطال ، الذين عادوا من حصار طروادة . وأوديسيوس - كما قال له بروتوس - يتعذب في الأسر في جزيرة الحورية كاليبسو . وهذا كل ما استطاع مينيلوس أن يذكره لتليماخ عن أبيه . وراح ملك اسبارطة يرجو من تليماخ البقاء في ضيافته ، لكن تليماخ رجاء أن لا يؤخره ، ويتركه يعود إلى دياره على جناح السرعة .

مؤامرة الخطاب ضد تليماخ^(١٣) :

بينما كان تليماخ في بيلوس وأسبارطة عرف الخطاب أن تليماخ غادر إيثاكة . خاف الخطاب لأنهم اعتقدوا أن تليماخ قد سافر إلى بيلوس وأسبارطة في طلب

النجدة . وقد نصحهم أنطينوس بتجهيز مركب ، والوقوف به في عرض البحر ، بانتظار تليماخ ، للهجوم عليه بغتة وقتله .
اكتشفت بنلوبة هذه الخطة الماكرة ، فاستولى عليها اليأس ولم تكن - بدورها - تعرف أن تليماخ غادر إيشاكه . وهمت بنلوبة بإرسال الخادم إلى الشيخ لايرت ، والد أوديسيوس . لإخباره بالخطر الذي يتهدد حفيده ، لكن الخادمة أوركليا حالت بينها وبين القيام بذلك ، ونصحت بنلوبة بالاستغاثة بالربة أثينا . عملت الملكة بنصيحة أوركليا ، فقدمت قرباناً للربة ، وراحت تستنجد بها ، ومن ثم رقدت في سريرها الفاخر ونامت . سمعت الربة أثينا لتوسلاتها ، فأرسلت لبنلوبة في المنام طيف اختها إفتيا ، يبشرها بأن تليماخ سوف ينجو .

أوديسيوس يغادر جزيرة الحورية كاليبسو^(١٤) :

قرر الآلهة في اجتماعهم أن على أثينا أن تساعد تليماخ في العودة إلى الوطن سالمًا ، وعدم تمكين الخطاب من مهاجمته . وكان على هرمس أن يطير إلى جزيرة أوجيجيا ، ويوعز للحورية كاليبسو بإطلاق سراح أوديسيوس . وفي الحال أرسل قاذف الصواعق هرمس إلى كاليبسو .
ارتدى هرمس صندله المجنح ، وحمل الصولجان بيديه ، ثم انطلق بسرعة الخاطر من على الأولب . كانت الجزيرة رائعة . وقد نمت عليها بكثافة أشجار الدلب والخور الصنوبر والأرز والسرو . أما الروابي فكانت مفروشة بالعشب اليانع ، وبين الأعشاب كانت أزهار البنفسج والليلك ترسل أريجها العطر . كانت أربعة ينابيع تروي الجزيرة . وكان ثمة في الجزيرة كهف ، اختارته الحورية كاليبسو لسكنها بسبب برودته . وكان الكهف كله مغطى بشجيرات الكرمة ، وكانت العناقيد اليانعة تتدلى منها . حينما دخل هرمس الكهف كانت الحورية كاليبسو

تحوك بمكوك ذهبي خماراً بزخرفة رائعة . لم يكن أوديسيوس موجوداً في الكهف ، بل كان جالساً لوحده على صخرة قرب شطىء البحر، وقد أرسل ناظره بعيداً . كان أوديسيوس يذرف الدمع الحزين وهو يتذكر موطنه إيثاكة . هكذا كان يزجي الأيام حزناً وحيداً .

ما إن رأت كالييسوهرمس داخلًا حتى نهضت لاستقباله . وقد دعتة للجلوس وقدمت له الأمر وزيا والنيكتار . بعد أن شبع هرمس من طعام الآلهة بلغ الحورية مشيئة زوس . استولى الحزن على كالييسو حين عرفت أن عليها أن تفارق أوديسيوس . فقد كانت تريد إبقاءه إلى الأبد لديها على الجزيرة . وأن تهبه الخلود، لكنها لم تكن تستطيع مخالفة مشيئة زوس .

حين غادر هرمس كالييسو ذهبت إلى الشاطىء ، حيث كان يجلس أوديسيوس حزناً ، وقالت له :

- لا تحزن بعد الآن يا أوديسيوس ، فأنا أسمح لك بالذهاب إلى بلادك . فاذهب ، وخذ البلطة ، واقطع الأشجار ، واصنع طوقاً متيناً ، لكي تبحر عليه ، ولسوف أرسل لك ريحاً مواتية . إذا كانت تلك مشيئة الآلهة فلسوف تعود إلى وطنك .

فرد أوديسيوس على كالييسو:

- إنك أيتها الربة لاتدبرين لي العودة إلى الوطن ، بل شيئاً ما آخر . فهل أستطيع قطع البحر الهائج على متن طوف سهل الانقلاب؟ حتى المركب السريع لا يستطيع قطعه بسلام دائماً . كلا أيتها الربة ، لن أحزم أمري بصعود الطوف إلا إذا أقسمت لي يمين الآلهة القاطع أنك لاتنوين الايقاع بي .

وصاحت كالييسو:

- حقاً إنك يا أوديسيوس الأذكى والأبصر بين الفنانين . أقسم لك بمياه ستيكس^(١) اني لا أريد لك الهلاك .

عادت كاليبسو إلى الكهف برفقة أوديسيوس . وهناك في أثناء المأدبة راحت تحاول إقناع أوديسيوس بالبقاء ، لكن أوديسيوس كان بغاية الشوق للعودة إلى الوطن ، وقد فشلت كل المغريات التي قدمتها كاليبسو في جعله ينسى موطنه إيثاكة وأسرته .

في صباح اليوم التالي بدأ أوديسيوس بناء الطوف . أمضى أوديسيوس أربعة أيام منكباً على العمل ، يقطع الأشجار ، يشذب الأخشاب ، ويربطها إلى بعضها ، ويركب الألواح . أخيراً أصبح الطوف جاهزاً ، وثبت عليه الصاري والأشعة . أعطت كاليبسو أوديسيوس مؤونة الطريق ، وودعته . أرخى أوديسيوس الشراع ، فخرج الطوف إلى البحر تسوقه الريح المواتية .

أبحر أوديسيوس ثمانية عشر يوماً ، وكان يهتدي بالنجوم - الثريا والدب الأكبر . أخيراً ظهرت الأرض عند الأفق - كانت تلك جزيرة الفيسيانين^(١٦) .

واتفق حينذاك أن بوزيدون رأى ، وهو عائد من عند الاثيوبيين ، طوف أوديسيوس ، فغضب ، وتناول ربحه ثلاثي الرؤوس ، ثم ضرب به البحر ، فهبت عاصفة هوجاء . وغطت السحب السماء ، وخيمت العتمة ، لكأن الليل قد حل .

هاج البحر وماج بسبب الرياح ، التي راحت تهب من كل الجهات ، فدب الرعب في قلب أوديسيوس ، ومن شدة خوفه شعر بالحسد تجاه أولئك الأبطال الذين سقطوا مكللين بغار المجد عند أسوار طروادة . انقضت موجة هائلة على طوف أوديسيوس ، وقلبت في البحر . غاص أوديسيوس عميقاً في لجة اليم ، وبالكاد استطاع العودة إلى سطحه . كانت الثياب ، التي أعطته إياها كاليبسو عند الوداع تضايقه ، ومع ذلك فقد تمكن من اللحاق بطوفه ، وأمسك به ، وبعد لأي تمكن من الصعود إلى متنه . كانت الرياح تتقاذف الطوف في شتى الجهات .

في هذا الخطر رأت ربة البحار لوكوثيا^(١٧) أوديسيوس . فطارت من البحر في هيئة بطة بحرية ، وحطت على طوف أوديسيوس ، ثم عادت إلى هيئتها الحقيقية ،

وأمرته أن يخلع ثيابه، ويرمي بنفسه عن الطوف في اليم، ثم يسبح باتجاه الشاطيء، وأعطته الربة حجاباً رائعاً كان من شأنه أن ينقذه. بعد هذا تحولت لوكوثيا إلى بطة، وطار. لكن أوديسيوس لم يجرؤ على مغادرة الطوف. وفي هذه اللحظة دفع الاله بوزيدون بموجة هائلة الحجم، كأنها جبل، وانقض بها على طوف أوديسيوس. وبالكاد تمكن أوديسيوس من الإمساك بإحدى الأخشاب والجلوس فوقها. وعلى جناح السرعة خلع ثيابه، وتمنطق بحجاب لوكوثيا، ثم ألقي بنفسه في البحر، وراح يسبح باتجاه الجزيرة. وما إن رأى بوزيدون ذلك حتى صاح:

- والآن يكفيك هذا. الآن اسبح عبر البحر العاصف إلى أن ينقذك أحدهم، لسوف تكون الآن راضياً عني.

بعد هذه الصيحة ساق بوزيدون جياده نحو قصره الجوفي. وكانت أثينا هي التي سارعت لمديد العون لأوديسيوس. فقد حظرت على الرياح كلها أن تهب، وراحت تهديء من هياج البحر المصطخب.

أمضى أوديسيوس يومين يصارع أمواج البحر العاتية، ومن على ذروة إحدى الأمواج شاهد أوديسيوس الأرض قريبة فكان سروره بذلك كبيراً. لكنه حين اقترب من الشاطيء سمع صخب المياه. كانت الأمواج تتلاطم بين الصخور الساحلية والأحجار الموجودة تحت الماء. كان هلاك أوديسيوس محتوماً، وكان سيتحطم على الصخور لولا أن ساعدته أثينا بالاس. فقد تمكن أوديسيوس من الإمساك بإحدى الصخور، لكن الموجة المتكسرة سحبتة وهي تنحسر بكل قوة، ودفعته إلى البحر. والآن راح أوديسيوس يسبح في محاذاة الشاطيء، باحثاً عن مكان مناسب للخروج إلى الشاطيء، إلى أن عثر أخيراً على مصب أحد الأنهار، فراح يصلي لإله النهر أن ينجده، سمع الإله دعاءه فأوقف مجرى النهر، وساعد أوديسيوس ببلوغ الشاطيء. خرج أوديسيوس إلى الشاطيء، لكن

الابحار الطويل استنزف كل قواه لدرجة أنه وقع على الأرض فاقد الوعي . وبعد لأي ثاب إلى رشده . فنزع حجاب لوكوثيا ، وألقاه في الماء دون أن يلتفت . سبح الخمار بسرعة وعاد إلى بين يدي الربة . وغير بعيد عن الشاطئ عثر أوديسيوس على شجرتي زيتون كانت تحتها كومة من الأوراق اليابسة . فدفن نفسه في الأوراق هرباً من برودة الليل ، وأخذته الربة أثينا في سبات عميق .

أوديسيوس ونوسيكاً^(١٨) :

بينما كان أوديسيوس نائماً ، دافناً نفسه في كومة الأوراق اليابسة ، ذهبت الربة أثينا إلى مدينة الفيسيانيين وتجلت للملكة النائمة نوسيكاً في هيئة ابنة الملاح ديماس . وراحت الربة توبخ نوسيكاً لأنها لاتهم بالثياب ، وتستعجلها أن تتركب مع إمائها ، وتذهب إلى الجداول على شاطئ البحر لغسل الثياب . استيقظت نوسيكاً مع الفجر ، وهي في دهشة من أمر الحلم الذي رأت . فهرعت إلى والديها . وجدت أمها أريتا قرب الموقد ، منكبة على حياكة النسيج الأرجواني ، تحيط بها الجوارى . كما التقت بأبيها بالبواب - كان ذاهباً إلى مجلس أعيان الفيسيانيين . اقتربت نوسيكاً من أبيها ، ورجته أن يعطيها العجلة ، التي تجرها البغال ، لكي تستطيع الذهاب إلى النهر لغسل الثياب .

وقالت نوسيكاً :

- لقد تراكم لدينا الكثير من الثياب الوسخة ، وسأذهب لغسلها ، إن عليك أن تكون في ثياب زاهية في مجلس الأعيان ، ثم إن أولادك الشباب يريدون أن يكونوا في الثياب النظيفة حين يترددون على حفلات الرقص والغناء التي تحييها عذارى فيسيا . انني أنا وحدي من يهتم بالثياب .

هذا ما قالته نوسيكاً ، دون أن تنبس ببنت شفة عن الزواج ، الذي كانت

تهفو إليه بكل روحها . لكن الملك الكينووس أدرك سر ماترمي إليه ابنته ، فابتسم لها بحنان ، وأوعز إلى العبيد أن يجهزوا العجلة ، ويربطوا إليها البغال . ولم يمض من الوقت إلا أقله حتى كانت نوسيكاً جاهزة .

انطلقت نوسيكاً مريحة برفقة جواربها إلى شاطئ البحر . وإذا وصلن الجدول بدان تنظيف الثياب وغسلها ، ومن ثم نشرها لتجف على شاطئ البحر الرملي . وبعد أن أنهين العمل اغتسلت الفتيات في النهر ، ومسحن أجسامهن بالطيب . وبعد أن أكلن رحن يتسلين على ضفة النهر بلعبة الكرة . وهنا وجدت أثينا الطريقة لإيقاظ أوديسيوس . فقد رمت نوسيكاً الكرة لصديقاتها ، فعمدت أثينا خفية إلى صدها بيدها بقوة فوقعت في البحر . وأطلقت الفتيات صرخة قوية ، فاستيقظ أوديسيوس على هذه الصرخة ، ولم يعرف ماذا يفعل ، هل يخرج من مخبئه ، أم يبقى فيه ؟ وأخيراً خرج إلى الفتيات ، وقد غطى جسده بالأغصان . كان منظر أوديسيوس رهيباً ، وقد غطاه الوحل والنباتات المائية . خافت الفتيات وتفرقن ، ولم يبق إلا نوسيكاً . فقد ألهمتها الربة أثينا الجرأة . أما أوديسيوس فلم يجزؤ على الاقتراب من العذراء الحسناء ، بل راح يتوسل إليها من بعيد أن تساعده قائلاً :

- أيتها العذراء الجميلة ، إليك أمد يدي متوسلاً . إنك تعادلين بجمالك الربة أرتيميس . أولست ربة ؟ إذا كنت من الفانين فيالسعادة والديك أن تكون لهما ابنة مثلك . هلا رثيت لي أيتها الحسناء ! لقد أمضيت عشرين يوماً في البحر العاصف ، فاعطني ولو قطعة من قماش أستربها عريي ! وليحقق لك الآلهة الخالدون كل ماتصبو إليه نفسك على هذه المساعدة ، وليكافئوك بالزواج السعيد .

وردت نوسيكاً على أوديسيوس :

- أرى أيها الغريب من كلامك أنك لست بالإنسان البسيط ، وأن الآلهة وهبوك

الحكمة . لكن زوس يرسل الفرخ والترح سواء للنبلاء أولغير النبلاء ، فتحمل ما قسم لك زوس . لسوف أدلك على الطريق إلى المدينة . إنني ابنة الكينووس ، ملك الفيسيانيين .
نادت نوسيكاجوارها وأمرتهن أن يعطين أوديسيوس ثوباً نظيفاً ويطعمنه . وكانت أثينا قد جعلت أوديسيوس جميلاً لدرجة أنه حين جلس على شاطئ البحر اعتقدت نوسيكأ أن أحد الآلهة جاء إلى الأرض .
كان كل شيء جاهزاً للعودة إلى المدينة . وقد دعت نوسيكأ أوديسيوس أن يقتفي أثرها ، ونصحته أن يقوم ، حال دخوله القصر ، بالركوع أمام الملكة أريتا ، والاستنجد بها . لأن القوم يجلونها إجلال الربة ، بسبب حكمتها العظيمة . بعد أن قالت نوسيكأ ذلك سآقت البغال باتجاه المدينة ، ومن خلفها سار أوديسيوس والجواري .

أوديسيوس عند الملك الكينووس :

حين عادت نوسيكأ إلى القصر خرج أخوتها للقائها ، وبعد أن فكوا البغال من العجلة أدخلوا سلة الغسيل إلى القصر ، بينما ذهبت نوسيكأ إلى جناحها ، حيث أعدت لها حاضنتها الجارية ايفرميدوزا عشاء شهياً .
أما أوديسيوس فقد انتظر عند بوابة المدينة قليلاً ثم دخلها ، وهنا التقى أثينا في هيئة عذراء من فيسيا ، وحين طلب منها أن تدله على قصر الكينووس وافقت أثينا على مرافقته . سار أوديسيوس خلف الربة صامتاً . وقد أدهشه ثراء المدينة ، والأرصفة التي ترسواليها المراكب ، وساحة المدينة الشاسعة والأسوار المنيعة . أخيراً وصلا قصر الكينووس .
أذهل ثراء المدينة أوديسيوس ، وأذهلته أكثر فخامة قصر الكينووس . كان

القصر كله مشيداً من النحاس البراق، وكانت جدرانها من الأعلى مزدانة بالحديد، أما الباب المؤدي إلى القصر فقد سبك من الذهب الخالص. وكانت عتبة العليا من الفضة والسفلى من النحاس. ولدى الباب كان يقف كلبان حيان خالدان من صنع الإله هيبايستوس نفسه - أحدهما من الذهب، والآخر من الفضة. دخل أوديسيوس القصر. وهناك رأى المقاعد، المزدانة بشكل فاخر، وعليها أغطية من الأحجار الكريمة. وعلى حوامل كانت تقف التماثيل الذهبية لشبان يحملون المشاعل في أيديهم. كان قصر الكينووس في غاية الروعة. لكن حديقة القصر كانت أكثر روعة. ففيها كانت تنضج الثمار اليانعة بمختلف أنواعها صيفاً وشتاء. وقف أوديسيوس طويلاً يتأمل كل ذلك بإعجاب، إلى أن دخل أخيراً قاعة الاحتفالات، حيث كان يجلس الكينووس، أريتا وأعيان فيسيا. كانوا يشربون النبيذ الزكي الرائحة على شرف الإله هرمس. دنا أوديسيوس من أريتا وركع أمامها، وراح يتوسل إليها بصوت عال أن تساعد، ابن السبيل المسكين. بعد أن قدم أوديسيوس التماسه تراجع، ثم جلس عند الموقد كمن يطلب الحماية. وبناء على نصيحة أحد الفيسيانيين، وهو أكبرهم سناً، أخذ الكينووس أوديسيوس من يده وأجلسه إلى جانبه. قدم الخدم لأوديسيوس النبيذ والطعام، وراح جميع الحاضرين يشربون نخب زوس. قاذف الصواعق، وحامي المسافرين، أخبر أوديسيوس الملك بكل ما عانى من المصائب في طريقه من جزيرة الحورية كاليسو. وكيف ساعدته الأميرة نوسيك، التي التقاها على شاطئ البحر. أصغى الكينووس لأوديسيوس باهتمام كبير، ثم صاح:

- ألا يا آلهة الأولمب النيرين! لو أنكم وهبتم نوسيك زوجاً كهذا الغريب، إذن لاعطيته ثروة كبيرة مهراً لها. لكننا أيها الغريب لن نبقيك في جزيرتنا عنوة، ولسوف نوصلك إلى بلادك. فالفيسيانيون لا يخشون السفر في البحر. مهما كان الدرب بعيداً.

أوعزت الملكة أريتا بإعداد سرير لأوديسيوس ، الذي لم يلبث أن راح في سبات عميق . ونخيم سلطان الكرى على قصر الكينووس كله .
وفي صباح اليوم التالي أمر الكينووس بعقد اجتماع يضم جميع الفيسيانيين ، لكي يقرروا كيفية إيصال أوديسيوس إلى بلاده . كانت أثينا نفسها قد طافت أرجاء المدينة ، تدعو المواطنين ، في هيئة مناد ، إلى الساحة . وإلى الساحة أحضر الكينووس أوديسيوس وأجلسه إلى جانبه . كان الفيسيانيون ينظرون إلى البطل بكل دهشة ، فقد وهبته أثينا جمالاً وعظمة يجلان عن الوصف . وقال الملك الكينووس مخاطباً الحضور :

- اسمعوا أيها المواطنون ! لقد جاءنا غريب ، يتوسل أن نساعد في العودة إلى وطنه . لم سبق لنا أن رفضنا مد يد العون للغريب أبداً . فلنجهز مركباً ، ولنعد ضيفنا إلى وطنه . إنني أدعو إلى المأدبة لجميع من سيذهب في هذه السفرة ، كما أدعو جميع الأعيان . وسوف نكرم هذا الزائر بمأدبة عامرة في قصري . وليدع إلى الاحتفال المنشد ذومودوك لكي يبهج بغناؤه الساحر قلوب الضيوف .
جاء بالمنشد ذومودوك الأعمى إلى الاحتفال . جلس الضيوف إلى المائدة ، وبدأ الاحتفال المرح . وحين شبع الجميع تناول ذومودوك قيثارته ، وراح يداعب أوتارها الرنانة ، وينشد قصة الخلاف الذي دب بين البطلين العظيمين أوديسيوس وأخيل في أثناء الاحتفال المهيّب . وما إن سمع أوديسيوس هذه الأغنية حتى داهمته الذكريات الحزينة فراحت الدموع تتدحرج من عينيه . ولكي لا يشاهد الفيسيانيون دموعه غطى رأسه بوشاح أرجواني . أنهى ذومودوك أغنيته . ومسح أوديسيوس دموعه ، ثم تناول قدحاً ذهبياً وأراقه ، على شرف الآلهة الخالدين . وعاد ذومودوك يغني عن مآثر الأبطال تحت أسوار طروادة ، ومن جديد بكى أوديسيوس ، لكن أحداً لم يتبته لدموعه . الملك الكينووس وحده فكر ملياً وفهم سبب هذه الدموع .

حين شبع جميع الضيوف دعاهم الكينووس للذهاب إلى الساحة للاشتراك في الألعاب .

بعد المباريات أوعز الكينووس بجلب القيثارة للمنشد ذومودوك . داعب ذومودوك الأوتار الذهبية ، وأنشد أغنية مرحة راح الشباب يرقصون رقصة خفيفة على إيقاعها . راح أوديسيوس ينظر اليهم بإعجاب ذاهلاً من جمال حركاتهم . وحين انتهت رقصة الشباب ، أمر الملك الكينووس أن يقدم كل منهم هدية لأوديسيوس - رداء مزخرفاً وزنة من الذهب .

كانت الشمس قد مالت إلى الغروب فأسرع الجميع إلى قصر الكينووس . وهناك دخل أوديسيوس جناحه ، ووضع كل العطايا ، التي قدمت له في صندوق مزخرف ، أرسلته له أريتا ، ثم ربطه بحبل ، وعقد طرفي الحبل عقدة فنية ، كانت قد علمته إياها الساحرة كيركه . ارتدى أوديسيوس ثيابه الفاخرة ، وذهب إلى قاعة الاحتفالات ، وهناك التقى نوسيكاً . وخاطبته الأميرة بكلام مشوب بحزن الفراق :

- أيها الغريب الجميل ! عما قريب ستعود إلى وطنك فتذكرني هناك ، فأنت مدين بنجاتك لي أنا أيضاً .

وأجابها أوديسيوس :

- إذا مامكنني زوس ، قاذف الصواعق ، من العودة إلى وطني بسلام فلسوف أصلي ، يانوسيكاً الجميلة ، لك كل يوم ، كما يُصلى للربة ، لأن نجاتي كانت على يدك .

بعد أن قال أوديسيوس ذلك جلس قرب الكينووس ، وبدأت الحفلة المرحة . طلب أوديسيوس من ذومودوك أن يغني عن الحصان الخشبي ، الذي بناه اليونانيون عند أسوار طروادة . فغنى ذومودوك ، وعاد أوديسيوس يذرف الدموع المرة . وقطع الكينووس غناء ذومودوك بالسؤال عن السبب الذي يجعل الغريب

يذرف الدمع كلما سمع الغناء عن مآثر الأبطال عند أسوار طروادة . وطلب من الغريب أن يقول من يكون ومن أبوه وأمه . ووعد الكينووس بإعادته إلى وطنه أياً كانت هويته . وقطع على نفسه عهداً بتنفيذ وعده، وإن كان يعرف أن بوزيدون، إله البحار، يهدد بإنزال العقاب بالفيسيانيين لأنهم ينقلون الغرباء إلى أوطانهم ضد إرادته . وهدد بوزيدون الفيسيانيين أنه سوف يقوم في وقت من الأوقات بتحويل المركب، الذي ينقل الغرباء إلى أوطانهم إلى صخرة . أما المدينة فسيغلقها إلى الأبد بجبل شاهق . كان الكينووس يعرف ذلك ومع هذا فقد قرر إيصال أوديسيوس إلى موطنه . أما الآن فقد كان بوده أن يعرف من يكون هذا الغريب، الجالس بجواره . وطلب من أوديسيوس أن يروي قصة المغامرات، التي مر بها .

فرد عليه أوديسيوس :

- تريد أيها الملك الكينووس أن تعرف كل المصائب التي واجهتني، وتريد أن تعرف من أكون، ومن أين أهلي، ومن يكون أبي . إذن فلتعرف أنني أوديسيوس بن لايرت، ملك جزيرة إيثاكة . إنك تعرف ماذا جرى لي بعد أن غادرت جزيرة الحورية كاليبسو . أما الآن فلسوف أحدثك بتلك المغامرات التي كانت من نصيبي بعد مغادرتي طروادة .
وبدأ أوديسيوس يروي قصة مغامراته .

أوديسيوس يروي قصة مغامراته^(١٩) :

السيكونيون^(٢٠) واللوتوفاغيون^(٢١) : أبحرنا من طروادة تدفعنا ريح مواتية، عبر البحر الشاسع، إلى أن وصلنا أخيراً أرض السيكونيين . وقد استولينا على مدينتهم إيسهاروس، وقتلنا السكان عن بكرة أبيهم، وأسروا النساء، ودمرنا

المدينة . وحاولت طويلاً إقناع رفاقي بالابحار سريعاً إلى الوطن، لكنهم لم يصغوا إلي . وفي هذا الوقت جمع من نجا من سكان مدينة إيسماروس أبناء جلدتهم ممن يقطنون ضواحي المدينة، لمساعدتهم، ثم انقضوا علينا . كان عددهم بعدد الأوراق في الغابة، بعدد أزهار الربيع في المروج . قاتلنا السيكونيين طويلاً بالقرب من مراكبنا، لكنهم تغلبوا علينا، واضطرونا إلى أن نلوذ بالفرار، بعد أن فقدت ستة مجذفين بوسائل من كل مركب . وقبل أن نبحر إلى عرض البحر نادينا رفاقنا الغائبين ثلاث مرات، ومن ثم أبحرنا ونحن نندب قتلتنا وفرحين بنجاتنا .

لكننا لم نكد نخرج إلى عرض البحر حتى سلط علينا زوس قاذف الصواعق بيرياس إله ريح الشمال، الذي أثار عاصفة هوجاء في البحر، وتلبدت السماء بالغيوم الداكنة، ودثرت الظلمة كل ماحولنا . ثلاث مرات مزق بيرياس العاصف الأشرعة عن الصواري . أخيراً، وبعد جهد جهيد، تمكنا بالتجذيف من الوصول إلى جزيرة غير مأهولة . أمضينا فيها نهارين وليلتين بانتظار هدوء العاصفة . وفي اليوم الثالث نصبنا الصواري، وأرخينا الأشرعة، ثم استأنفنا رحلتنا . لكننا تهنا عن الدرب أثناء العاصفة . أخيراً، وفي اليوم العاشر من الرحلة رسونا إلى إحدى الجزر . كانت تلك جزيرة اللوتوفاغيين . أشعلنا النار على الشاطئ، وبدأنا نجهز طعام الغداء . وأرسلت ثلاثة من رجالي ليعرفوا أي شعب يسكن الجزيرة . رحب اللوتوفاغيون بهم وقدموا لهم اللوتس اللذيذ . لكن ما إن أكله رجالي حتى نسوا وطنهم، ولم يعودوا يرغبون في العودة إلى بلادهم إيثاكة . لكننا أحضرناهم إلى المراكب عنوة، ثم قيدناهم لكي لا يتمكنوا من الهرب . وللحال أوعزت إلى جميع رفاقي بالجلوس إلى المجاذيف، ومغادرة الجزيرة بأسرع ما يمكن . كنت خائفاً من أن ينسى الباقون الوطن، بعد أن يأكلوا اللوتس اللذيذ .

أوديسيوس في جزيرة السيكلوبات . بوليفيم^(٢٣) : بعد رحلة طويلة وصلت مع رفاقي إلى أرض السيكلوبات الهائجين،^(٢٣) الذين لا يعرفون للقانون معنى . وعلى الرغم من أنهم لا يارسون الزراعة فإن الأرض تعطيهم كل شيء بوفرة . لم نتمكن من الرسو إلى أرضهم حالاً . كانت أصوات السيكلوبات وثناء قطعانهم تصل إلينا . وفي الصباح التالي قررت الابحار في مركبي إلى أرض السيكلوبات لكي أعرف أي قوم هم . قطعنا المضيق غير العريض بسرعة، ورسونا إلى الشاطئ . ولدى البحر تماماً شاهدنا مغارة، تغطيها أشجار الفاره، ويحيط بها سياج من الأحجار الضخمة . أخذت معي اثني عشر رفيقاً من أولئك الذين يمكن الاعتماد عليهم . ومعنا دن من الخمرة، ثم دخلنا كهف السيكلوب . وكما عرفنا لاحقاً فقد كان هذا السيكلوب ضارياً جداً، وكان يعيش بعزلة عن الآخرين ، ويرعى قطيعه لوحده . ولم يكن، مثله مثل جميع السيكلوبات ، شبيهاً بالبشر . كان عملاقاً، يتمتع بقوة هائلة ، وليس له سوى عين واحدة في جبينه . حين دخلنا الكهف لم يكن موجوداً هناك . وفي كهف السيكلوب كانت توجد السلال وفيها الكثير من الأجبان ، وفي الدلاء والجامات كان يوجد اللبن الرائب . وكان ثمة في الكهف زرائب للحملان والمعز . راح رفاقي يحاولون إقناعي بالعودة إلى المركب، بعد أخذ أفضل الحملان والمعز والكثير من الأجبان ، لكنني ، وللأسف ، لم أصغ لهم . كان بودي أن أنظر إلى السيكلوب نفسه . أخيراً جاء السيكلوب . ألقى حزمة كبيرة من الأخشاب على الأرض قرب مدخل الكهف . ولم نكد نرى السيكلوب حتى تملكنا الخوف ، ولدنا بأكثر زوايا الكهف ظلمة . أما السيكلوب فقد زرب قطيعه في الكهف . وسد المدخل بصخرة ، ثم راح يجلب المعز والنعاج . وبعد أن انتهى من حلبها أشعل النار لكي يعد طعامه . وهنا رأنا، فسألنا بصوت مثل هزيم الرعد :

- من أنتم؟ من أين جئتم؟

- كلنا يونانيون - جاوبت السيكلوب - ونحن نبحر من طروادة . لقد دفعت بنا العاصفة إلى هنا . إننا نتوسل إليك أن تستقبلنا ، بود ، كما يستقبل الضيوف ، فأنت تعرف أن زوس يعاقب من يسيء إلى المسافرين ، ولا يكرم وفادتهم .

وصاح السيكلوب بي بوحشية :

- واضح أنك جئت من بعيد أيها الغريب ، مادمت تعتقد أنني أخاف أهتك . وماذا يهمني زوس ! لست أخاف غضب زوس . ليس في نيتي أن أرأف بكم . ولسوف أفعل مايجلولي . قل لي أين مراكبك؟

وأدركت سبب سؤال السيكلوب عن مركبي ، فأجبتة :

- لقد حطمت العاصفة مركبي على الصخور الساحلية ، ولم ينج أحد إلا أنا ورفاقي .

لم يجر السيكلوب جواباً . بل أمسك بيديه الهائلتين اثنتين من رجالي ، وضرب بهما الأرض فقتلهما ، ومن ثم سلقهما وأكلهما . تملكنا هلع لا يوصف ، ورحنا نصلي لزوس أن ينقذنا . أما السيكلوب فما إن انتهى من تناول عشائه الرهيب حتى تمدد على الأرض ، وغفا . وهمت بقتله ، حتى أنني امتشقت سيفي ، لكنني حين نظرت إلى الصخرة الضخمة ، التي كانت تسد المدخل ، أدركت أننا لن نتمكن من النجاة على هذا النحو . حل الصباح . ومن جديد قتل السيكلوب اثنتين من رجالي . وبعد أن التهمهما أخرج القطيع من الكهف ، وسد المدخل بالصخرة . فكرت طويلاً بوسيلة للنجاة إلى أن وجدتأ أخيراً . فقد عثرت في الكهف على خشبة ضخمة ، شبيهة بالصاري ، وبسيفي قطعت نهاية الخشبة ، ثم جعلت رأسها حاداً وشويتها على النار ، وخبأتها . وعند المساء عاد السيكلوب مع قطيعه . ومن جديد قتل اثنتين من رجالي ، وحين فرغ من عشائه البشع هم

بالنوم . لكنني دنوت منه وعرضت عليه قدحاً من الخمرة . شرب السيكلوب الخمرة ، ثم قال لي :

- صب لي أيضاً واخبرني ما اسمك ، فبودي أن أعد لك هدية .
صببت للسيكلوب القدح الثاني ، فطلب قدحاً ثالثاً ، وصببت له الثالث ،
وقلت للسيكلوب ، وأنا أقدمه له :

- تريد أن تعرف اسمي ؟ إن اسمي لا أحد .
- طيب اسمع يالاحد ، سوف تكون آخر من ألتهم ، وستكون هذه هديتي لك .
هكذا أجابني السكلوب ضاحكاً ، ثم شرب القدح الثالث . ولعبت الخمرة برأسه ، فهوى على الأرض ، ونام .

وحينذاك أعطيت الإشارة لرفاقي ، فتناولنا الخشبة . ووضعنا طرفها الحاد فوق النار ، ثم حرقنا بها عين السيكلوب . وزأر السيكلوب من شدة الألم ، وانتزع من عينه الوتد المدخن ، ثم راح يستنجد بالسيكلوبات الباقين . فهرعوا إلى الكهف ، وراحوا يسألون :

- ماذا جرى لك يا بوليفيم ؟ من أساء إليك ؟ لماذا أيقظتنا ؟
فأجاب بوليفيم بزئير وحشي :

- إن لا أحد يقتلني ، لا بالقوة بل بالمكر .

غضب السيكلوبات ، وصاحوا ببوليفيم :

- إن كان لا أحد قد أساء إليك إذن فلا داعي للصراخ هكذا . وإن كنت قد مرضت فتلك مشيئة زوس ، وليس بمقدور أحد أن يبدلها .

قال السيكلوبات ذلك ، ثم انصرفوا .

حل الصباح ، وراح بوليفيم يبعد الصخرة عن المدخل ، وهويثن بصوت عال ، ثم راح يخرج القطيع إلى المرعى ، وهويتمس ظهر كل نعجة وكل عنزة .
وحينذاك ربطت كل ثلاثة خرفان سوية ، وتحت أوسطها ربطت واحداً من رفاقي .

أما أنا فقد تشبثت بالصوف الكثيف لكبش ضخم ، محبوب بوليفيم - فكنت معلقاً تحت بطنه . مرت الخرفان ، التي ربط إليها رفاقي من أمام بوليفيم بسلام . وكان الكبش ، الذي تعلقت به آخر من غادر الكهف ، فأوقفه بوليفيم . وراح يداعبه ، ويشكوله مصابه . فقد أساء إليه لأحد الوقح ، ثم ترك الكبش يمر . وهكذا فقد نجونا من الهلاك المحتوم . سقنا قطع بوليفيم على عجل باتجاه المركب ، حيث كان رفاقنا بانتظارنا . ولم أسمع لرفاقي بالبكاء على القتلى ، فقد صعدنا متن المركب بسرعة بعد أن أخذنا نعاج بوليفيم ، ثم ابتعدنا عن الشاطئ . وحين أصبحنا بعيدين مسافة لايزال صوت الانسان منها مسموعاً صحت بالسيكلوب بصوت قوي :

- اسمع أيها السيكلوب! لقد جررت بظلمك عقاب زوس على نفسك ، ولن تتمكن بعد الآن من قتل المسافرين المساكين والتهامهم .

سمعني السيكلوب ، فرفع صخرة ، وألقاها في البحر ، فكادت تحطم مقدمة المركب . لكنني دفعت بالمركب بواسطة العصا . ومن جديد عدنا نبحر ، وحين ابتعدنا صحت ببوليفيم :

- فلتعرف يا بوليفيم أن من سمل عينك هو أوديسيوس ملك إيثاكة .

عوى السيكلوب الضاري من شدة الغضب ، وصاح بصوت عال :

- لقد تحققت نبوءة العراف . كنت أعتقد أن أوديسيوس مارد جبار ، وليس دودة حقيرة مثلك .

راح بوليفيم يتوسل إلى أبيه بوزيدون أن يعاقبني لأنني أفقدته نعمة البصر ، ثم تناول صخرة ، أكبر من الأولى ، ورمى بها في البحر ، فسقطت خلف مؤخرة المركب . رفعت موجة عاتية مركبي ، وقذفت به في البحر بعيداً . وهكذا نجونا . وهناك قدمنا الأضاحي السخية للآلهة . وفي اليوم التالي استأنفنا الرحلة عبر البحر الشاسع ، ونحن نتأسى على رفاقنا الذين لا قوا حتفهم .

أوديسيوس في جزيرة إيلوس^(٢٤) : لم يمض على إبحارنا طويلاً حتى وصلنا جزيرة إيلوس . وهي جزيرة عائمة ، يحيط بها سور نحاسي منيع ، أما شطآنها فترتفع على شكل صخور معلقة من أمواج البحر . كان يقطن هذه الجزيرة إيلوس مع زوجته وأولاده الاثني عشر ، وهم ستة فتيان وست فتيات . كانت حياة إيلوس سعيدة هائلة . فكان يمضي أيامه في إحياء الاحتفالات المرححة مع أفراد أسرته في قصوره الفخمة . على مدى شهر كامل احتفى إيلوس بنا ، واستمع إلى قصصي عن مآثر الأبطال عند أسوار طروادة .

أخيراً رحلت أرجوه أن يسمح لنا بالعودة إلى الوطن . وافق إيلوس . وعند الوداع أعطاني قرية كبيرة ، مربوطة بسلك من الفضة . وكان قد حبس في هذه القرية كل الرياح الخاضعة له ، ولم يترك إلا ريح زيفير^(٢٥) طليقة ، لكي تسوق مراكبنا نحو ربوع الوطن - إيثاكة . وحظر إيلوس فتح القرية إلى أن نصل الوطن . لكن زوس لم يكتب لي العودة إلى الوطن . فحين ظهرت إيثاكة في اليوم العاشر من الرحلة سلط علي الآلهة نوماً عميقاً . وراح رفاقي يتحدثون عن احتمال أن يكون إيلوس قد أعطاني الكثير من الذهب والفضة ، ووضعها في هذه القرية ، مادمت لا أسمح بفكها . وبدافع الفضول فك رفاقي القرية ، فانطلقت الرياح المحبوسة بداخلها ، وأثارت عاصفة رهيبية في البحر .

ومن جديد ساقتنا ريح البورية^(٢٦) إلى جزيرة إيلوس . وذهبت مع واحد من رفاقي إلى قصر إيلوس . ورحت أتوسل إليه أن يساعدنا بالعودة من جديد ، لكن إيلوس غضب مني ، وطردني من قصره وهو يقول أنه لن يساعد أبداً من يكرهه الآلهة ويلاحقونه .

أوديسيوس عند الليستريفون^(٢٧) : استأنفنا رحلتنا . وبعد ستة أيام

وصلنا إحدى الجزر، فدخلنا خليجاً هادئاً، ورسدت مركبي الاثنا عشر إلى الشاطئ. ثم سحبها رفاقي إلى الشاطئ الرملي. أما مركبي فقد رسوت به عند مدخل الخليج، وتسلفت صخرة عالية لأراقب المكان، فلم أرى أي مكان قطعاناً ولا حقولاً محروثة، فقط هنا وهناك كان يرتفع الدخان. أرسلت ثلاثة من رجالي ليعرفوا من يعيش في هذه الجزيرة، فانطلق هؤلاء. وبالقرب من بر، غير بعيد عن مدينة كبيرة، التقوا صبية هائلة الحجم، وقد رافقتهم إلى المدينة، إلى قصر أبيها أنتيفات، حاكم الليستريفون. وفي القصر رأوا زوجة أنتيفات، بقامة تشبه الجبل السامق. وأوعزت الزوجة بمناداة زوجها، الذي كان في مجلس الأعيان، فهرع إلى القصر، وأمسك بواحد من رجالي وقتله. وهنا فر الاثنان الباقيان، أما أنتيفات فقد نادى الليستريفون، وراح هؤلاء يقتلعون الصخور الضخمة، ويكسرون بها مراكبنا، فلم تكن تسمع إلا طقطقة الأخشاب المتحطمة وصراخ القتلى، قتل الليستريفون جميع بحارتي من المراكب الأحد عشر، ثم شكوا جثثهم على أوتاد، وعادوا بها إلى مدينتهم، وبالكاد استطعت النجاة بجلدي في مركبي، الذي لم يبق عندي سواه من أصل اثني عشر مركباً.

أوديسيوس في جزيرة الساحرة سيرسة^(٢٨) : أبحرنا طويلاً عبر البحر الشاسع ونحن نذرف دموع الحزن على رفاقنا القتلى. وأخيراً وصلنا جزيرة إيا^(٢٩)، حيث كانت تعيش الساحرة سيرسة، ذات الشعر الرائع، وابنة الإله هيليوس. أمضينا يومين على شاطئ الخليج الهادي. وفي اليوم الثالث تمنطقت بسيفي، وحملت برحي، ثم اتجهت إلى عمق الجزيرة. ومن على صخرة عالية رأيت في البعيد دخاناً يرتفع من خلف الغابة. فقررت العودة إلى المركب وإرسال عدة رجال لمعرفة من يعيش في الجزيرة. وفي طريق العودة إلى المركب تمكنت من قتل إيل ضخم برحي، وحمته إلى المركب، ثم أعددتنا مائدة عامرة. وبعد أن

أكلنا وشربنا نمنا على صوت الأمواج البحرية. وفي الصباح قسمت رجالي إلى مجموعتين، واحدة برئاستي والأخرى برئاسة أوريلوخ^(٣٠). وألقينا القرعة بين المجموعتين. لمعرفة أيهما ستذهب إلى عمق الجزيرة، وقد خرجت القرعة على أوريلوخ أن يذهب مع رجاله الاثني عشر.

انطلق أوريلوخ ورجاله، ووصلوا قصر سيرسة بسرعة. وبالقرب من القصر كانت تطوف الأسود والذئب المروضة. ولم تكد هذه ترى رفاقي حتى هرعت إليهم، وراحت تتمسح بهم، كما تتمسح الكلاب بأصحابها. تلك كانت نتيجة الشراب السحري الذي استخدمته سيرسة لترويضها به. وفي هذا الوقت تناهى غناء رخيم من القصر إلى سمع رفاقي. نادى رفاقي سيرسة من قصرها. فخرجت، ودعتهم إلى الدخول ببشاشة. وفي القصر قدمت لهم النبيذ في أقداح بعد أن خلطته بعصير عشبة سحرية. شرب رفاقي النبيذ، أما سيرسة فلامست كلا منهم بصولجانها، ومسختهم إلى خنازير، ولم تترك لهم سوى العقل. بعد ذلك دفعت بهم إلى الزريبة، ورمت لهم بشمار البلوط طعاماً، فراحوا يذرفون الدموع المرة. وحده أوريلوخ تمكن من النجاة. فلم يدخل القصر مع من دخل. وصل أوريلوخ المركب راكضاً، وحدثني، وقد تملكه الرعب، عن المصيبة التي حلت برفاقي. وللحال قصدت قصر سيرسة، ولم يكن في ذهني إلا شيء واحد - كيف لي بإنقاذ رفاقي. وفي الطريق تجلّى لي الإله هرمس في هيئة شاب جميل. وقد علمني كيف أحرر رفاقي من سيطرة الساحرة، وأعطاني جذر نبات ذي مفعول عجيب، يبطل سحر لحاظ سيرسة، فلا يضربني. وصلت قصر سيرسة. فاستقبلتني بالترحاب، وأدخلتني إلى القصر، ثم أجلسني في كرسي فاخر، وأحضرت الشراب السحري، فشربته بكل هدوء، أما هي فقد لامستني بصولجانها، وقالت:

- والآن اذهب إلى الزريبة، وتمرغ مع الآخرين.

وبعد أن امتشقت سيفي ، كما أمرني الإله هرمس ، انقضضت على الساحرة ، ورحت أهددها بالموت ، فركعت سيرسة أمامي ، ثم صاحت :
- ألا من تكون؟ فحتى الآن لم يتمكن أحد من النجاة من شرابي السحري .
أوه ، إنني أعرف ، فأنت أوديسيوس الماكر . منذ عهد بعيد تنبأ لي هرمس
بقدومك إلى عندي .

وبعد أن أعدت السيف إلى غمده أرغمت سيرسة على أن تقسم بعدم إلحاق الأذى بي . وقد حلفت لي يمين الألهة القاطع . رجتي سيرسة البقاء عندها ، وعرضت علي أن أرتاح قليلاً ؛ وقد وافقت . وبينما أخذت للراحة انكبت جواربي سيرسة ، بنات آلهة الأنهار والجداول ، على إعداد مائدة عامرة . ارتديت ثياباً فاخرة ، ودخلت جناح الاحتفالات ، وجلست إلى المائدة ، المثقلة بكل مالذ وطاب ، وغرقت في لجة أفكار . وسألني سيرسة عن سبب حزني ، أما أنا فقد جاوبتها بأني لن أكل شيئاً إلى أن تعيد لرفاقي هيئتهم الأولى . وحينذاك أخرجت سيرسة الخنازير من الزريبة ، وطلتهم بمرهم سحري فأعادتهم لهم هيئتهم الأولى ، لابل إنها جعلتهم أكثر جمالاً وأشد بأساً مما كانوا عليه من قبل . سررفاقي برؤيتي ، حتى أن فرحهم أثر في سيرسة . وطلبت مني الساحرة أن أذهب إلى الشاطئ ، وأعود بجميع رجالي إليها في القصر . وعلى الفور نفذت طلب سيرسة ، وعدت بجميع رجالي ، وإن كان أوريلوخ قد أوصاهم بعدم الثقة بالساحرة الماكرة . حين التأم شملنا جميعاً في قصر سيرسة أقامت لنا احتفالاً رائعاً .
أمضينا عاماً كاملاً في قصر سيرسة . وبمرور العام رحلت أرجوس سيرسة تركنا نعود إلى الوطن . فوافقت الساحرة . وقالت لي أنه سيكون علي ، قبل العودة إلى وطني أن أزور مملكة هادس الكئيب ، لأسأل هناك طيف عراف طيبة ثيريسيا^(٣١) عن مصيري . وأنجبرتني سيرسة بكيفية الوصول إلى مدخل عالم الأطياف السفلي ، وعلمتني كيف يجب أن أقدم القرابين وأنادي أطياف الموتى . أصغيت

لوصايا الساحرة، ثم بدأت أجهز نفسي للسفر إلى طرف الأرض، حيث مدخل مملكة هادس الكئيب.

أوديسيوس ينزل إلى مملكة هادس^(٣٢) : حين كشفت لرفاعي عن وجهتنا الجديدة استولى عليهم الذعر، لكنهم أبحروا نزولاً عند أوامري. أرسلت لنا الساحرة سيرسة ريجاً مواتية، راحت تسوق مركبنا بسرعة، إلى أن وصلنا أخيراً مياه المحيط الشائب، ورسونا إلى شاطئ بلاد السياريين^(٣٣) الخزينة، حيث الناس محرومون من ضوء الآله هيلوس. فهذه البلاد مغطاة دائماً بضباب بارد، وتدثرها عتمة الليل بغشاوة كثيفة. وهناك سحبنا مركبنا إلى الشاطئ، وأخذنا النعجة التي أعطتنا إياها سيرسة، والكبش الأسود لنضحى بهما لآلهة العالم السفلي. وذهبنا إلى الصخرة الشاهقة حيث يصب كوسيتوس وبيريفليغيثون في أشيرون^(٣٤). وما إن وصلنا المكان حتى حفرت بسيفي حفرة عميقة، وأرقت فوقها العسل والنبذ والماء، بعد أن خلطتها بدقيق الشوفان، ثم نحرت الذبيحتين فوق الحفرة، فتدفق دمهما إليها. وتدافعت أرواح الموتى بحشد كبير إلى الحفرة، ودب الخلاف بينها عمن سيكون أول من يروي غليله من دم الأضاحي. استولى الذعر علي وعلى رفاقي. أحرقنا الذبيحتين، ورحنا نستغيث بالآله الكئيب هادس وزوجته الربة برسفونة. امتشقت سيفي، وجلست قرب الحفرة لكي أحول بين أرواح الموتى وبينها. وجاءت إلى الحفرة روح أمي أنتيكله. لقد كانت حية لدى مغادرتي إيثاكه. وعلى الرغم من تألمي فإنني لم أسمح لها هي أيضاً بالدنوم من الحفرة، لأنه كان لا بد من أن يكون العراف ثيريسيا أول من يروي غليله من الدم. أخيراً جاءت روح ثيريسيا. وما إن ارتوت الروح، التي لا جسد لها، حتى أنبأتني أن الإله بوزيدون، مزلزل الأرض، غاضب مني لأنني سملت عين ولده السيكلوب بوليفيم. ومع ذلك، وخلافاً لارادة بوزيدون، سوف أصل بلادي

شروط أن لايمس رفاقي ثيران هليوس في جزيرة ترينكاريا^(٣٥). وفي حال قتل رفاقي الثيران فإنهم سيلقون حتفهم عن بكرة أبيهم ، وأكون العائد الوحيد إلى الوطن ، بعد الكثير من المصائب والأهوال. وهناك سوف أنتقم من الخطاب ، لكن علي بعد ذلك أن آخذ المجذاف ، وأظل أتغرب إلى أن أصادف قوماً لايعرفون الملاحه ، ولم يسبق لهم أن رأوا المراكب أبداً ، ولسوف أعرف هؤلاء القوم لأن من أصادفه سيسألني لماذا أحمل هذا السرفش على كتفي . وعلي في هذه البلاد أن أضحي لبوزيدون ، وبعد ذلك فقط أعود إلى البيت . وهناك يجب أن أقدم قرباناً سخياً لجميع الآلهة ، وحينذاك فقط يمكن أن أعيش في إيثاكه بسلام حتى وفاتي . هذا ماقاله لي العراف ثريسيثم انصرف . رأيت الكثير من الأرواح . وقد حدثني روح والدي ، بعد أن روت غليلها من الدم ، بما جرى في إيثاكه قبل موتها ، وطمأننتني بأن والدي ليرت وبنلوبه وتليساخ أحياء يرزقون . هممت أن أعانق أمي الغالية ، ثلاث مرات مددت يدي نحوها ، وفي كل مرة كان طيفها الخفيف ينسل مبتعداً . وفي مملكة هادس رأيت العديد من الأبطال ، لكنني عاجز عن تعداد أسمائهم جميعاً . لقد تأخر الوقت ، وأن الأوان لقطع قصتي ، فقد حان موعد النوم .

لكن المجتمعين راحوا يرجون أوديسيوس متابعة قصته ، بمن فيهم الملكة أريتا والملك الكينووس . فتابع أوديسيوس قصته :

وفي مملكة هادس رأيت روح الملك أغامنون . كان يشكو بمرارة من زوجته كليتمينسترة وإيجيستوس ، اللذين قتلاه في يوم عودته . كما رأيت أرواح أخيل ، باتروكليس ، أنتيلوخ ، وأجاكس تيلامونيد ، كان أخيل يشكو من الحياة البائسة في عالم الأموات ، ويفضل أن يكون أفقر فلاح على الأرض على أن يكون ملكاً في عالم أرواح الموتى . ورأيت الملك مينوس ، قاضي الموتى ، ورأيت عذاب تانتال وسيزيف ، وأخيراً اقتربت مني روح بطل الأبطال هرقل ، أما هو فإنه على الأولب ، في محفل الآلهة الخالدين . ورحت أنتظر أن تدنوني أرواح الأبطال

العظام الآخرين، من الأزمنة الغابرة، لكن الأرواح أثارت جلبة فظيعة، جعلتني أجري نحو المركب خائفاً.

أنزلنا المركب بسرعة إلى ماء المحيط الشائب، وغادرنا بلاد السياريين. ولم نلبث أن وصلنا جزيرة أيا، ثم رحنا في سبات عميق، حال رسونا إلى الشاطئ.

أوديسيوس يبهر قرب جزيرة عرائس الماء وبالقرب من سيلا وخاريبيديس^(٣٦): حين عرفت الساحرة سيرسة بعودتنا جاءت إلى شاطئ البحر، ومن خلفها جواربها وقد جلبن إلى المركب الكثير من الطعام وأدنان الخمرة. استمر احتفالنا على شاطئ البحر حتى حلول الليل. وحين أوى رفاقي إلى مضاجعهم حدثني سيرسة بما ينتظرن من مخاطر في الطريق، وعلمتني كيف أتفادها.

لم يكد الصباح ينبلع حتى أيقظت رفاقي، وأنزلنا المركب، وراح المجذفون يعملون بهمة ونشاط فاندفع المركب إلى عرض البحر. كانت الريح المواتية تدفع الأشرعة، فيندفع المركب بكل هدوء. وأصبحنا غير بعيدين عن جزيرة عرائس الماء. وحينذاك خاطبت رفاقي:

- أيها الأصدقاء! سوف نبهر الآن قرب جزيرة عرائس الماء. إنهن يستدرجن بغنائهن البحارة، الذين يمرون بجزيرتهن، ويقتلنهم بفضاعة. إن الجزيرة كلها مزروعة بعظام ضحاياهن. لسوف أسد آذانكم بالشمع اللين لكي لاتسمعوا غناءهن فتهلكوا، أما أنا فقيدوني إلى الصاري: فقد سمحت لي الساحرة سيرسة أن أسمع غناء عرائس الماء. وإذا ما سحرني غناؤهن ورحت أطلب منكم أن تحلوا وثاقي فشدوه أكثر.

ما إن قلت هذا حتى هدأت الريح المواتية بغثة. أنزل رفاقي الشراع، وجلسوا إلى المجاذيف. وظهرت جزيرة العرائس لنا. وضعت الشمع في آذان

رفاقي ، أما هم فقد ربطوني إلى الصاري بقوة بحيث لم أستطع أن أحرك أياً من مفاصلي . مرر كنبنا قرب الجزيرة بسرعة ، ومن هناك تنهى غناء العرائس الرخيم . كانت العرائس تغني :

- هلا جئت إلينا يا أوديسيوس العظيم ! هلا وجهت إلينا مركبك . لن يمر بنا بحار واحد ، دون أن يسمع غناءنا الشجي . وبعد أن يتمتع به يغادرنا وقد اكتشف الكثير . إننا نعرف كل شيء - كم عانى اليونانيون عند أسوار طروادة بمشيئة الآلهة ، وماذا يجري على الأرض .

وتحت سحر غنائهن أشرت لرفاقي أن يخلوا وثاقي ، لكنهم تذكروا وصيتي فشدوه أكثر . ولم ينزع رفاقي الشمع من آذانهم ، ويفكوا وثاقي إلى الصاري إلا بعد أن اختفت جزيرة العرائس .

تابع مركبنا إبحاره بسلام ، وفجأة سمعت أمامنا ضجة فظيعة ، ورأيت دخاناً ، كنت أعرف أنها خاربيديس . خاف رفاقي ، وتركوا المجاذيف فتوقف المركب . وطفت على رفاقي ، ورحت أشجعهم :

- أيها الأصدقاء ! لقد عانينا الكثير من المحن ، وتغلبننا على العديد من المخاطر ، فلا تفقدوا الشجاعة ، وجذفوا بهمة ! لسوف يساعدنا زوس في النجاة . وجهوا المركب بعيداً عن المكان الذي ترون فيه الدخان ، وتسمعون الصخب الفظيع . وجهوه أقرب إلى الصخرة .

رفعت معنويات رفاقي ، فراحوا يجذفون بكل ما أوتوا من قوة . ولم أكن قد قلت لهم عن سيلا شيئاً . كنت أعرف أن سيلا لن تسلبني سوى ستة رجال ، أما في خاربيديس فكنا سنهلك جميعاً . نسيت وصايا سيرسة ، وأمسكت بالرمح في يدي بانتظار هجوم سيلا . وعبثاً كنت أبحث عنها بناظري .

أبحر المركب بسرعة عبر المضيق الضيق ، ورأينا خاربيديس وهي تبتلع مياه اليم ، وكانت الأمواج تصطفق عند شذقيها ، وفي بطنها العميق كان يغلي الوحل

البحري والتراب كما في المرجل . وحين تنفث الماء كان الماء يغلي ويصطخب بدوي هائل ، وكان الرذاذ المالح يتطاير فيبلغ قمة الصخرة . كنت أنظر إلى خاربيديس ، وقد اصفر وجهي من شدة الرعب . وفي هذا الوقت اشأبت سيلا الفظيعة بأعناقها الستة كلها ، وبأفواهها الهائلة الستة ، ذات الصفوف الثلاثة من الأسنان ، أمسكت بستة من رجالي . ولم أر إلا كيف مرت أيديهم وأرجلهم في الجوبسرة خاطفة ، وسمعتهم وهم يستنجدون بي . التهمتهم سيلا عند مدخل مغارتها ، وعبثاً راح المساكين يمدون أيديهم نحوي . بالكاد استطعنا المرور بخاربيديس وسيلا ، وانطلقنا باتجاه جزيرة الاله هليوس - تريناكريا .

أوديسيوس في جزيرة تريناكريا ، تحطم مركب أوديسيوس : لم يمض من الوقت إلا أقله حتى ظهرت لنا في البعيد جزيرة الاله هليوس ، ورحنا نقرب منها رويداً رويداً ، وأصبحت أسمع بوضوح خوارثيران هليوس وثغاء نعاجه . ولما كنت لأزال أذكر نصيحة العراف ثيريسيا وتحذير الساحرة سيرسة ، فقد رحت أحاول إقناع رفاقي بالمرور بمحاذاة الجزيرة ، دون التوقف فيها . كنت أريد تجنب الخطر الماحق . لكن رفاقي لم يوافقوا ، وهنا أدركت أن المحنة ستحل بنا دون ريب . رسونا إلى الجزيرة ، وسحبنا المركب إلى الشاطئ . وأرغمت رفاقي على أن يقسموا لي يميناً عظيمة بأنهم لن يقتلوا ثيران الاله هيلوس . جهزنا العشاء ، وأثناء تناوله رحنا نتذكر - والدموع في مآقينا - رفاقنا ، الذين اختطفتهم سيلا . بعد أن أنهينا عشاءنا استسلمنا جميعاً للنوم على الشاطئ .

وفي الليل أرسل زوس عاصفة هوجاء . كان بورياس يهدرجنون ، وتلبدت السماء بالسحب ، فازداد الليل الدامس ظلمة . وفي الصباح سحبنا مركبنا إلى كهف ساحلي لكي لا تحطمه العاصفة ، وعدت من جديد أطلب من رفاقي أن لا يمساوا قطعان هليوس ، فوعدوني بتنفيذ هذا الرجاء . استمر هبوب الرياح شهراً

كاملاً، وبقينا عاجزين عن استئناف رحلتنا. أخيراً نفذ كل مالدينا من مؤونة. وأصبحنا نتغذى بما نصطاد من طيور وأسماك، وراح الجوع يعذب رفاقي أكثر فأكثر. وفي ذات مرة ذهبت إلى أعماق الجزيرة كي أتوسل إلى الآلهة - وأنا لوحدي - أن يرسلوا لنا ريحاً مواتية. ورحت أستغيث بآلهة الأوبل أن يستجيبوا لرجائي. ولم أنتبه إلا وقد جعلني الآلهة أروح في سبات عميق. وبينما كنت أعط في نومي انتقى رفاقي أفضل ثيران القطيع وقتلوها. وقد قدموا قسماً من لحمها قرباناً للآلهة. وبدلاً من دقيق الأضاحي أخذوا أوراق البلوط، وبدلاً من النبيذ أخذوا الماء، لأنه لم يبق عندنا لا هذا ولا ذاك. بعد تقديم القربان للآلهة بدأوا يشوون اللحم على النار. وفي هذا الوقت استيقظت، فذهبت إلى المركب. ومن بعيد شممت رائحة اللحم المشوي، وأدركت ما حدث. وصرخت من شدة الرعب:

- ألا يا آلهة الأوبل العظام! لماذا سلطتم علي النوم؟ فقد ارتكب رفاقي جريمة مروعة، إذ قتلوا ثيران هليوس.

غضب الإله العظيم هليوس، وراح يشكو للآلهة كيف أهانه رفاقي، ويهدد بالنزول إلى الأبد إلى مملكة هادس الكئيب، وحرمان الآلهة والبشر من ضوءه إلى الأبد. ولاسترضاء إله الشمس الغاضب وعد زوس بتحطيم المركب بصاعقة وإهلاك جميع من تطاول على المقدسات.

عبثاً رحت ألوم رفاقي على ما اقترفوا، فقد أرسل لنا الآلهة إشارة رهيبة، إذ راحت جلود الثيران المسلوخة تتحرك وكأنها حية، أما لحومها فراحت تطلق خوارجاً مفجوعاً. استمرت العاصفة ستة أيام. أخيراً، وفي اليوم السابع، هبت ريح مواتية. فاستأنفنا رحلتنا في الحال. لكن لم تكد جزيرة تريناكريا تختفي عن الأنظار حتى حشد زوس قاذف الصواعق السحب المخيفة فوق رؤوسنا، وتحطم الصاربي مثل العود، ثم سقط على المركب. ولدى سقوطه حطم رأس الربان. وومض البرق، فحطم المركب إلى قطع صغيرة، وابتلع اليم جميع الرفاق، ولم ينج أحد.

غيري . وبعد لأي أمسكت بأنقاض صاري مركبي وقاعدته، ثم ربطتهما ببعض . هدأت العاصفة، وبدأت تهب رياح نوط، التي دفعت بي باتجاه خاربيديس مباشرة . وكانت في هذا الوقت تبتلع مياه البحر بشكل صاخب . وبالكاد استطعت التثبيت بأغصان شجرة الجميز، التي تنبت على الصخرة قرب خاربيديس، وبقيت معلقاً بها . انتظرت طويلاً إلى أن تنفت خاربيديس الصاري والقاعدة مع الماء . أخيراً خرجا من فمها الرهيب، فتركت أغصان الجميز، وألقيت بنفسي على أنقاض مركبي مباشرة . وهكذا نجوت من الوقوع لقمة سائغة في فم خاربيديس، كما نجوت بمشيئة زوس من الوحش سيلا أيضاً، فلم ترني وأنا أسبح عبر أمواج البحر المصطخب .

تسعة أيام بقيت أطوف أرجاء البحر الشاسع، وأخيراً ساقطني الأمواج إلى جزيرة الحورية كاليبسو . وقد حدثتكما عن ذلك أيها الملك الكينووس والملكة أريتا .

بهذا اختتم أوديسيوس قصة مغامراته .

عودة أوديسيوس إلى إيثاكة^(٣٧) :

في اليوم التالي استعد الفيسيانيون للإقلاع، ونقلوا إلى المركب الهبات السخية، التي قدمت لأوديسيوس . وكان الكينووس يشرف شخصياً على كل الاستعدادات . وحين أصبح كل شيء جاهزاً قدم في قصر الكينووس قرباناً لزوس، وأقيمت حفلة الوداع . كان أوديسيوس ينتظر حلول المساء على أحر من الجمر . ولاتسل عن فرحه حين رأى الشمس تميل إلى الغروب والمساء يصبح وشيكاً . وحين تكاثف غسق المساء ودع أوديسيوس الملك الكينووس، وأريتا شبيهة الآلهة، ثم ذهب إلى المركب . صعد أوديسيوس متن المركب، واستلقى

على السرير المعد له . بدأ المجذفون الأقوياء يجذفون بهمة ، فخرج المركب إلى عرض البحر . أرسل الآلهة إلى أوديسيوس نوماً عميقاً ، فظل نائماً طيلة الطريق . اندفع المركب يشق عباب البحر أسرع من النسر ، وفي الصباح الباكر رسا إلى شواطئ إيثاكة ، غير بعيد عن الكهف المنذور للنيادات^(٣٨) . حمل الفيسيانيون أوديسيوس النائم إلى الشاطئء بكل حذر ، ثم وضعوه على الرمل . وإلى جانبه وضعوا كل الهبات ، التي قدمت له ، ثم قفلوا راجعين ، رأى بوزيدون المركب العائد ، فغضب من الفيسيانيين لأنهم نقلوا أوديسيوس إلى وطنه ضد إرادته . فراح بوزيدون يشكوهم إلى زوس ، قاذف الصواعق . ونصح زوس أخاه أن يعاقب الفيسيانيين بأن يحول مركبهم ، لدى دخوله مرفأ بلادهم ، إلى صخرة عالية . أسرع بوزيدون إلى جزيرة الفيسيانيين ، وراح ينتظر عودة المركب وها قد ظهر المركب في الأفق ، واحتشد على الشاطئء جمهور غفير لاستقبال البحارة . وها هو المركب في المرفأ ، وبغثة تحول إلى صخرة ، ونقلوا خبر هذه المعجزة إلى الملك الكينووس ، فأدرك أن بوزيدون قد نفذ وعيده ، يانزال العقاب بالفيسيانيون لأنهم ينقلوا المسافرين عبر البحر . جمع الكينووس جميع السكان ، وأمرهم بتقديم الأضاحي لبوزيدون . وراح الفيسيانيون يصلون لبوزيدون بكل خشوع أن يخفف من غضبه ، ونذروا على أنفسهم أن لا يعودوا أبداً إلى نقل المسافرين إلى أوطانهم .

استيقظ أوديسيوس فوجد نفسه على شاطئء ، فلم يعرف موطنه إيثاكة لأن الربة أثينا غطت كل ماحوله بضباب كثيف . وقد دب اليأس في نفس أوديسيوس . لقد اعتقد أن الفيسيانيين تركوه في جزيرة غير مأهولة ، فراح يشكو بصوت عال من حظه العاثر .

وإذ تلفت من حوله رأى هبات الفيسيانيين بجواره . كانت موجودة بكاملها . سار أوديسيوس حزيناً عبر الشاطئء ، فصادف شاباً جميلاً . وحين سأله

أي البلاد هذه، فوجيء بأنه في إيثاكه، وبدوره سأله الشاب عمن يكون. فأجابه أوديسيوس الحذر بأنه عابرسبيل، أصله من كريت. وأنه كان ينوي السفر على متن مركب الفيسيانيين إلى بيلوس أو إيليدا، لكن الفيسيانيين ألقيوا به، وهو نائم، على هذا الشاطئ، وسرقوا كل ثروته. بعد أن سمع الشاب هذه القصة ابتسم، ثم غير هيأته فجأة. كانت الربة أثينا تقف أمام أوديسيوس. وقد أطرت أوديسيوس على حذره، ثم شجعته بأن وعدته بمد يد العون، وأمرت أثينا أوديسيوس أن لا يكشف لأحد عن هويته، لكن أوديسيوس لم يستطع أن يصدق أنه أخيراً في إيثاكه. وحينذاك بددت أثينا الضباب، الذي يلف إيثاكه. عرف أوديسيوس موطنه فخر على ركبته، وراح يقبل أرض الوطن بفرح. أما أثينا فقد حولت أوديسيوس إلى شحاذ مسكين. وعلى وجه أوديسيوس وكتفيه تغضن جلده، وأصبح نحيلاً، وسقط عن رأسه شعره الجميل، وخبأ ضوء عينيه، وغطت التجاعيد جفنيه. وألبسته أثينا أسماً قذرة، ووضعت على كتفه حقيبة مرقعة، ربطت بحبل، وفي يده عصا. وأمرت أوديسيوس بأن يخبيء هبات الفيسيانيين في المغارة، ويذهب في هيئة شحاذ إلى عموس راعي الخنازير، أما هي فقد انطلقت على جناح السرعة إلى اسبارطة، لكي تعيد تليماخ، ابن أوديسيوس، من هناك.

أوديسيوس عند عموس (٣٩):

حين اقترب أوديسيوس من مسكن عموس، راعي الخنازير، كان هذا وحيداً في بيته، وكان يعمل وهو جالس قرب المدخل. وما إن رأت الكلاب أوديسيوس حتى انقضت عليه، وهي تنبح بهياج. وكان من شأنها أن تمزقه لو لم يهرع عموس ويطردها.

وقال عموس مخاطباً أوديسيوس، دون أن يعرفه في هيئة الشحاذ:

- أيها الغريب، كان يمكن أن تهلك، فيصيبني حزن جديد، غير ذلك الحزن الذي يعذبني بسبب هلاك أوديسيوس. والآن هيا بنا إلى المنزل، لسوف أطعمك، وأجعلك ترتاح.

سار أوديسيوس إلى مسكن عموس، المبني من الحجر الخشن. وفي باحة البيت كانت تقوم زريبة الخنازير. دخل عموس وأوديسيوس البيت. وراح عموس يشكو، وهو يعد المائدة، من الخطاب المشاغين، الذين نهبوا دار أوديسيوس بشكل أسوأ من القراصنة. والذين دمروا قطعانه الكثيرة. كان أوديسيوس يصغي إليه بكل انتباه، وهو يفكر بكيفية الانتقام من الخطاب. وفي أثناء الطعام راح أوديسيوس يسأل عموس عن سيده، وحين قال راعي الخنازير أن سيده قد لقي حتفه أقسم أوديسيوس أن سيده سيعود إلى البيت، سيعود قريباً. لكن عموس لم يصدق قسمه. وسأل عموس الغريب عن يكون، فروى له أوديسيوس قصة مختلقة عن مصائبه.

لم يلبث الرعاة أن عادوا بالقطيع. وقد ذبحوا خنزيراً سميناً، وتناولوه على العشاء. وفي أثناء العشاء كرم عموس الغريب بأن قدم له أفضل قطعة، وأعطاه أول قذح من الخمرة، بصفته ضيفاً.

وبينما كانوا يتناولون طعام العشاء هبت في الخارج عاصفة قوية، وهطل المطر، فأصبح الجو بارداً. ولم يكن لدى أوديسيوس ما يغطي به في نومه، حتى رداء. وحينذاك روى لعموس والرعاة القصة التالية، لكي يعطوه رداء، بعد أن يفهموا التلميح فيها.

بدأ أوديسيوس قصته:

- اسمع يا عموس، واسمعوا أنتم. في ذات مرة عند أسوار طروادة كان مينيلوس، أوديسيوس وأنا نرقد في كمين. كان الطقس بارداً في الليل بين أجمات القصب، وكان الثلج يتساقط بندف كبيرة، وكنت قد نسيت ردائي.

وأخيراً أخبرت أوديسيوس بذلك . فلجأ إلى الحيلة فوراً ، إذ نهض قليلاً ، وأيقظ المحاربين المستلقين بجانبنا ، وقال إنه رأى حلماً سيئاً ، ولذا فإنه يخاف أنهم ابتعدوا عن المراكب كثيراً ، وأنه يجب إرسال أحد ما لطلب النجدة من أغاممنون . وحينذاك نهض أحد المقاتلين ، وألقى بالرداء عن جسمه ، وانطلق باتجاه المراكب ، أما أنا فقد أخذت الرداء ، وتغطيت به ، ونمت قرير العين حتى مطلع الفجر .

فهم عموس مغزى القصة ، فأعد الفراش لأوديسيوس قرب الموقد ، وفرش له جلد خروف وجلد ماعز ، وأعطى أوديسيوس رداءه ، الذي كان يلبسه شتاء . نام أوديسيوس نوماً لذيذاً . أما عموس فلم يبق في البيت ، بل علق السيف على كتفه ، وأخذ الرمح في يده ، ثم غطى نفسه بالرداء ، وذهب يتفقد القطيع .

عودة تليماخ إلى إيثاكة^(٤٠) :

بعد أن غادرت أثينا بالاس أوديسيوس ، الذي تحول إلى شحاذ ، قصدت أسبارطة فوصلتها بسرعة . دخلت قصر الملك مينيلوس ، وذهبت مباشرة إلى الجناح ، الذي كان ينام فيه تليماخ وفيسترات . كان نوم تليماخ خفيفاً ، وكان في نومه يفكر بأبيه ويتأسى له . دنت أثينا من رأس ابن أوديسيوس ، وقالت له :
- آن الأوان ياتليماخ لأن تعود إلى الوطن ، حيث تخلت عن كل أملاكك . إن الخطاب المشاغبين ينهبونها ، وسوف يأتون عليها إن لم تعد . وفكر أيضاً بأن النساء لا يؤتمن جانبهن أبداً . لسوف تنسك بنلوبة ، ولن تهتم إلا بأولادها من زوجها الثاني . هيا عد على جناح السرعة إلى البيت . لكن تذكر شيئاً واحداً : إن الخطاب ينصبون لك كميناً ، ولكي تتجنبه يجب أن تبهر تحت جناح الظلام قرب الجزيرة ، وفي الصباح عند الفجر ترسو إلى شاطئ إيثاكة في مكان

مستور. اذهب إلى عموس راعي الخنازير، ومن هناك ابعث برسول إلى بنلوبية
ينبئها بقدمك .

قالت أثينا ذلك، ثم انصرفت .

وعلى الفور أيقظ فيسسترات، وراح يستعجله العودة إلى بيلوس . لكن
فيسسترات أقنع تليماخ بانتظار الصباح . فلا يصح أن يغادرا القصر ليلاً، دون
وداع مينيلابوس . سمع تليماخ نصيحة فيسسترات . ولم تلبث أبوس، ربة الفجر،
أن طارت إلى السماء، وحل الصباح . دخل الملك مينيلابوس على الشابين .
استقبل ابن أوديسيوس مينيلابوس بالباب، وراح يرحوه أن يسمح له بالعودة إلى
دياره في إيثاكة بسرعة . لم يحاول مينيلابوس منع تليماخ، لكنه طلب منه الانتظار
قليلاً لكي يجهز له الهبات، كما دعاه لتناول الطعام قبل السفر .

بعد تناول الطعام، والحصول على هبات مينيلابوس، استعد الشابين
للسفر، وانطلقا على متن جواديهما بسرعة قاصدين بيلوس .

وفي الطريق قضى الشابين الليل في فيريا عند البطل ديوكولوس، ووصلا
بيلوس في اليوم التالي . واستطاع تليماخ أن يقنع فيسسترات بأن لا يعرج على قصر
نسطور، خشية أن يعرقل الشيخ سفره يوماً آخر . وافق فيسسترات، ورافق صديقه
إلى المركب مباشرة . أقلع المركب بسرعة وانطلق، تدفعه ربح مواتية، إلى عرض
البحر .

كان أوديسيوس في هذا الوقت لا يزال عند عموس .

راح أوديسيوس يسأل عن والده ليرت وزوجته بنلوبية، فحدثه عموس بكل
شيء، دون أن يخطر بباله أنه يروي ذلك لأوديسيوس نفسه .

وصل تليماخ إيثاكة في الصباح . وقد رسا بمركبه إلى الشاطئ في مكان
مستور، كما أمرته أثينا، ثم نزل من المركب . وقد أرسل رفاقه على المركب إلى مرفأ
المدينة، أما هو فقد قصد عموس، راعي الخنازير .

تلميخ يأتي إلى عند عموس . أوديسيوس وتليخ (٤) :

استيقظ أوديسيوس وعموس باكراً . وفجأة اندفعت كلاب عموس بنباح مرح للقاء تليخ المؤلف لديها ، وراحت تتمسح به . ووثب راعي الخنازير للقاءه ، عانق عموس تليخ الداخلة ، وراح يقبله ، وهو يذرف دموع الفرح . نهض أوديسيوس ، يريد تقديم مكانه للقادم . وخاطبه تليخ بلطافة :
- اجلس يا ابن السبيل ! اطمئن فلسوف يجهز لي عموس مكاناً .

سارع عموس يجهز المكان لجلوس تليخ ، ثم قدم له الطعام والنبيد . وفي أثناء الطعام سأل تليخ عموس من أين جاء هذا الغريب ، ومن جاء به إلى إيثاكة . فروى له عموس تلك الحكاية الملفقة ، التي سمعها من أوديسيوس ، وسأله أن يستقبله في داره . لكن تليخ لم يستطع أن يعد بذلك . فكيف بمقدوره ، وهو الفتى ، أن يتغلب على هذا الحشد من الخطاب المشاغبين ؟ وكان كل ما استطاع أن يعد به الغريب ثياباً جديدة وسيفاً على شكل هدية ، ومساعدته في العودة إلى الوطن .

أرسل تليخ عموس إلى المدينة ، وأمره بأن يخبر أمه سرّاً بعودته . على أن ترسل بنلوبه إحدى جواربها المخلصات إلى الشيخ ليرت لتنبئه بعودته ، فهو بدوره قلق على مصير حفيده .

انطلق عموس مسرعاً لتنفيذ مهمة تليخ . وما إن خرج عموس حتى ظهرت الربة أثينا أمام أوديسيوس بحيث لا يراها تليخ ، ونادت أوديسيوس إلى خارج الكوخ ، وهناك عند سياج الباحة أعادت له هيئته السابقة ، بعد أن لامسته بصوبجانها ، ثم أمرته بأن يكشف عن هويته لتليخ .

حين عاد أوديسيوس إلى الكوخ راح تليخ ينظر إليه وهو في حيرة من أمره ،

فقد خيل إليه أن أحد الآلهة قد تجلى له ، إلى هذا الحد كان أوديسيوس جميلاً ومهيباً .

وصاح تليماخ :

- ألا يا ابن السبيل ، إنك تظهر لي الآن في هيئة أخرى . إنك أحد الآلهة الخالدين ، فأرأف بنا ، ولسوف نقدم لك الكثير من الأضاحي .

فرد عليه أوديسيوس :

- كلا ، لست بالآله ، بل أنا أبوك أوديسيوس ، الذي تحملت لأجله الإهانات من الخطاب المشاغبين .

بكل الحب عانق أوديسيوس ابنه ، وقبله وهويكي . لكن تليماخ لم يستطع أن يصدق فوراً أن أباه عاد إلى الوطن أخيراً . فهو للتوراه في هيئة شحاذ عجوز مسكين . فكيف استطاع أن يتبدل على هذا النحو ، وهل بوسع الإنسان الفاني أن يصنع مثل هذه المعجزات ؟ استولى الشك على تليماخ ، لكن أوديسيوس بدد هذا الشك بقوله أن الربة أثينا حولته إلى شحاذ ، وأنها هي التي أعادت له هيأته الحقيقية . صدق تليماخ أن من يقف أمامه هو والده . وروى أوديسيوس لابنه كيف جلبه الفيسيانيون ، وكيف خبا هباتهم في المغارة العميقة ، وكيف صادفته الربة أثينا ، وأرسلته إلى عموس . وراح أوديسيوس يسأل تليماخ عن الخطاب . كان يلتهب غيظاً ، ويريد أن ينتقم منهم لكل الإهانات . لكن هل هذا ممكن ؟ فالخطاب كثيرون ، إن عددهم مئة وستة عشر . فهل بمقدورهما - أوديسيوس وتليماخ - التصدي لمثل هذا الحشد في معركة سافرة ؟ لكن لدى أوديسيوس مساعدين قديرين ، لا يستطيع الفنانون الصمود في وجههما ، إنهما زوس قاذف الصواعق وابنته أثينا بالاس .

قرر أوديسيوس - وهو يعلق الأمل على مساعدتهما - أن يتصرف على النحو التالي : كان على تليماخ أن يذهب إلى المدينة ، وإلى الخطاب ، وفي أعقابه يأتي

أوديسيوس بهيئة عابر سبيل شحاذ، برفقة عموس، كما لو أنه يجمع الصدقات .
ولسوف يتحمل أوديسيوس كل إهانات الخطاب . ومن ثم، وبإشارة من
أوديسيوس، يقوم تليياخ بإخراج كل السلاح من قاعة الاحتفالات، ولا يترك إلا
سلاحه وسلاح أبيه . والأهم من كل شيء - ضرورة إبقاء عودة أوديسيوس طي
الكتمان، كي لا يعرف أحد بذلك، حتى بنلوبة . لأن بعض العبيد والجواري لم
يحافظ على الإخلاص لأوديسيوس . ظل أوديسيوس وتليياخ يتشاوران طويلاً .

وفي هذا الوقت وصل المدينة مركب تليياخ . وللحال أرسل رفاقه من ينبيء
بنلوبة بعودة ابنها . وقد التقى عموس بهذا الرسول لدى قصر أوديسيوس، فدخلا
إلى بنلوبة معاً . وبصوت عالٍ أنبأ الرسول بنلوبة بعودة ابنها . أما عموس فقد
أنحنى نحوها ونقل إليها بصوت خافت كل ما كلفه به تليياخ . فرحت بنلوبة أن
ابنها عاد إليها .

انتشر نبأ عودة تليياخ انتشار النار في الهشيم، إلى أن وصل مسامع
الخطاب، فخافوا، واجتمعوا في الساحة للتشاور كيف سيتصرفون . وكانت
نصيحة أنطينوس أن يقتلوا تليياخ لأنه العقبة الوحيدة في طريقهم . لكن
أمفينوموس لم يشاطره هذا الرأي . كان يخاف سحق زوس، وكانت نصيحته أن
يسأل الآلهة أولاً، فاذا ما أعطى الآلهة إشارة المباركة فإنه مستعد لقتل تليياخ
بنفسه، أما إذا لم يكن ذلك فإنه ينصح الآخرين بعدم رفع أيديهم على تليياخ .
وافق الخطاب على رأي أمفينوموس، وذهبوا إلى قصر أوديسيوس .

نقل المنادي ميدونت لبنلوبة ما يخطط له الخطاب، فخرجت إليهم،
وراحت توبخهم على مكرهم . وصبت بنلوبة اللوم بخاصة على أنطينوس،
الذي كان أوديسيوس قد سبق وأنقذ والده من غضب الشعب . وراح أوريباخ
يطمئن بنلوبة بأن الخطاب لن يرفعوا أيديهم أبداً على تليياخ . وعلى الرغم من أن
أوريباخ قال ذلك فإنه لم يكن يفكر إلا بكيفية إهلاك تليياخ .

وفي هذا الوقت عاد عموس إلى كوخه . ومن جديد أعادت الربة أثينا أوديسيوس إلى هيئة ابن السبيل ، كي لا يتعرف عليه عموس . وروى راعي الخنازير لهما عن مشاهداته في المدينة ، ثم راح يعد طعام العشاء للجميع .

أوديسيوس يأتي إلى قصره في هيئة عابر سبيل (٤٢) :

ما إن اصطبح طرف السماء في اليوم التالي بلون الفجر الأرجواني الساطع حتى انطلق تليماخ قاصداً المدينة . وقبيل خروجه أمر عموس بمرافقة ابن السبيل إلى المدينة ، كي يتمكن من جمع الصدقات هناك . ولدى وصوله البيت التقى تليماخ مربيته أوريكليا العجوز . وكانت فرحتها لا توصف برؤية تليماخ الداخل ، فاحتضنته وهي تبكي . وخرجت للقاء ابن أوديسيوس جميع الجوارى . كما خرجت للقاءه بنلوبه ، إذ عرفت بقدومه . عانقت الأم ابناً ، وراحت تسأله عما عرف خلال رحلته . بيد أن تليماخ لم يحدثها بشيء ، كان يستعجل الوصول إلى ساحة المدينة لكي يأتي بثيوكليمان إلى داره .

حين وصل تليماخ ساحة المدينة احتشد الخطاب من حوله . كان كل منهم قد جاء ليتمنى له التوفيق والنجاح ، لكنهم في قرارة أنفسهم كانوا يخططون للفتك به . ولم يلبث ثيوكليمان أن جاء إلى الساحة برفقة بيريم ، الذي آواه أثناء غياب تليماخ عن المدينة .

وعلى الفور دعا تليماخ ثيوكليمان إلى داره وذهباً معاً . وفي البيت جلس تليماخ وثيوكليمان إلى الطعام ، بعد أن اغتسلا في مغاسل مرمرية رائعة . وقد خرجت بنلوبه اليهما ، وجلست قرب مائدتهما ومعها عملها ، حدث تليماخ والدته عن رحلته إلى بيلوس واسبارطة . وحزنت بنلوبه لأن تليماخ لم يكتشف شيئاً عن والده . لكن ثيوكليمان راح يطمئنها مؤكداً لها أن أوديسيوس هو الآن في إيثاكة ،

وأنه متخفي على الأرجح في مكان ما، ويعد العدة للفتك بالخطاب . وقال ثيوكليمان أنه لو لم يكن أوديسيوس قد عاد إلى إيثاكة لما أرسل الآلهة إشارة عند عودة تليماخ .

أثناء حديث بنلوبه مع تليماخ وثيوكليمان كان الخطاب يتسلون في الباحة برمي القرص والرمح . ولم يلبث الرعاة أن ساقوا الماعز والنعاج لمأدبة الخطاب . دخل الخطاب منزل أوديسيوس جمهوراً حاشداً، وانصرفوا للاستعداد للمأدبة . ثم دعاهم النادي ميدونت إلى قاعة الاحتفالات .

وفي هذا الوقت كان أوديسيوس وعموس يغذان السير قاصدين المدينة . كان أوديسيوس يتوكأ على عكاز، في هيئة شحاذ مسكين وكانا قد أصبحا على مشارف المدينة حين صادفهما، عند النبع، الذي كان سكان المدينة يتزودون بالماء منه، الراعي ملانثيوس . وحين رأى ملانثيوس الوقح عموس مع الشحاذ راح يسخر منها بقوله :

- ها هو وقح يقود آخر . إلى أين تقود هذا الشحاذ يا عموس الغبي ؟ انتبه ، فالخطاب سيكسرون أضلاعه إذا ماتجاسر فقط على الظهور في منزل أوديسيوس .

وبعد أن صاح ملانثيوس بذلك، رفس أوديسيوس بقدمه . لكن أوديسيوس لم يتهايل قيد أنملة بسبب هذه الضربة، بيد أنه بالكاد تمالك نفسه عن قتل هذا الوقح بضرب رأسه بالأرض . وراح عموس يهدد ملانثيوس بأن عاقبته ستكون وخيمة حين يعود أوديسيوس . لكن ملانثيوس أجابه بفظاظة أنه عبثاً يأمل بعودة أوديسيوس، وأن الخطاب لن يلبثوا أن يفتكوا بتليماخ، أما عموس نفسه فسيبيع لبعض الغرباء . وانصرف ملانثيوس بعد هذه التهديدات .

تابع عموس وأوديسيوس على مهل، إلى أن اقتربا أخيراً من قصر أوديسيوس . ومن هناك ترددت أصوات الغناء والقيثارة . وكانت مأدبة الخطاب في

ذروتها، دخل عموس وأوديسيوس باحة القصر، وهما يتحادثان بصوت عال. وهناك بالقرب من البوابة كان يرقد أرغوس العجوز، كلب أوديسيوس. وما إن سمع الكلب صوت سيده حتى أصاخ السمع. وإذا أحس أرغوس المخلص بوجود سيده هم بالوقوف، وهويصبص بذيله، لكي يندفع للقائه، لكنه كان قد أصبح عاجزاً عن الحركة. كان الكلب العجوز على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن تخلى عنه الجميع. وقد تعرف أوديسيوس على صديقه المخلص أرغوس، فتدحرجت دمعة من عينه، لكنه مسحها بيده بسرعة كي لا يراها عموس. اختلج أرغوس ونفق. منذ عشرين عاماً وهويبتظر سيده، وقد عرفه فوراً حتى وهو متنكر في زي شحاذ.

كان عموس أول من دخل قاعة الاحتفالات، وجلس بجوار تليياخ. ثم تلاه أوديسيوس، لكنه لم يذهب إلى حيث الضيوف، بل جلس قرب المدخل. وقد استند إلى الباب، وعلى الفور أخذ تليياخ الخبز واللحم وأوعز بحمله إلى أوديسيوس، وأن يقال له أن يذهب إلى الضيوف بكل جرأة، ويطلب الصدقات. نهض أوديسيوس، وراح يطوف على الضيوف، فأعطاه الجميع إلا أنطينوس، الذي رفض، لكن أوديسيوس راح يلح عليه في طلب الصدقة. فغضب أنطينوس القاسي الجلف، وطرده أوديسيوس عنه. ابتعد أوديسيوس عنه متمتماً:

- نعم إنني أرى أن عقلك ليس جيداً. مثل وجهك، مادمت ترضن بإعطائي، ولو قشرة خبز، سيما وأنه ليس خبزك.

تملك الغضب أنطينوس، وأمسك بمقعد، وقذف به أوديسيوس بكل ما أوتي من قوة، فأصابه في ظهره، لكن أوديسيوس لم يتحرك بسبب الضربة الشديدة، بل ظل واقفاً كالطود الراسخ، واكتفى بأن هز رأسه مهدداً، ثم عاد، فجلس قرب الباب وهويقول:

- لاضير في أن يتحمل المرء الضرب دفاعاً عن رزقه. وإذا كانت الإيرينات،

ربات الانتقام تحمي الشحاذين أيضاً، فإن الموت هو ما ينتظر أنطينوس هنا،
بدل الزواج .

وتفارق غضب أنطينوس حين سمع كلام أوديسيوس، لكن الخطاب راحوا
يلومونه لأنه أهان ابن السبيل، الذي جاء إلى هذا البيت، وكم من الآلهة
الخالدين يأتون إلى البشر متنكرين في زي أبناء السبيل. تألم تلياخ كثيراً وهو يرى
الإهانة التي وجهها أنطينوس لأبيه، لكنه تذكر ما اتفق عليه مع أبيه، فكظم
غيطه .

وبدورها عرفت بنلوبة كيف أهان أنطينوس الشحاذ المسكين، فازداد كرهها
لأنطينوس الوقح، ثم نادى عموس، وراحت تسأله عن الشحاذ، وحين عرفت
أنه سبق لأوديسيوس أن حل ضيفاً على والده صاحت :
- إنني على ثقة أن أوديسيوس وتلياخ سينتقمان من الخطاب انتقاماً قاسياً حين
يعود أوديسيوس .

وما إن قالت بنلوبة هذا حتى عطس تلياخ بصوت عال، ففرحت بنلوبة
بهذه العلامة، وأصبحت الآن على يقين أن زوجها سيفتك بالخطاب إن
عاجلاً أو آجلاً .

أوعزت بنلوبة لعموس أن يأتي بالشحاذ لكي تسأله عن أوديسيوس، بيد
أن أوديسيوس رفض الذهاب إلى بنلوبة الآن، وطلب انتظاره حتى المساء، كي
لا يزيد من حنق الخطاب. وافقت بنلوبة على الانتظار،
أصبحت مآدبة الخطاب أكثر صخباً .

حل الليل، وكان عموس قد انصرف إلى داره منذ وقت طويل، أما
الخطاب فلم يكونوا قد انصرفوا بعد. وفجأة ظهر بالباب شحاذ معروف في إيثاكة
كلها بنهمه وسكره. كان اسمه إيروس. وحين رأى إيروس أوديسيوس بالباب راح
يطرده، لكن أوديسيوس لم ينصرف. وحينذاك بدأ إيروس يهدده بالضرب إن هلم

ينصرف حالاً . بدأ الجدال بينهما . وقد سمع جدهما أنطينوس ، ورغبة منه في أن يتسلى هو والخطاب قرر إرغام إيروس على قتال الغريب . وقد وعد بمكافأة الفائز بإمعاء ما عزم مشوية ، والسماح له بالقدوم يومياً لجمع الصدقات . التف الخطاب من حول إيروس وأوديسيوس وراحوا يجرضونها على المبارزة . وافق أوديسيوس على القتال ، لكنه جعل الخطاب يقسمون سلفاً أنهم لن يساعدوا إيروس . وقد أقسم الخطاب اليمين . وحينذاك خلع أوديسيوس أسماه ، وتمنطق بها . وراح الخطاب ينظرون ذاهلين إلى جسم أوديسيوس القوي ، وإلى يديه ذات العضلات البارزة ، وإلى صدره العريض وكتفيه . دب الخوف في نفس إيروس ، لكنه لم يعد قادراً على الانسحاب ، لأن العبيد أمسكوا به ، ثم وضعوه في مواجهة أوديسيوس . كان إيروس بالكاد يقف على قدميه من شدة خوفه . وفكر أوديسيوس ، بعد أن نظر إليه : هل أقتله بقبضتي ، أم اكتفي برميته أرضاً ؟ وقرر أوديسيوس أن الضربة القاضية قد تثير الريبة في نفوس الخطاب ، ولذا فحين ضربه إيروس على كتفه ضربه بدوره على رأسه فوق أذنه . فوقع إيروس على الأرض ، وراح يصرخ من شدة الوجع . أما أوديسيوس فقد قبض عليه من رجله ، وأخرجه من قاعة الاحتفالات إلى الباحة ، وهناك أجلسه إلى الجدار قرب البوابة ، ورمى بحقيبته الممزقة على كتفه ، ووضع العصا في يده . وهكذا لقن أوديسيوس إيروس درساً لأنه أراد بكل وقاحة أن يطرده من بيته . سر الخطاب من أوديسيوس لأنه خلصهم من إيروس ثقيل الظل . وقد هنا وه مرحبين بفوزه ، أما أمفينوموس فقد قدم لأوديسيوس قدحاً من النبيذ متمنياً له أن يرزقه الآلهة الثروة والسعادة من جديد . كان أمفينوموس غالباً ما يمنع الخطاب من العريضة ، ويدافع عن تليباخ باستمرار . ورغبة من أوديسيوس ، الذي كان يعرف ذلك ، في إنقاذ أمفينوموس ، فقد نصحه بالذهاب إلى بيته . لأن أوديسيوس لن يلبث أن يعود فيفتك بجميع الخطاب ، لكن أمفينوموس لم يصغ لنصيحة أوديسيوس ، وقد سعى إلى حتفه بظلمه .

وفي هذا الوقت دفعت أثينا بالاس بنلوبه للخروج إلى الخطاب لكي تزيد من حماسهم على الزواج بها. ولكي يزداد تقدير أوديسيوس وتليماخ لاختلاصها وحبها لهما. وللحال نادى بنلوبه أورينومة، وأمرتها بدعوة الوصيفتين، اللتين كان عليهما أن ترافقاها إلى الخطاب في قاعة الاحتفالات. ولدى خروج أورينومة جعلت الربة أثينا بنلوبه تذهب في إغفاءة قصيرة، وفي الحلم وهبتها من الحسن والجمال ماجعلها تتألق مثل ربة الحب أفروديت. أيقظت الوصيفتان بنلوبه، فهضت وذهبت إلى الخطاب، الذين راحوا ينظرون إلى زوجة أوديسيوس بكل إعجاب. أما بنلوبه فقد استدعت تليماخ، وراحت تلومه لأنه سمح بإهانة الغريب المسكين في داره. وأصغى تليماخ إلى تقرير والدته بكل خضوع. ومن بين الخطاب انبرى أوريماخ يمتدح جمال بنلوبه. أصغت بنلوبه لإطرائه، ثم قالت أنها لم تعد تتمتع بالجمال الغابر، وأنها فقدته منذ غادرها أوديسيوس، ولن تسترد جمالها إلا بعد أن يعود إليها أوديسيوس. وراحت بنلوبه توبخ الخطاب لأنهم يرغمونها على الزواج، الذي تكرهه، بأحدهم. ويجرون على دار أوديسيوس الافلاس بسبب مآذهم. وهذا ما لم يكن يحدث في الأزمنة الغابرة حين كان الخطاب يحاولون بهباتهم أن يستميلوا العروس للزواج، ولم يكونوا يبذرون أرزاق الآخرين. أرسل الخطاب خدمهم لإحضار الهدايا السخية، ثم قدموها لبنلوبه، ظناً منهم أنهم يستميلونها بذلك للزواج. تقبلت بنلوبه الهبات بصمت، ثم انصرفت إلى مخدعها.

لم تكذب بنلوبه تنصرف حتى أمر الخطاب الوصيفات بجلب ثلاثة قناديل كبيرة، وإشعال النار فيها، لكي يصبح النور ساطعاً في قاعة الاحتفالات. نفذت الوصيفات الأمر. أما أوديسيوس فقد قال للوصيفات أن يذهبن وينصرفن لأشغالهن، وسيقوم هو بالعناية بالقناديل. لكن إحداهن - ميلانتو - راحت تسخر منه وتشتمه. وهنا هدد أوديسيوس الوصيفة الوقحة بأنه سيشكوها إلى بنلوبه.

خافت الوصيفات من هذا التهديد، وخرجن بسرعة. أما أوديسيوس فقد راح يعتنى بنار القناديل. وبغية تسليية الخطاب راح أوريياخ يسخر من أوديسيوس بقوله:

- إنني أرى أن أحد الآلهة أرسل لنا هذا الغريب كي تكون مادبتنا أكثر نوراً. ليس القنديل مصدر النور، بل إنه يأتي من رأسه. الذي لا توجد عليه شعرة واحدة.

ضحك الخطاب، أما أوريياخ فزاد من تهكمه من أوديسيوس، لكن أوديسيوس رد عليه بكل هدوء:

- إن غرورك كبير يا أوريياخ، لكنك تتصور أنك قوي فقط لأنك محاط بالضعفاء، ولو أن أوديسيوس يعود الآن لكانت عودته الطامة الكبرى بالنسبة لك، فهذا الباب - على اتساعه - كان سيدولك في منتهى الضيق - لشدة عجلتك في الهرب.

غضب أوريياخ، وتناول مقعداً، وقذف به أوديسيوس بكل قوته، لكن أوديسيوس حاد عن الضربة بمهارة، فوقع المقعد على يد أحد العبيد، حامل النبيذ، فسقط على الأرض وهويثن، وارتمى القدرح من يده. ازداد صخب الخطاب. كانوا غاضبين لأن المشاحنات الدائمة بدأت في مادبتهم منذ ظهور هذا الغريب. لكن تليياخ قال أن سبب المشاحنات لا يكمن هنا بل في أن الجميع سكارى وقد آن الأوان لإنهاء المأدبة. وعلى الرغم من أن الخطاب تضايقوا من قول تليياخ فإنهم اضطروا لإنهاء المأدبة.

حين تفرق جميع الخطاب قال أوديسيوس لتليياخ أنه يجب الآن نقل كل الأسلحة من قاعة الاحتفالات. دعا تليياخ أوريكليا، وأمرها بأن توصل الأبواب على جميع الخادمت لكي لا ترى أي منهن عملية إخراج السلاح. نفذت أوريكليا أوامر تليياخ. بدأ أوديسيوس وتليياخ إخراج السلاح. أما الربة أثينا فقد

راحت تنير الدرب لهما، بواسطة مصباحها، دون أن تظهر للعيان. دهش تليماخ، وهو يرى النور يغمر المكان، دون أن يكون هناك مصباح. فسأل أوديسيوس عن مصدره، لكن أوديسيوس حذر على ولده السؤال، خوفاً من أن تغضب الربة من كثرة أسئلة تليماخ. بعد الانتهاء من نقل السلاح ذهب أوديسيوس إلى بنلوبه، وكانت تنتظره بفارغ الصبر لكي تسأله عن أوديسيوس. أما تليماخ فقد ذهب إلى مخدعه، ونام قرير العين.

أوديسيوس وبنلوبه

حين ذهب تليماخ للنوم جاءت بنلوبه إلى قاعة الاحتفالات بصحبة وصيفاتها. وعند الموقد وضعت الوصيفات لسيدتهن كرسيًا من العاج، المَطَّعم بالفضة، ورحن ينظفن المائدة التي كان يجلس إليها الخطاب. ومن جديد راحت الوصيفة ميلانتوتشتم أوديسيوس، وتطرده من البيت، وتهده برميته بالجمر المتوهج إن لم ينصرف. لكن أوديسيوس نظر إليها بتجهم وقال:

- لماذا أنت غاضبة مني؟ إنني شحاذ حقاً. تلك كانت قسمتي، لكن كان هناك وقت كنت فيه غنياً، بيد أنني فقدت كل شيء بمشيئة زوس. ولربما تفقدين أنت أيضاً عما قريب جمالك. فتكرهك سيدتك. انتبهى سيعود أوديسيوس، وستدفعين ثمن وقاحتك. وإن لم يعد فإن تليماخ في البيت، وهو يعرف كيف تتصرف الوصيفات، ولا يخفى عليه شيء.

سمعت بنلوبه كلام أوديسيوس فقالت لميلانتوغاضبة:

- إنك حانقة على الجميع، لكانك كلب شرس. إنني أعرف كيف تتصرفين، وستضطرين لأن تدفعي رأسك ثمن سلوكك. ألا تعرفين أنني أنا من استدعى هذا الغريب إلى هنا؟

أمّرت بنلوبية بوضع كرسي للغريب قرب الموقد ، وحين جلس بجوارها راحت تسأله عن أوديسيوس . وحدثها الغريب بأنه سبق لأوديسيوس أن حل عليه ضيفاً ، حين فاجأته العاصفة في طريقه إلى طروادة ، فاضطر للرسو إلى شواطئ كريت . بكت بنلوبية حين سمعت أن الغريب رأى أوديسيوس منذ عشرين عاماً . وللتأكد من صحة كلامه سألته عن لباس أوديسيوس آنذاك . ولم يكن بأسهل على الغريب من أن يصف ثيابه هو فراح يصفها بأدق التفاصيل . وصدقت بنلوبية كلامه ، أما الغريب فقد راح يؤكد لها أن أوديسيوس حي يرزق ، وأنه كان منذ عهد قريب في أرض التسفروتيين ، وأنه ذهب من هناك قاصداً دودون^(٤٣) ليستوحي عراف زوس .

وأضاف الغريب :

- قريباً سيعود أوديسيوس ، ولسوف يعود قبل نهاية العام ، قبل دخول القمر القديم المحاق وولادة القمر الجديد .

كانت بنلوبية تتوق بكل جوارحها لأن تصدق كلامه ، لكنها لم تستطع : فكم من الأعوام أمضت بانتظار أوديسيوس دون أن يعود . أو عزت بنلوبية للوصيفات بإعداد متكأ لين للغريب ، فشكرها أوديسيوس ، وطلب من أوريكليا العجوز أن تغسل له قدميه قبل ذلك .

وافقت أوريكليا بكل طيبة خاطر على أن تغسل للغريب قدميه : فقد كان بقامته ، وقيافته وحتى بصوته يذكرها بأوديسيوس ، الذي كانت حاضنته في الزمن الغابر . جلبت أوريكليا الماء في طست من النحاس ، وانحنت لكي تغسل قدمي الغريب . وفجأة رأت أثر الجرح على قدمه . كانت تعرف هذا الأثر جيداً . ففي إحدى المرات ، وبينما كان أوديسيوس يصطاد مع أبناء أوتوليف^(٤٤) على سفوح البارناس ، هاجمه الخنزير البري ، وأصابه بجرح بليغ . تعرفت أوريكليا على

أوديسيوس بهذا الأثر. ومن فرط ذهولها قلبت طست الماء، وترقرقت عيناها بالدموع، وقالت بصوت يرتجف من شدة الفرح:

- أوديسيوس، أهذا أنت يا بني؟ وكيف لم أعرفك قبل ذلك!
همت أوريكليا بأن تخبر بنلوبة بأن زوجها قد عاد أخيراً، لكن أوديسيوس عاجل بكم فمها بيده، وقال لها بصوت خافت:

- نعم إنني أوديسيوس، الذي ربيت. لكن اسكتي، ولا تنفسي سري وإلا قضيت علي. إياك أن تخبري أحداً بقدمي، وإلا أنزلت بك العقاب القاسي، ولن أرحمك، وإن كنت مربيتي.

أقسمت أوريكليا على الحفاظ على السر. وقد ذهبت، والدنيا لاتسعها من فرط السرور، فجلبت طستا آخر من الماء، ثم غسلت قدمي أوديسيوس. ولم تلاحظ بنلوبة ما حصل، فقد شغلته الربة أثينا عن ذلك.

حين عاد أوديسيوس، وجلس إلى النار من جديد، راحت بنلوبة تشكو لها حظها العاثر، كما قصت عليه الحلم الذي رأت قبل قليل. فقد رأت فيما يرى النائم وكان نسراً مزق كل مالدتها من أوزناصع البياض، وقد شاطرها حزنها على هذه الأوزات جميع نساء إيثاكة. لكن النسرم يلبث أن عاد، وحط على سقف القصر، ونطق بصوت بشري: «هذا ليس حلماً يا بنلوبة، بل علامة على ماسيحدث. فالأوز هم الخطاب، أما أنا فأوديسيوس الذي لن يلبث أن يعود».

وقال أوديسيوس لبنلوبة أن حلمها، كما ترى، في غاية الوضوح، ولا داعي لتفسيره. لكن بنلوبة لم تصدق أن أوديسيوس سيعود أخيراً. وأخبرت الغريب أنها قررت في اليوم التالي أن تمتحن الخطاب: تخرج قوس أوديسيوس، وتعرض على الخطاب أن يشدوه ويصيبوا الهدف، ولسوف تختار من يقوم بذلك زوجاً لها. وكانت نصيحة الغريب لبنلوبة أن لاتؤجل هذا الاختبار، ثم أضاف:

- قبل أن يشد أي من الخطاب القوس، ويصيب الهدف يكون أوديسيوس قد عاد.

لم يكن يخطر لبندوبة ببال أنها، وهي تتحدث إلى هذا الغريب، إنما تتحدث إلى أوديسيوس. كان الوقت قد تأخر. فهضت بندوبة، وذهبت إلى مخدعها، وهناك جعلتها الربة أثينا تنام قريرة العين.

أما أوديسيوس، الراقد على فراش من جلد الثور، وجزات الغنم، فقد مضى عليه وقت طويل وهو لا يستطيع أن يجد للشوم سبيلاً. كان لا يكف عن التفكير بكيفية الانتقام من الخطاب. اقتربت الربة أثينا من فراشه، وطمأنته بأن وعدته بمساعدتها، وقالت له أن كل مصائبه ستنتهي عما قريب.

أخيراً جعلت الربة أثينا أوديسيوس يغفو، لكنه لم ينم طويلاً، فقد استيقظ على نحيب بندوبة، التي كانت تشكو من عدم عودة زوجها. نهض أوديسيوس، وبعد أن رتب فراشه، خرج إلى الباحة، وراح يصلي لزوس أن يرسل له علامة طيبة في الكلمات الأولى التي سيسمعها هذا الصباح. سمع زوس دعاء أوديسيوس، فتردد هزيم الرعد في السماء. وكانت أولى الكلمات التي سمعها أوديسيوس ماقالته الوصيفة، التي كانت تطحن الدقيق على المطحنة اليدوية، كانت تتمنى أن يكون هذا آخر يوم يحتفل فيها الخطاب في دار أوديسيوس. وفرح أوديسيوس، فقد كان يعرف الآن أن زوس قاذف الصواعف سيساعده في الانتقام من الخطاب.

انتقام أوديسيوس من الخطاب:

عند الصباح دخلت الوصيفات قاعة الاحتفالات بعدد كبير وبدأن بترتيبها لآحياء مأدبة الخطاب. أرسلت أوريكليا الوصيفات لجلب الماء. وأوعزت

بتنظيف الأرضية، وبوضع الأغطية الأرجوانية الجديدة فوق المقاعد، وغسل الأواني. ولم يلبث تليهاخ أن خرج من مخدعه، وذهب قاصداً ساحة المدينة، بعد أن سأل أوريكليا كيف أمضى الغريب ليلته. جلب عموس، فيلوثيوس وملانثيوس الماعز والأغنام والخنازير وبقرة لنحرها في مأدبة الخطاب. سلم عموس وفيلوثيوس على الغريب ببشاشة، ورثيا له لأنه مضطر للتطواف في العالم مشرداً. وتذكر فيلوثيوس سيده أوديسيوس فأشفق عليه.

كان، وهو ينظر إلى هذا الغريب، يتساءل: هل يعقل أن سيده أيضاً مرغم على التطواف مشرداً في أرض الغرب؟ وراح عموس وفيلوثيوس يصليان للآلهة أن يعيدوا أوديسيوس إلى بيته. أراد أوديسيوس أن يطمئن خادميه المخلصين، فقال مخاطباً فيلوثيوس:

- أقسم لك بزوس العظيم وبالموقد المقدس في قصر أوديسيوس أنك لن تلحق أن تنصرف من هنا حتى يعود أوديسيوس إلى داره، ولسوف ترى كيف سينتقم من الخطاب المشاغبين.

إذا كان عموس وفيلوثيوس بشوشين مع الغريب فإن ملانثيوس الجلف قد عاد يوجه له الإهانات، ويهدده بالضرب إن لم يغادر دار أوديسيوس. لم يقل أوديسيوس لملانثيوس شيئاً، بل اكتفى بأن عبس في وجهه.

أخيراً بدأ الخطاب يتوافدون، كانوا ينوون قتل تليهاخ، لكن العلامة التي أرسلها الآلهة منعتهم من ذلك. جلس الخطاب إلى الموائد وبدأت المأدبة. وقد وضع تليهاخ مقعداً وطاوله بالباب لأوديسيوس، وأوعز بتقديم الطعام والخمرة له، ثم قال ابن أوديسيوس متوعداً:

- أيها الغريب! اجلس هنا، واحتفل مطمئناً مع ضيوفي. واعلم أنني لن أسمح لأي كان بإهانتك. فداري ليست حانة، حيث يجتمع من هب ودب، بل انها قصر الملك أوديسيوس.

سمع أنطينوس كلام تليماخ فصاح بصفاقة :

- أيها الأصدقاء! فليهددنا تليماخ كما يحلولة! فلولم يرسل لنا زوس علامته المتوقعة إذن لفتكنا به، ولما كان بمقدوره أن يبقى هذا الثرثار المقيت .
لم يرد تليماخ على هذا السعيد بشيء، بل بقي جالساً بصمت، بانتظار الإشارة المتفق عليها مع أوديسيوس . وزادت الربة أثينا من عريضة الخطاب، لكي يزداد التعطش للانتقام في صدر أوديسيوس . وصاح أحد الخطاب، وهو ستيسبوس، وقد حرضته أثينا:

- اسمعوا إلى ماسأقول لكم! لقد حصل الغريب من تليماخ على الكثير من الطعام والخمرة . وعلينا نحن أن نعطيه شيئاً ما . لقد حضرت له هبتي .
قال ستيسبوس ذلك، ثم تناول كراع البقرة، ورمى به أوديسيوس بقوة .
وبالكاد لحق أوديسيوس أن يجيد عن الضربة . وصاح تليماخ بستيسبوس متوعداً:
- من حسن حظك أن ضربتك جاءت طائشة، وإلا لكنت قد طعنتك طعنة صائبة برمحي، مما كان سيرغم والصدك على أن يحتفل ليس بزفافك، بل بدفئك، إنني أعود وأقول لكم جميعاً إنني لن أسمح بإهانة الضيوف هنا، في داري .

لم يرد الخطاب عليه بشيء، أما أجيل فقد راح ينصحهم بالتوقف عن إهانة الغريب .

وبغثة أثارت الربة أثينا ضحكاً مجنوناً لدى الخطاب، وأصابتهم بمس . فراحوا يضحكون بشكل وحشي، وشحبت وجوههم، وترقرقت الدموع في عيونهم، وحط السأم على قلوبهم عبثاً ثقيلاً، وراحوا يلتممون اللحم النيء، كالوحوش الكاسرة؛ وراح الخطاب، في ثورة جنونهم، يسخرون من تليماخ، لكن تليماخ ظل يجلس صامتاً، دون أن يولي سخريتهم اهتمامه . وفي مخدعها سمعت بنلوبه صرخات الخطاب المجنونة، خلف المائدة العامرة .

أخيراً نهضت بنلوبة، ودخلت إلى الشونة، حيث كانت تحتفظ بكنوز أوديسيوس. وهناك أخذت قوسه المشدودة، وكانت هذه القوس في السابق لأوريتوس^(٥)، وقد أهداها ابنه ايفيتوس إلى أوديسيوس، أخذت بنلوبة القوس وألعبت الملاهي بالسهام، وذهبت إلى قاعة الاحتفالات. وقالت للخطاب، وقد وقفت هناك بجوار العمود:

- اصغوا إلي. لقد جئتم بقوس أوديسيوس، فمن منكم يشدها، ويطلق السهم بحيث يمر عبر اثني عشرة حلقة، سأختاره زوجاً لي.

ناولت بنلوبة قوس أوديسيوس لعموس، الذي بكى بلوعة، حين رأى قوس سيده، ثم حملها إلى الخطاب. كما بكى فيلوثيريوس المخلص. وغضب الخطاب منها لأنها يذرفان الدمع على أوديسيوس. أما تليباخ فقد راح يغرز العصي، ذات الحلقات في الأرض. كان يريد أن يكون أول من يرمي من القوس، وقد حاول ثلاث مرات شد الوتر، لكنه لم يتمكن. وهم بأن يقوم بالمحاولة الرابعة، لكن أوديسيوس هزله برأسه، فتوقف تليباخ عن محاولاته. وراح الخطاب كل بدوره يحاول شد القوس. وكان ليوذ أول من حاول، لكنه لم يستطع حتى ثني القوس، فقد كانت قاسية جداً، وحينذاك نادى انطينوس ملانثوس، وأمره بجلب الشحم لمسح القوس. وقد اعتقد انطينوس أن مسحها بالشحم سيجعل ثنيها أسهل. لكن محاولات الخطاب كانت عقيمة، فلم يستطع أي منهم شد الوتر.

وفي هذا الوقت خرج عموس وفيلوثيريوس من القاعة، ثم خرج أوديسيوس في أثرهما. وفي الفناء أوقف الخادمين المخلصين وكشف لهما هويته، بعد أن أراهما الندب على ساقه، من أثر الجرح، الذي تركه الخنزير البري. ولاتسل عن فرح عموس وفيلوثيريوس، اللذين راحا يغطيان يديه وقدميه بالقبلات. هداً أوديسيوس خاطرهما، ثم أوعز لعموس أن يذهب في اللحظة، التي يأخذ فيها القوس، إلى أوريكليا، ويقول لها أن توصلد الأبواب على الخادومات، ولاتسمح لهن بالخروج.

أما فيلوثيوس فقد أمره أوديسيوس بأن يوصد البوابة بشكل محكم . بعد أن أصدر هذه الأوامر عاد أوديسيوس إلى قاعة الاحتفالات ، وجلس بكل هدوء في مكانه لدى الباب .

حين عاد أوديسيوس كان أوريماخ يسخن القوس فوق النار، بعد أن مسحها بالشحم . حاول أوريماخ ، بعد أن سخن القوس ، أن يشيها لكنه لم يتمكن . وإذ رأى الخطاب أن كل محاولاتهم عقيمة قرروا ترك القوس ، على أن يعودوا إلى محاولاتهم في اليوم التالي ، ويتابعوا المأدبة الآن . وحينذاك طلب أوديسيوس من الخطاب أن يأذنوا له بشد القوس . وحين سمع الخطاب هذا الطلب راحوا يهزأون به . وكانوا في قرارة أنفسهم يخشون أن يتفوق هذا الغريب عليهم . وأصرت بنلوبه على أن تعطى القوس للغريب ، وقد قاطعها تليماخ : فقد طلب من والدته أن تعود إلى مخدعها ، كما أمر عموس بتقديم القوس لأوديسيوس . أطلق الخطاب صيحة مجنونة ، حين حمل عموس القوس إلى أوديسيوس . فخاف عموس ، لكن تليماخ صرخ به متوعداً . أسرع عموس ، بعد أن ناول القوس لأوديسيوس ، إلى أوريكليا ، وبلغها أوامر أوديسيوس : أما فيلوثيوس فقد أوصد البوابة بإحكام .

تناول أوديسيوس قوسه ، وراح يتفحصها باهتمام ، كما يتفحص المنشد قيثارته ، وهو يستعد للانشاد . وبدون أي جهد ثنى أوديسيوس قوسه ، وشد الوتر ، ومن ثم داعبه باصبعه ليعرف ما إن كان مشدوداً ، فرن الوتر يشكّل مخيف . شحبت وجوه الخطاب ، ومن السماء تردد قصف الرعد ، إنها علامة أرسلها زوس إلى أوديسيوس ، فامتلاً قلبه فرحاً . أخذ أوديسيوس سهماً ، وأطلقه على الهدف دون أن يتحرك من مكانه ، فمر السهم عبر الحلقات الاثنتي عشرة كلها . وصاح أوديسيوس مخاطباً تليماخ :
- لم يخذلك ضيفك ياتليماخ . لقد رأيت أنني لم أبذل كبير جهد في ثني القوس .

كلا إني قوتي لاتزال على عهدها . والآن ستعزف في الحفلة عندنا قيثارة من نوع آخر .

أعطى أوديسيوس تليماخ الإشارة بأن قطب حاجبيه . تمنطق تليماخ بسيفه ، وأخذ الرمح بيده ، ثم وقف بجوار أوديسيوس .

ألقى أوديسيوس بأسناله ، ووقف على العتبة ، ثم أفرغ السهام من الجعبة على الأرضية عند قدميه ، وصرخ بالخطاب :

لقد أصبت الهدف الأول ، والآن وقع اختياري على هدف جديد ، لم يسبق لأحد أن أطلق السهام عليه . ولسوف يساعدي أبولون النبال في إصابته .

هكذا صاح أوديسيوس ، ثم أطلق سهمه على أنطينوس ، فأصابه السهم في عنقه ، واخرقه في اللحظة التي كان فيها أنطينوس يهيم بشرب قدح النبيذ . ترنح أنطينوس ، وهوينزف دماً ، ودفع بالطاولة ، فقلبها ، ووقع ميتاً . وثب الخطاب ، وهم يصرخون ، واندفعوا إلى حيث كان سلاحهم معلقاً على الجدران ، لكنهم لم يجدوا له أثراً ، أما أوديسيوس فقد عاد يصرخ بهم متوعداً :

- أيتها الكلاب الحقيرة ! كنتم تظنون أنني لن أعود؟ وأنكم ستتهبون دون عقاب؟ كلا ، فالهلاك الآن ينتظركم جميعاً .

عشاً راح أورياخ يتوسل إلى أوديسيوس أن يرأف بهم ، ويأخذ منهم تعويضاً سخياً عن كل ما نهبوا ، لكن أوديسيوس لم يرغب في سماع أي شيء . كان يهفوللانتقام بكل كيانه . وأدرك الخطاب أن عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم . فامتشقوا سيوفهم ، وراحوا يحاولون الاحتباء من سهام أوديسيوس خلف الطاولات . انقض أورياخ على أوديسيوس شاهراً سيفه ، لكنه سقط على الأرض بعد أن أصيب بسهم قاتل . وأغار أمفينوموس على أوديسيوس ، لكن تليماخ جتدله برمحه . وبعد أن قتل تليماخ أمفينوموس جرى لإحضار السلاح . فأخرج من الشونة أربع خوذات وأربعة تروس وثمانية رماح لأوديسيوس ، لنفسه ،

لعموس ولفيلوثيوس . وبينما كان تليباخ يجلب السلاح كان أوديسيوس يطلق السهم تلو السهم على الخطاب . وكان كل سهم يحمل الموت الزؤام للخطاب ، الذين كانوا يتساقطون ، الواحد تلو الآخر . وهاقد عاد تليباخ ومعه السلاح فتسلح أوديسيوس ، ويجواره وقف تليباخ ، عموس وفيلوثيوس وهم يلوحون برماحهم .

لاحظ ملانثيوس الخائن تليباخ وهو يذهب لجلب السلاح ، فتسلل إلى الشونة خفية ، وجلب منها اثني عشر ترساً وريحاً . لأن تليباخ ، الذي كان في عجلة من أمره ، ليعود إلى أبيه ، نسي أن يوصد باب الشونة . وهكذا فقد تسلح الخطاب بدورهم ، وخاف أوديسيوس إذ رأى ذلك ، وأدرك أن أحدهم جلب السلاح لهم . ولحسن الحظ أن عموس لاحظ ملانثيوس وهو يتسلل لجلب السلاح ، وأخبر أوديسيوس بذلك ، فأمر أوديسيوس عموس وفيلوثيوس بالإمساك بملانثيوس في الشونة وزربه فيها ، بعد شد وثاقه بإحكام . تسلل عموس وفيلوثيوس إلى الشونة بكل هدوء ، ولدى خروج ملانثيوس بالسلاح أمسكا به ، ورمياه أرضاً ، ثم لونا ذراعيه خلف ظهره ، وشدا وثاقه ، ثم ربطاه إلى عارضة السقف في الشونة ، وقالا له ساخرين :

- والآن احرس السلاح ياملانثيوس . لقد دبرنا لك فراشاً وثيراً ، ولن تتأخر في النوم الآن فيفوتك طلوع الفجر .

بعد ذلك أخذوا السلاح ، وأسرعوا لنجدة أوديسيوس ، الذي كان في هذا الوقت يحاول مع تليباخ وقف هجوم الخطاب .

وفي هذه اللحظة تجلت الربة أثينا بالاس لأوديسيوس في هيئة منطور ، فراح أوديسيوس يهيب بمنطور أن يمد له يد العون ، أما الخطاب فراحوا يهددونه بالموت إن هو ساعد أوديسيوس . فاستجاب المنطور لطلبهم . فزاد غضب أثينا من الخطاب أكثر . وبعد أن وبخت أوديسيوس لأنه

لا يقاتل الخطاب بالبسالة، التي قاتل بها عند أسوار طروادة، تحولت فجأة إلى سنونو، حلقت عالياً، ثم حطت على عارضة فوق الخطاب. ثلاث مرات هاجم الخطاب أوديسيوس، وتليماخ والخادمين المخلصين، وهم يقذفونهم بالرماح، لكن أثينا كانت تُثني رماح الخطاب.

أما أوديسيوس وزملاؤه فكانوا يصرعون أربعة خطاب في كل مرة. وحين طعن فيلوثيروس ستيسبوس بالرمح فقتله صاح منتشياً بالنصر:
- والآن سوف تلوذ بالصمت أيها الوقح كثير الشتائم! لقد أعطيتك هدية رائعة لقاء كراع البقرة ذاك، الذي قدمته لأوديسيوس.

راح الخطاب يتساقطون الواحد تلو الآخر، وقد أصيبوا إصابات قاتلة. وفجأة لوحث أثينا بترسها الرهيب فوق رؤوسهم، فدب الذعر في قلوبهم، وبدأوا يروحون ويحيثون كالمجانين - على غرار اندفاع الثيران في المراعي حين يلسعها في الصيف سرب كامل من ذباب البقر. وكما تفتك النسور بالحمام كذلك كان أوديسيوس وتليماخ، عموس وفيلوثيروس يجندلون الخطاب. أثار الخطاب، وهم يلاقون حتفهم، ضجة مخيفة، لم يجدوا لأنفسهم مكاناً يخبثون فيه. هرع ليوذ إلى أوديسيوس، وراح يتوسل إليه الرحمة، لكن أوديسيوس لم يراف به، ولم يعف أوديسيوس إلا عن المنشد فيميوس، الذي كان يغني للخطاب مكرهاً، وقد عفا عنه بناء على طلب تليماخ، كما عفا عن المنادي ميذون، الذي اختبأ تحت جلد بقرة... وأوعز أوديسيوس لفيميوس وميذون بالخروج إلى البهو، وانتظاره هناك. وراح أوديسيوس يتفحص المكان، لعلّ أحداً من الخطاب نجا بجلده، لكن لم ينبح منهم أحد.

وحينذاك أمر أوديسيوس بدعوة أوريكليا، التي جاءت حالاً، تلبية لنداء سيدها، فرأته مضرجاً بالدم، واقفاً بين جثث الخطاب، كالأسد وقد فتك بالثيران، أمر أوديسيوس باستدعاء تلك الوصيفات، اللواتي كن يقدمن المساعدة

للخطاب باستمرار، فاستدعت أوريكليا اثنتي عشرة وصيفة، جئن، وهن ينتحبن بصوت عال، ورحن، بناء على إيعاز أوديسيوس، ينقلن جثث الخطاب، ويضعنها بجوار بعضها في رواق القصر. ومن ثم غسلت الوصيفات قاعة الاحتفالات كلها. وحين أنجزن ذلك أمر أوديسيوس بقتلهن لما اقترفن من جرائم بحق أوديسيوس وبنلوبة، كما أعدم أوديسيوس الخائن ملانثيوس. أو عز أوديسيوس لأوريكليا بجلب مبخرة التطهير، ويخربها كل أنحاء قاعة الاحتفالات. احتشدت وصيفات أوديسيوس، وأحطن بسيدهن من كل جانب، يقبلن يديه ورجليه، فرحات بعودته، وبدوره بكى أوديسيوس، وهو يرى أهل بيته من جديد.

أوديسيوس يكشف هويته لبنلوبة (٤٦):

بينما كان جميع أهل بيت أوديسيوس يرحبون به هرعت أوريكليا إلى بنلوبة في مخدعها. فأيقظتها، وبشرتها بأن زوجها عاد أخيراً، وانتقم من الخطاب، فقتلهم عن بكرة أبيهم. لم تصدق بنلوبة ذلك، واعتقدت أن بنلوبة تسخر منها. لكن أوريكليا راحت تؤكد لسيدتها أن أوديسيوس عاد فعلاً، وأن ذلك الغريب، الذي تحدثت إليه بنلوبة طويلاً هو أوديسيوس، وأنها تعرفت عليه بالندب على ساقه، لكنه أمرها بإخفاء نبأ عودته حتى عن بنلوبة. لكن بنلوبة لم تستطع أن تصدق أن أوديسيوس استطاع قتل جميع الخطاب بمفرده. أخيراً وافقت بنلوبة على الذهاب إلى قاعة الاحتفالات. وحين جاءت القاعة لم تستطع أن تحزم أمرها فوراً هل تترقى في أحضان أوديسيوس، أم تسأله قبل ذلك لكي تقتنع تماماً بأن الغريب هو زوجها فعلاً. جلست بنلوبة بجوار الغريب، وراحت تنظر إليه باهتمام، تارة كان يبدو لها أنه أوديسيوس، وتارة يراودها الشك في ذلك. وحين رأى تليماخ تردد بنلوبة راح يلومها بقوله:

- هل يعقل يا أمي الحبيبة أن قلبك في صدرك شبيه بالحجر؟ فبعد لأي عاد زوجك، بينما تجلسين لاتنسين بنت شفة. بالكاد يمكن أن توجد في العالم كله زوجة أخرى يمكن أن تستقبل زوجها، العائد إليها بعد فراق طويل، مثل هذا الاستقبال البارد.

وردت بنلوبة على تليياخ بقولها:

- إنك ترى يابني أنني لا أستطيع من شدة انفعالي أن أنطق بكلمة واحدة، إذا كان الغريب أوديسيوس حقا فإن لدي أنا وأوديسيوس سراً نتعرف على بعضنا البعض بكشفه.

ابتسم أوديسيوس، وقال لتليياخ:

- لاتجعل والدتك تقلق يا ولدي! لسوف تقتنع أنني أوديسيوس بعد أن تسألني. من الصعب عليها أن تتعرف علي في هذه الأسمال. والآن يجب أن نقرر كيف لنا بكتم سر خبر موت الخطاب عن سكان المدينة، كي لا يحدث تمرد. فلقد قتل أنبل الشباب، ولسوف يسعى أقاربهم للانتقام منا.

أمر أوديسيوس جميع العبيد والوصيفات بأن يبدأوا الغناء والرقص والمرح على إيقاع قيثارة فيميوس، لكي يعتقد الجميع أن الاحتفال في القصر قائم على قدم وساق. وللحال نقذت أوامر أوديسيوس، وبالفعل فقد اعتقد جميع المارة بالقرب من القصر أن الاحتفال بزفاف بنلوبة إلى أحد الخطاب يجري في القصر. أما أوديسيوس فقد اغتسل، ولبس الثياب الفاخرة، ثم دخل القصر من جديد، وجلس مقابل بنلوبة. كانت أثينا قد وهبتة جمال الآلهة. ولكي يقنع أوديسيوس بنلوبة قرر أن يكشف لها السر، الذي لا يعرفه أحد غيرهما. نادى أوديسيوس أوريكليا، وأوعز إليها أن تعد له الفراش، لكن بنلوبة قالت لأوريكليا:

- حسناً، جهزي له الفراش، يا أوريكليا، لكن ليس في غرفة النوم، التي بناها

أوديسيوس بنفسه . اسحبني من غرفة النوم السرير الفاخر، وجهزي له الفراش عليه .

فصاح أوديسيوس :

- أيتها الملكة! من يستطيع أن يحرك السرير، الذي صنعهتة بنفسي من مكانه؟ فأنت تعرفين أنه مصنوع من جذع شجرة زيتون هائلة، كانت تنمو قرب القصر، وقد قطعت الشجرة بنفسي، وأحطتها بالجدار، وصنعت من الجذع سريراً، وزينته بالذهب والفضة والعاج . لكن لعل أحداً في غيابي قطع الجذع، وحرك السرير من مكانه؟

الآن عرفت بنلوبة أن الواقف أمامها هو أوديسيوس، وحدهما كانا يعرفان سر صنع هذا السرير . أجهشت بنلوبة بالبكاء، وارتمت في أحضان أوديسيوس، ثم راحت تقبله بحنان . وبدوره عانق أوديسيوس زوجته المخلصة وهو يبكي، وضمها إلى قلبه، وأغرقها بقبلاته، كما يقبل الغريق الأرض، بعد أن ينجومن العاصفة ويصل البر سالماً . أمضى أوديسيوس وبنلوبة وقتاً طويلاً متعانقين وهما يبكيان . وكان يمكن للفجر أن يجدهما على هذه الحالة لولا أن عمدت الربة أثينا إلى إطالة الليل ومنع إيوس الوردية الجناحين، إلهة الفجر، من الصعود إلى السماء .

غادر أوديسيوس وبنلوبة قاعة الاحتفالات، وذهبا إلى غرفة نومهما . أما تليماخ فقد أمر العبيد والوصيفات بالتوقف عن الغناء والرقص، وراح القصر كله في سبات عميق . وحدهما أوديسيوس وبنلوبة، لم يناما، فقد راح أوديسيوس يروي لها مغامراته، وراحت بنلوبة المخلصة تصغي إليه باهتمام . وبدورها حدثت زوجها بكل ما عانت من الخطاب في غيابه .

أرواح الخطاب في مملكة هادس^(٤٧):

استدعى الاله هرمس أرواح الخطاب بصولجانه الذهبي ، الذي يسلط به النوم على عيون الناس ، ويطرده النوم منها . طارت الأرواح خلف الاله وهي تطلق صراخ الشكوى . فكان صراخها يشبه صأصأة الخفافيش ، التي تندفع خائفة في الكهف المظلم ، حين يسقط أحدها عن الحجر الذي كان معلقاً عليه .

اندفعت أرواح الخطاب على شكل سرب مقتفية أثر هرمس ، عبر الدرب الكئيب . كان يقودها أبعد فأبعد ، ماراً بمياه الأوقيانوس الشائب ، ببوابة هليوس إله الشمس ، ببلاد آلهة الحلم ، بصخرة ليفكادا^(٤٨) ، إلى أن وصل بها أخيراً مرجاً مغطى بالاسفوديل^(٤٩) ، حيث كانت تقطن أرواح الموتى . كانت روح أخيل أول من التقت أرواح الخطاب ، وإلى جانبها كانت تسير أطيف باتروكليس ، أنتيلوخ وأجاس كس تيلامونيد ، وقد أحاطت بهم أرواح الخطاب . كما جاء إلى هنا طيف الملك أغاممنون . وفي محفل أرواح الخطاب تعرف طيف أغاممنون على روح أمفيدون ، الذي حل عليه أغاممنون ضيفاً في إيثاكة ، حين وصل إلى هناك لدعوة أوديسيوس للمشاركة في الحملة على طروادة . وسأل طيف أغاممنون روح أمفيدون :

- قل لي لماذا جئتم بهذا الحشد إلى مملكة الظلام هذه؟ هل لقيتم حتفكم في أثناء العاصفة ، أم أن الأعداء قتلوكم حينما نهبتم بيوتهم وسلبتم أرزاقهم .

فتحدث طيف أمفيدون كيف خطبوا ود بنلوبية ، ظناً منهم أن أوديسيوس لن يعود ، لكن بنلوبية كانت مخلصه لأوديسيوس ، ولم توافق على الزواج مطلقاً . أخيراً عاد أوديسيوس ، وانتقم منهم أشد الانتقام على شغبهم في داره وسرقة أرزاقه . فرحت روح أمفيدون أن أوديسيوس قد تغلب على كل المخاطر ، وذلكها بنجاح ، فصاحت :

- لكم أنت سعيد يا أوديسيوس الحبيب . لسوف تكون شهرة زوجتك المخلصة
بنلوبة عظيمة ، ولسوف يتغنون بها في الأغاني ، وتبقى ذكراها خالدة إلى الأبد ،
أما أنا فعلى العكس ، لقد خانتني زوجتي ، ولسوف تبقى ذكراها الفظيعة لدى
الناس إلى الأبد .

أوديسيوس عند ليرت (٥٠) :

في الصباح الباكر تسلح أوديسيوس ، تليماخ ، عموس ، فيلوثيروس بالدروع
البراقة والتروس والرماح ، ثم ذهبوا إلى ليرت . وكان أوديسيوس قد أمر بنلوبة
بعدم مغادرة القصر أبداً ، لأنه كان يعرف أن نبا قتل الخطاب سينتشر في المدينة
بسرعة . استطاع أوديسيوس ورفاقه بفضل الضباب الكثيف أن يتجاوزوا المدينة
بسرعة ، ويخرجوا إلى الفلاة ، ولم يلبثوا أن وصلوا بيت ليرت ، حيث كان يعيش
مع عبيده وخادمتة العجوز . أرسل أوديسيوس رفاقه إلى البيت ، وأمرهم بإعداد
المائدة ، أما هو فقد قصد الحديقة بحثاً عن ليرت . وجد أوديسيوس والده الكهل
منكباً على العمل . كان يظمر شجرة فتية . كانت ثياب ليرت كثيرة الرقع ، وكان
يلبس في قدميه صندلاً ، وكان رأسه مغطى بقبعة من جلد الماعز الرث ، وقد لبس
الأكمام على يديه . أجهش أوديسيوس بالبكاء إذ رأى والده . فقد شعر بالشفقة
على العجوز حين رآه يلبس كالشحاذا . تردد أوديسيوس ، ولم يعرف كيف
يتصرف - هل يكشف لوالده عن نفسه فوراً ، أم يخفي حقيقته عنه في البداية ليرى
إن كان سيتعرف عليه .

أخيراً قرر أوديسيوس أن يتصرف على النحو التالي : اقترب من والده ،
وتظاهر بأنه لا يعرفه ، ثم راح يتحدث معه كأنه عامل عادي . ويسأله عن صاحب

الحديقة واسم صاحب الدار. وعن نفسه روى أوديسيوس قصة مختلقة، وتظاهر بأنه أجنبي، ثم أضاف:

- لقد سبق لي أن استقبلت في داري أوديسيوس، وأجزلت له العطاء. والآن جئت أستمتع بحسن ضيافته. فهلا أخبرتني. هل أنا في جزيرة إيثاكة حقاً؟
تدحرجت دمعة كبيرة من عين الشيخ ليرت، وأجاب:

- إنك - أيها الغريب - في إيثاكة فعلاً، لكنك لن تصادف أوديسيوس هنا، فقد استولى الأشرار على داره. والأرجح أن أوديسيوس لقي حتفه، أما أنا فإنني والده، لكن هلا أخبرتني من تكون أنت؟ ومن أين جئت؟

ذكر أوديسيوس اسماً وهمياً، ومن جديد بدأ الحديث عن ملك إيثاكة، وقال أنه مرت خمس سنوات منذ أن حل أوديسيوس عليه ضيفاً. حزن ليرت إذ سمع هذا الكلام. أخذ التراب بيديه، ثم رشه على رأسه، وراح يئن من شدة حزنه. ولم يعد بمقدور أوديسيوس النظر إلى عذاب أبيه، فارتقى عليه، وعانقه وهو يصيح:
- أبي! إنني ابنك أوديسيوس، لقد عدت إلى إيثاكة بمشيئة الآلهة، فلاتبك. ولقد انتقمتم من الخطاب، الذين نهبوا بيتي.

لم يصدق ليرت ذلك فوراً، وطالب بالبرهان على أن الواقف أمامه ابنه فعلاً. وحينذاك أراه أوديسيوس الندب من أثر الجرح في ساقه، وراح يعد كل الأشجار المثمرة التي كان ليرت قد أهداها له في طفولته. فبكى العجوز من شدة الفرح، وعانق أوديسيوس، وهو يصيح:

- يا أبانا زوس العظيم! إذن فلا يزال هناك آلهة على الأولب المشرق مادام الأشرار قد عوقبوا بالموت على ما اقترفت أيديهم. لكنني أخاف أن يأتي جميع سكان إيثاكة إلى هنا للانتقام لموت أقربائهم.

طمأن أوديسيوس أباه، وقاده إلى البيت حيث كان الطعام جاهزاً. وهناك اغتسل ليرت، ولبس ثياباً نظيفة جديدة، أما الربة أثينا فقد جعلته أكثر حيوية

وشباباً. جلس الجميع إلى المائدة بمرح. وفي هذا الوقت عاد العبد القديم دوليوس مع جميع أولاده. ولم يكذب يدخل البيت حتى توقف ذاهلاً، حين رأى الضيف جالساً إلى المائدة. وفجأة عرف فيه أوديسيوس، فارتمى عليه، وراح يقبل يديه وقدميه، ويدعو الآلهة أن يغمروه بالبركة. كانت المائدة مرحة في دار الشيخ ليرت.

تمرد المواطنين وصلحهم مع أوديسيوس :

وفي هذا الوقت سرت الأقاويل في المدينة بأن جميع الخطاب قتلوا على يدي أوديسيوس العائد. انطلق أقرباء الخطاب والقوم جميعهم نحو قصر أوديسيوس، وهم يطلقون صيحات الغضب، ثم أخرجوا القتلى، وبعد ذلك اجتمعوا في ساحة المدينة، وراحوا يتشاورون كيف سيتصرفون. بدأ إيثيت العجوز، والد أنطينوس، يحرّض القوم على الانتفاضة ضد أوديسيوس والانتقام منه لموت الخطاب. وحدهما المنشد فيميوس والمنادي ميذون راحا يحاولان إقناع المواطنين بعدم رفع أيديهم على أوديسيوس، لأنهما رأيا بأم أعينهما أن الآلهة كانت إلى جانب أوديسيوس، وأن الخطاب إنما لقوا حتفهم بمشيئة زوس. وانبرى العراف غالثيرس أيضاً للدفاع عن أوديسيوس. وذكر المواطنين كيف نصحهم هو ومنطور بعدم السماح للخطاب بأن يعيشوا في دار أوديسيوس فساداً. والآن فإن الذنب ذنب المواطنين أنفسهم. الأفضل أن ينصاعوا لأوديسيوس لكي لا يجروا على أنفسهم ضرراً أكبر. عمل بعض المواطنين بنصيحة غالثيرس، لكن بعضهم الآخر، وعلى رأسهم اثبيتوس، امتشق السلاح.

رأت الربة أثينا هذا كله من على الأوب العالي، فسألت زوس، قاذف

الصواعق:

- ألا قل يا أبي ، زوس ، ماذا قررت؟ هل ستشعل نيران معركة كبيرة الآن ، أم أنك ستحل السلام بين المتخاصمين؟
ورد زوس على أثينا:
- ابنتي الحبيبة: أنت من قرر أن على أوديسيوس الانتقام من الخطاب . ولقد انتقم ، وكان له الحق في ذلك . وسوف يصبح أوديسيوس ملك إيثاكة ، ونجعل النسيان يطوي موت الخطاب ، ويعود الحب يسود ربوع إيثاكة ، ويحل فيها الثراء والسلام .
- هذا ما قاله زوس . وللحال انطلقت أثينا إلى إيثاكة . وكان المواطنون يقتربون بأعداد كبيرة من دار ليرت ، ورآهم أحد أبناء دوليوس ، فتسلح كل من كان في البيت ، بمن فيهم الشيخ ليرت والخادم دوليوس ، وخرج الجميع من البيت إلى البهو . وتجلت الربة أثينا لأوديسيوس في هيئة منظور . وقد سرحين عرف الربة ، وقال مخاطباً تليباخ:
- والآن برهن يا بني أنك تتحدر من صلب ذرية اشتهرت بالبسالة ، والإقدام . وبدوره سمع ليرت كلام أوديسيوس . فرقص قلبه فرحاً ، ثم صاح:
- ياله من يوم رائع أرسله الآلهة . لكم أنا سعيداً فالجدل يدور بين ولدي وحفيدي عمن يفوق الآخر بسالة .
- دنت أثينا من ليرت ، وأمرته أن يرمي رحمه على الأعداء دون تسديد ، مستنجداً بالربة أثينا وبزوس . لوح ليرت رحمه ، وقذف به . اخترق الرمح خوذة ايشييتوس النحاسية وحطم جمجمته ، فوقع على الأرض قتيلاً ، وانقض أوديسيوس وتليباخ على الأعداء . وكان من شأن الموت أن يأتي على جميع مواطني إيثاكة لولم تصرخ الربة أثينا:
- أوقفوا القتال يا مواطني إيثاكة . هيا تفرقوا بسرعة ، ولا تريقوا الدماء . استولى الرعب على جميع مواطني إيثاكة ، وسقط السلاح من أيديهم .

ووقعوا أرضاً حين سمعوا صرخة الربة . وحين تابوا إلى رشدهم ولوا الأدبار،
للنجاة بجلدهم . وصاح أوديسيوس بصوت عال، ثم اندفع يطارد الفارين ، لكن
زوس قذف بإحدى صواعقه ، فوقعت ، وهي تتألق ، على الأرض أمام أثينا ، التي
منعت أوديسيوس من متابعة المطاردة بقولها :

- تمالك نفسك يا ابن ليرت ، يا صنو الآلهة . تحل عن القتال الدامي لكي
لا يغضب عليك زوس ، قاذف الصواعق .

سر أوديسيوس ، وتوقف عن مطاردة مواطني إيثاكة . ولم تلبث أثينا بالاس أن
عمدت - في هيئة منطور- إلى توطيد السلام الراسخ بين الشعب والملك
أوديسيوس . وثبته بالقسم المشترك من الطرفين .

هوامش

- ١ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة».
- ٢ - كان اليونانيون يعتقدون أن أوجيجيا تقع في الغرب في وسط البحر.
- ٣ - حورية جزيرة أوجيجيا . ابنة أتلاتا أو الأقيانوس .
- ٤ - إحدى الجزر في غرب اليونان في البحر الايوني .
- ٥ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٦ - منتيس صديق أوديسيوس ، ملك التفيايين ، الذين سكنوا عدة جزر في البحر الايوني ، كانت أكبرها جزيرة تافوس (ميفانيسي حالياً) .
- ٧ - حصل أوديسيوس على بنلوبة زوجة مكافأة له على فوزه في إحدى مسابقات الجري ، وفيها بعد أصبحت بنلوبة رمزاً للزوجة المخلصة .
- ٨ - ومن هنا القول «حياكة بنلوبة» رمز للعمل الذي لا ينتهي .
- ٩ - عند رحيله إلى طروادة كلف أوديسيوس منطور بالسهر على بيته . وقد قام منطور بتربية تليماخ وتصدى لخطاب بنلوبة . وبعد ظهور رواية «مغامرات تليماخ» للكاتب الفرنسي فينيلون في القرن السابع عشر أصبح اسم منطور يرمز إلى الناصح والمعلم .
- ١٠ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ١١ - مدينة في جنوب بيلوبونيز في ميسين .
- ١٢ - مدينة في بيلوبونيز (في ميسين) تقع في منتصف الطريق بين بيلوس واسبارطة . وكان ديوكليس ملكاً على هذه المدينة .
- ١٣ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .

- ١٤ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ١٥ - كان القسم بمياه نهر ستيكس الجوي في يعتبر قسم الآلهة القاطع .
- ١٦ - الفيسيانيون : شعب خرافي سكن جزيرة سكيريا (إلى الشمال من ايثاكة) كان الأقدمون يوحدون بين هذه الجزيرة وجزيرة قورفة . وهم قوم يجهم الآلهة ويشاركونهم احتفالاتهم دون تنكر، والفيسيانيون يعيشون حياة سعيدة، فالأرض عندهم خصبة ، وهم ملاحون ممتازون ، وتستطيع مراكبهم قطع البحار دون خوف من العواصف والضباب .
- ١٧ - اسم من أسماء الربة إينو . / المترجم .
- ١٨ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ١٩ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٢٠ - السيكونيون - شعب خرافي .
- ٢١ - اللوتوفاغيون - شعب خرافي يتغذى بأزهار اللوتس .
- ٢٢ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٢٣ - السيكلوب شعب خرافي من العاقلة بعين واحدة ، سكن ، كما يعتقد شارخو هومير وس ، في صقلية .
- ٢٤ - إيلوس - إله الرياح وحاكمها .
- ٢٥ - غربية لطيفة .
- ٢٦ - ربح الشمال العاصفة . / المترجم .
- ٢٧ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٢٨ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٢٩ - جزيرة خرافية كانت تقع ، حسب تصور اليونانيين في أقصى الغرب ، في طرف البحر .
- ٣٠ - قريب أوديسيوس ووصيفه .
- ٣١ - ثيريسيا - عراف أعمى مشهور . وهبه زوس القدرة على التنبؤ . كما وهبه عمراً مديداً يعادل سبع (أوثان) حيوات بشرية .
- ٣٢ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٣٣ - السياريون عند هومير وس شعب خرافي كان يقطن أقاصي الغرب في ظلمة أبدية ، لأن

- هليوس - الشمس لا يطل عليهم أبداً . وتاريخياً فإن السياميين والسيثيين غزوا آسيا الصغرى على زمن هوميروس .
- ٣٤ - ثلاثة أنهار تجري في عالم هادس السفلي .
- ٣٥ - تريكاريا ومعناها ثلاثي الأطراف - التسمية القديمة لصقلية ، وكانت هذه التسمية تطلق على الجزيرة الخرافية حيث كانت ترعى قطعان هليوس - سبعة قطعان من الثيران وسبعة من النعاج ، وفي كل منها ٥٠ رأساً ، لا يزيد ولا ينقص . إنه رمز أيام السنة المكونة - كما كان يرى الاغريق من ٥٠ أسبوعاً في كل منها سبعة نهارات وسبعة ليال .
- ٣٦ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٣٧ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٣٨ - النياادات حوريات الماء ، الجداول والينابيع .
- ٣٩ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤٠ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤١ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤٢ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤٣ - مدينة في اييريا في غرب اليونان الشمالي ، وفيها المعبد المشهور ومهبط وحي زوس .
- ٤٤ - ابن هرمس ، جد أوديسيوس ، ورث عن هرمس الكذب والخداع والمكر والدهاء . ومنه ورث أوديسيوس دهاءه .
- ٤٥ - ملك أوشاليا . (انظر الجزء الأول ، هرقل وأورتيوس) .
- ٤٦ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤٧ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .
- ٤٨ - صخرة بيضاء كانت توجد - كما يعتقد الاغريق - عند مدخل العالم السفلي .
- ٤٩ - زنبق بري لونه أصفر باهت .
- ٥٠ - عن ملحمة هوميروس «الأوديسة» .

أغامنون وابنه أوريست

موت أغامنون^(١)

حين سافر أغامنون لغزو طروادة وعد زوجته كليتمينسترة بأن يخبرها بسقوط طروادة حال وقوع ذلك ، وانتهاء الحرب الدامية . وكان على الخدم الذين أرسلهم أن يشعلوا النيران على ذرى الجبال . إن مثل هذه الإشارة ، التي تنتقل من قمة جبل إلى قمة أخرى ، كان من شأنها أن تبلغ قصره بسرعة ، فتكون كليتمينسترة أول من يعرف بسقوط طروادة .

استمر حصار طروادة تسع سنوات . وحل العام العاشر والأخير ، الذي كان سيشهد سقوطها ، كما جاء في النبوءة . وكان من الممكن الآن أن تتلقى كليتمينسترة في أي يوم نبأ سقوط طروادة وعودة زوجها أغامنون . ولكي لاتفاجأ بعودة زوجها كانت ترسل أحد العبيد لديها إلى سطح القصر كل ليلة . وهناك كان العبد لا يكف يرقب عتمة الليل دون أن يغمض له جفن . كان العبد يقف على السطح في ليالي الصيف الدافئة ، وفي أثناء العواصف والرعود ، وشتاء ، حيث البرد القارس ، تحت الثلج . ومرت الأيام واحداً تلو الآخر ، والخدام المطيع ينتظر الإشارة المتفق عليها ، حسب أوامر سيده . وبدورها كانت كليتمينسترة تنتظر هذه

الإشارة، لكن ليس لأنها كانت متشوقة لاستقبال زوجها، إذ كانت قد نسيت، وأغرمت بإيجيستوس^(٣)، ونوت قتل أغامنون في نفس اليوم الذي سيعود فيه إلى الوطن ظافراً.

كان الليل مظلماً. وها قد بدأ النور الخافت يظهر من الشرق، وأوشك الليل البهيم أن ينجلي، وفجأة رأى العبد ناراً ساطعة فوق قمة جبل عال. كانت تلك الإشارة المنتظرة منذ عهد بعيد.

لقد سقطت طروادة العظيمة، وعماً قريب يعود أغامنون إلى البيت، وفرح العبد فقد انتهت حراسته الليلية المضنية، فانطلق إلى كليتمينسترة ليزف إليها هذه البشرى السعيدة. لكن هل سرت كليتمينسترة بهذا النبأ؟

ولكي تبعد الشكوك عنها تظاهرت كليتمينسترة بأن النبأ قد أسعدها، ثم استدعت الوصيفات، وذهبت لتقديم قربان الشكر. وفي قرارة نفسها كانت كليتمينسترة الماكرة تنوي قتل أغامنون.

اجتمع سكان المدينة عند قصر أغامنون، فقد وصلهم بسرعة نبأ سقوط طروادة.

أراد الشيوخ استقبال أغامنون عند قصره، وإن كان الشك بعودته فعلاً قد تغلب عليهم أحياناً. وقد بدد الرسول القادم هذه الشكوك، حين أعلن أن أغامنون لم يعد بعيداً. ومن جديد تظاهرت كليتمينسترة بالفرح، وأسرعت إلى القصر وكأنها تريد إعداد كل شيء للقاء، لكن استعدادها لم يكن لاستقبال زوجها، بل لقتله.

أخيراً ظهر أغامنون نفسه في مركبته، على رأس جيشه المظفر. كان المقاتلون يسيرون مزدانين بالأزهار والخضرة، ومن خلفهم الكثير من الأسيرات، يحملن الغنائم التي لاحصر لها. وبعجوار أغامنون في المركبة كانت تجلس كاساندره العرافة، ابنة بريام الحزينة، استقبل الشعب مليكه بالهتافات المدوية، وخرجت

كليتمينسترة لاستقباله، وأمرت بفرش الطريق إلى القصر بالنسيج الأرجواني، واستقبلت أغاممنون كأنه إله، حتى أنه خاف من غضب الآلهة إن هو قبل بمثل هذا التجييل. دخل أغاممنون القصر بعد أن خلع صندله، ومن خلقه سارت كليتمينسترة الماكرة، وهي تحدثه عن انتظارها له وعن عذابها بسبب فراقه. وعند مدخل القصر توقفت زوجة أغاممنون، وصاحت:

- زوس، زوس، استجب لدعائي! ساعدني في تنفيذ مائوت عملة.

احتشد المواطنون عند قصر أغاممنون وكأن على رؤوسهم الطير. كان الشعور المسبق الثقيل بوقوع مصيبة كبيرة يعذبهم فلم يتفرقوا.

وفجأة ترددت في القصر صرخة أغاممنون وهويلفظ أنفاسه، قتلت كليتمينسترة أغاممنون وهو يخرج من الحمام، فقد ألقت عليه غطاء عريضاً طويلاً، فكانه الشباك لا يستطيع منه فكاكاً، ولا يستطيع للدفاع عن نفسه سبيلاً، وبثلاث ضربات بالبلطة قتلت كليتمينسترة زوجها.

خرجت كليتمينسترة إلى القوم والبلطة في يديها تقطر دماً، وثيابها ملطخة بالدم أيضاً. وهال القوم ما اقترفت يداها. أما هي فكانت فخورة بما فعلت، لأنها اجترحت مأثرة عظيمة. لكنها لم تلبث أن شعرت بعذاب الضمير، وبالخوف من قدوم المنتقم الذي لا يرحم لأغاممنون.

وخرج إيجيستوس من القصر، وقد ارتدى ثوب الملك وحمل الصولجان الملكي في يده. وتملك القوم استياء عارم. وكان بودهم أن يمزقوا إيجيستوس، لولا حماية كليتمينسترة له. راح المواطنون، الذين هزهم موت أغاممنون، يتفرقون رويداً رويداً. أما إيجيستوس وكليتمينسترة فقد عادا إلى داخل القصر وهما سعيدان بالاستيلاء على الحكم.

لكن لم تكتب لهما النجاة من الانتقام، وكان العقاب الصارم يتهددهما لقاء كل ما اقترفا من آثام، هذا ما كان ينبغي لهما القدر الذي لا يرحم.

أورست يتقمم لمقتل أبيه (٣) :

مرت سنوات عديدة على موت أغاممنون، وفي ذات مرة دنا من القبر، القائم قرب القصر مباشرة، شابان في زي عابري سبيل. كان أحدهما، وهو في حوالي الثامنة عشرة، متمنطقاً بسيفه، أما الآخر، وكان أسنّ قليلاً، فكان يحمل في يده رمحين. اقترب أصغر الشابين من القبر، وقص خصلة من شعره، ثم وضعها على القبر. لقد كان هذا أورست، ابن أغاممنون، الذي أنقذته حاضنته يوم قتل أبوه، وترى بعيداً عن وطنه عند ستر وفيوس، ملك فوسيد. أما الشاب، الذي كان يرفقته فهو صديقه بيللوس ابن ستر وفيوس. ولم يكد أورست يقدم قربانه لأبيه حتى ظهرت بباب القصر وصيفات يرتدين الثياب السوداء. كن يقصدن قبر أغاممنون. وبينهن كانت اليكترا ابنة الملك القليل. كات تلبس، مثل جميع الوصيفات، ثياباً سوداء، وكان شعرها مقصوصاً. فلم يكن ثمة ما يميز ابنة الملك عن الوصيفات الأخريات. أسرع أورست وبيللوس بالاختباء خلف القبر، وراحا يراقبان الوصيفات، اللواتي ما إن اقتربن من القبر حتى أجهشن بالبكاء، وطفن حول القبر ثلاث مرات. كانت كليتمينسترة هي التي أرسلت الوصيفات، بعد أن رأت في نومها حلماً فظيماً، وخافت أن تكون روح أغاممنون ساخطة عليها. وكان على الوصيفات أن يسترحمنها، لكنهن كن يكرهن كليتمينسترة لقتلها أغاممنون، ولأنها كانت لاتني تعذبهن. وكانت كليتمينسترة تعذبهن لأنهن كن جميعاً أسيرات طرواديات، فكانت حين تنظر إليهن تتذكر زوجها القليل.

وبدلاً من أن تتوسل إليكترا لطيف أغاممنون أن يكون رحيماً راحت - بناء على نصيحة الوصيفات - تدعو الأرباب إلى الانتقام من كليتمينسترة. ثم إنه لم يكن بوسعها أن تتصرف على نحو آخر. كانت إليكترا تكره أمها القائلة .

حين انتهى تقديم القربان، وهمت الوصيفات بالانصراف، رأت اليكترا خصلة شعر على القبر. ولما كان هذا الشعر يشبه شعرها فقد أدركت في الحال أنه شعر أورست. رفعت خصلة الشعر، وراحت تفكر: لماذا لم يأت أورست بنفسه، ولماذا اكتفى بإرسال خصلة من شعره؟ وهنا اقترب أورست من شقيقته بهدوء وناداه. لم تتعرف اليكترا على أخيها فوراً فهي لم تره مذ كان طفلاً صغيراً. لكن أورست أرى أخته الثياب التي حاكتها له. فرحت اليكترا، وأخبرها أورست أنه إنما جاء إلى هنا بمشيئة الإله أبولون، الذي أمره في دلفي بالانتقام من أمه ومن إيجيستوس لموت أبيه. وكان أبولون قد هدد أورست بالجنون إن هو لم ينفذ إرادته. طلب أورست من أخته أن تتحلى بالحذر، وألا تخبر أياً كان بوصوله إلى مسقط رأسه.

انصرفت إليكترا إلى القصر. وبعد وقت قصير راح أورست وبيلادس يقرعان بوابة القصر، وقالا للخادم، الذي خرج لهما، أنهما يودان رؤية كليتمينسترة. لكي ينقلا لها نبأ هاماً. ناداهما الخادم من القصر فأخبرها أورست أن الملك فوسيد طلب منه أن يبلغها أن أورست مات، وأنه لا يعرف ماذا يفعل بجثته. فرحت كليتمينسترة، فقد مات ذلك الذي كان بمقدوره الانتقام لأغامنون.

أرسلت كليتمينسترة من يخبر إيجيستوس، الذي كان في المدينة، بموت أورست، فعاد إلى القصر مسرعاً، دون أن يصطحب معه مقاتليه، الذين لم يكونوا يفارقونه. كان إيجيستوس يسرع إلى حتفه، فلم يكذ يدخل القصر حتى سقط وقد أصابه أورست بطعنة سيف، واندفع أحد العبيد، وقد تملكه الرعب، إلى كليتمينسترة، وراح يستغيث بها. وهنا أدركت أن لحظة القصاص قد حلت. فجأة دخل عليها أورست وسيفه يقطر دماً. خرت كليتمينسترة أمامه، وراحت تتوسل إليه أن يرحمها: فهي أمه التي أرضعته من ثديها، لكن لم يكن

بمقدور أورست أن يعفو عن أمه، فقد كان عليه أن ينفذ إرادة أبولون. قبض أورست على أمه من يدها، وجرها إلى حيث كانت جثة إيجيستوس ملقاة، فقتلها هناك. وهكذا فقد انتقم أورست لأبيه.

ما إن عرف القوم بموت كليتمينسترة وإيجيستوس حتى بدأوا يتوافدون إلى القصر. ولم يشعر أي منهم بذرة إشفاق على الطاغية إيجيستوس، المكروه من الجميع، ولا على كليتمينسترة المحتالة، فتحت أبواب القصر فرأى الجميع جثتي إيجيستوس وكليتمينسترة الداميتين، وسيف أورست من فوقهما. كان أورست يشعر بأنه على حق باقتراف هذه الجريمة: فهو إنما نفذ إرادة أبولون بانتقامه لمقتل أبيه. لكن فجأة ظهرت ربات الانتقام الغاشمة أمام أورست. ومن حول رؤوسهن كانت تلتف الأفاعي السامة، وكانت عيونهن تقدح شرراً. وارتعدت فرائص أورست. وشعر أن الظلمة تخيم على عقله شيئاً فشيئاً. فغادر القصر، تطارده الإيرينات قاصداً معبد أبولون في دلفي، أملاً في أن يحميه الإله، الذي نفذ إرادته.

أبولون وأثينا بالاس ينقذان أورست من ملاحقة الإيرينات^(٤):

أخيراً وصل أورست دلفي المقدسة، تطارده الإيرينات المنتقمات، وقد أنهكه التجوال والحزن، وجلس هناك في معبد أبولون بجوار أومفالوس^(٥). وقد طاردته الربات الفظيحات حتى إلى معبد أبولون، لكن الإله النبأ سلط عليهن النوم، فأغمضن عيونهن الفظيعة.

وخفية عن الإيرينات تجلّى أبولون لأورست، وأوعز إليه أن يذهب إلى أثينا، ويتضرع هناك لتمثال الربة أثينا بالاس القديم. وواعد أبولون أورست

المسكين بالمساعدة، وأرسل معه أخاه الإله هرمس لمرافقته . نهض أورست، وخرج من المعبد بكل هدوء، ثم انطلق إلى أثينا بصحبة هرمس .

ولم يكذ يغادر حتى خرج طيف كليتمينسترة من الأرض داخل معبد أبولون . وإذ رأت الإيرينات نائمات راحت تحاول إيقاظهن ، وتوبخهن لأنهن تخلين عن ملاحقة القاتل ، الذي أراق دم أمه . وراحت تستحثهن أن يلحقن بأورست ويحرمته طعم الراحة . لكن الإيرينات كن في نوم عميق ، وهن يطلقن الآهات ، ويصرخن بين الفينة والأخرى ، لكأنهن يطاردن القاتل الفار منهن . أخيراً وبصعوبة كبيرة استيقظت إحدى الإيرينات ، ثم أيقظت الأخريات ، وجن جنون الإيرينات حين اكشفن اختفاء أورست ، ورحن يلمن أبولون لأنه انتزع القاتل من أيديهن ، لكن أبولون طردهن من معبده وهو يهددهن بقوسه . اندفعت الإيرينات ، وهن في ذروة الغضب ، يقتفين آثار أورست وقد دبت الفوضى في صفوفهن .

وفي هذا الوقت كان أورست قد وصل أثينا، وجلس عند تمثال الربة أثينا، ثم احتضنه، وبعد قليل ظهرت الإيرينات، لقد بحثن عن أورست في كل مكان، وكن، من شدة سخطهن، مستعدات للفتك بالمسكين، لكن ربات الانتقام لم يتجاسرن على تدنيس تمثال أثينا المقدس .

سمعت الربة أثينا صرخات التهديد، التي أطلقتها الإيرينات، فتجلت لهن . راحت الإيرينات تطالبن متوعدات بأن تسلمهن الربة أورست، وتضعه تحت تصرفهن، كن يرغبن في أن يسمنه أقسى أنواع العذاب لأنه قتل أمه . أما أورست فقد راح يتضرع إلى الربة أن تحميه . وقد ذكر أثينا بالاسن بوالده أغامنون، وكيف لقي حتفه على يد كليتمينسترة الخبيثة . فهل انتقم أورست من أمه بمشيئته هو؟ إنه إنما نفذ مشيئة أبولون . وراح أورست يتضرع إلى أثينا أن تحاكمه بنفسها .

أصغت الربة أثينا لتوسلات أورست . ولكي تحل قضيته اختارت من بين شيوخ أثينا محكمة - أريوباج - ومنذ ذلك الحين وهذه المحكمة موجودة في أثينا ، وكانت تعقد على الهضبة ، التي كان يقع عليها معسكر الأمازونات حين أغرن على ثيسوس . وكان يطلق على هذه الهضبة اسم هضبة آريس لأن الأمازونات قدمن له القربان .

اجتمع القضاة ، الذين اختارتهم أثينا ، وحيء بصندوقي اقتراع ، كان على القضاة أن يلقوا الحصى فيهما ، وبدأت المحاكمة . وقد شاركت الربة أثينا فيها . كان الناس يتجمعون في كل مكان ، يدفعهم الفضول لمعرفة قرار المحكمة . وجهت الإيرينات الاتهام لأورست ، ورحن يطالبن بادانته . وقد جاء الإله أبولون بنفسه للدفاع عن أورست . وقد اعتبر أن أورست تصرف بشكل صحيح لأنه إنما انتقم من كليتمينسترة على الاثم الذي اقترفت بقتلها زوجها ، البطل العظيم الملك أغاممنون . إن أورست إنما نفذ مشيئة أبولون . بدأ القضاة التصويت بعد أن استمعوا للمتهمة وللدفاع .

وتقرر أنه في حال تعادل الأصوات التي تدين أورست والأصوات التي تبرئ ساحته أن يعتبر بريئاً . وحين أحصيت أصوات القضاة تبين تعادل الأصوات ، التي تدين والأصوات التي تبرئ . ويعود الفضل في تعادل أصوات الادانة وأصوات البراءة إلى أن أثينا صوتت لصالح أورست ، قائلة أنها تصوت لصالحه لأنه لا أم له ، وليس لها إلا والدها - الإله زوس .

وهكذا فقد بُرئت ساحة أورست ، وكان على الايرينات أن يتوقفن عن

ملاحقته .

تملك الغضب الفظيع الايرينات ، فقد حرمتهن المحكمة من حقوقهن الأساسية في إنزال العقاب الفظيع بالمجرمين . ورحن يهددن بخراب إيثاكة ، ودفعها إلى لجة المصائب ، لكن أثينا خففت سخط الربات ، فقد أقنعتهن بالبقاء

في إيثاكه إلى الأبد، في الكهف المقدس، حيث سيقدم لمن جميع الأثينيين فروض الطاعة والتبجيل.

وافقت الربات الرهيبات، وفي احتفال مهيب قاد المواطنون الإيرينات إلى معبدهم - كهف عند أسفل جبل أريس. ومنذ ذلك الحين أصبحت الإيرينات حاميات لإيثاكه كلها، وأصبحن يعرفن باسم الأومينيدات^(٧).

أورست يسافر إلى تاورس في طلب تمثال أرتيميس المقدس^(٧):

لم يتخلص أورست من ملاحقة الإيرينات، فلم ينصن جميعهن لقرار الأريوباج، واستمر بعضهن يلاحق أورست، ويحرمه من طعام الراحة لا في النهار ولا في الليل، أخيراً، وبعد أن ذاق أورست الأمرين، عاد إلى معبد أبولون في دلفي، وهناك أمره أبولون بالسفر إلى تاورس^(٨) البعيدة، ليحلب من هناك تمثال الربة أرتيميس المقدس. كانت الرحلة مخوفة بالمخاطر. وكانت قبيلة التوريانيين، التي كانت تعيش في أرض تاورس، تقدم جميع الغرباء، الذين يأتون إليها، قرابين لهذا التمثال. وكان مثل هذا المصير يمكن أن يحقق بأورست أيضاً.

ومع هذا فقد انطلق أورست في هذا الدرب البعيد. كان يريد أن يتخلص من ملاحقة الإيرينات مهما كان الثمن. وبعد إبحار موفق وصل مع صديقه بيلادس إلى تاورس، ثم توجهوا إلى معبد أرتيميس، بعد أن أخفيا مركبهما بين الصخور الساحلية. ولم يكن يخطر لأورست ببال أن أخته إيفيجينيا كاهنة في هذا المعبد، إنها أخته، التي سبق لليونانيين أن أرادوا تقديمها قرباناً للربة أرتيميس. لم يجرؤ أورست وبيلادس على اختطاف التمثال نهراً، فقررا انتظار حلول الليل. لكن الرعاة رأوهما وهاجموهما، وبعد صراع طويل أوثقوا قيدهما، وقادوهما إلى الملك. وقرر الملك أن يقدمهما كلاهما قرباناً لأرتيميس.

وفي الصباح جيء بهما مغلولين إلى المعبد . وكان على إيفجينيا ، دون أن يخطر لها ذلك ببال ، أن تقتل أخاها بيديها . وكانت قد رأت في الليل حلماً رهيباً وكان قصر أبيها تداعى بفعل زلزال ، ولم يبق إلا عمود واحد ، كان الشعر المجعد الأبيض يتدلى عليه ، وقد طهرت العمود وكأنها تروم التضحية به ، وظنت إيفجينيا أن أخاها أورست قد لقي حتفه ، فقررت أن تقدم قرباناً باسم أخيها الميت .

وفي أثناء تقديم القربان جاءها خدم الملك بأورست وبيلا دس المغلولين . وراحت تسألها عن حسبها ونسبها . وحين عرفت أنها يونانيان راحت تسألها عما حل بأغاممنون وبأخيها أورست ، ولم يكن بوسع أورست وبيلا دس أن يرويا لها شيئاً يسر الخاطر .

أخيراً قررت إيفجينيا أن تتقرب بأحد الشابين ، وأن ترسل الآخر برسالة إلى أورست في اليونان لكي يعرف أورست أن أخته إيفجينيا حية ترزق . وهنا فقط اكتشف الاثنان أنها الأخ واخته . لكن كيف السبيل إلى النجاة؟ وكيف بالإمكان الهرب من تاورس؟

قررت إيفجينيا اللجوء إلى الحيلة . فقد أعلنت لملك التاورين أن تمثال أرتمس قد دنس ، ولا بد من تطهيره في البحر هو والغريين ، اللذين سيقدمان للربة قرباناً . وافق الملك .

وفي حفل مهيب سارت إيفجينيا مع خدام المعبد إلى ساحل البحر ، حيث كان أورست قد خبأ مركبه ، كان خدام المعبد يحملون التمثال ، بينما كان خدام الملك يقودون أورست وبيلا دس المغلولين ، وحين بلغوا شاطئ البحر أمرت إيفجينيا خدام الملك بالانصراف ، لأنه كان يحظر عليهم رؤية طقوس التطهير السرية . وحين انصرف الخدم عمدت إيفجينيا إلى فك وثاق أخيها وصديقه ، ثم أسرعتا وإياهما إلى المركب . دبت الريبة في نفوس خدام الملك حين استغرقت الطقوس هذه الفترة الطويلة ، وجاءوا إلى الشاطئ ، ولاتسل عن دهشتهم حين

رأوا المركب وأورست يهيم بحمل إيفجينيا عليه . اندفع خدام الملك نحو أورست يريدون انتزاع كاهنتهم منه . وبدأت المعركة ، لكن أورست وبيلا دس لم يلبثا أن هزما خدام الملك . صعد أورست مع إيفجينيا ورفاقه إلى متن المركب . جلس المجذفون إلى المجاذيف ، وخرج المركب إلى عرض البحر ، لكن لم يكن قد كتب لهم أن يغادروا تاورس بهذه السهولة .

فقد هبت عاصفة قوية ، دفعت بالمركب إلى الشاطئ من جديد . وكان من شأن جميع اليونانيين الموجودين على ظهر المركب أن يلقوا حتفهم ، بعد أن يقعوا في قبضة ملك التاوريين لولم تسرع الربة أثينا بالاس لنجدتهم . فقد تجلت للملك التاوريين ، وأمرته أن يسمح بالسفر إلى اليونان ليس فقط لإيفجينيا وأخيها وجميع رفاقه ، بل وجميع خدام معبد أرتميس . وقد اضطر الملك للرضوخ لارادة الربة . والآن أصبح بإمكان إيفجينيا أن تعود إلى الوطن ، الذي سبق للربة أرتميس أن نقلتها منه ، منذ عهد بعيد ، إلى أرض تاورس .

بعد عودته إلى الوطن قتل أورست اليتوس ابن إيجيستوس ، الذي عمد في غيابه إلى الاستيلاء على العرش ، وزوج أخته اليكتر الصديقه المخلص بيلا دس ، الذي كان مستعداً لأن يموت من أجله في تاورس ، تحت بلطة إيفجينيا . أما إيفجينيا فقد أصبحت كاهنة الربة أرتميس في المعبد ، الذي بني على شاطئ البحر في إيثاكة ، بالقرب من أثينا .

هوامش

- ١ - عن تراجيديا اسخيلوس «أغاممنون» .
- ٢ - ابن ثيستوس من ابنته بيلوبيا ، التي تخلت عن ولدها لأنها أنجبتته من أبيها .
- ٣ - عن تراجيديا اسخيلوس «المرجيات» ، أي ، اللواتي يرقن على القبر احتراماً للميت» .
- ٤ - عن تراجيديا اسخيلوس «اومينيد» ، [أومينيد الاسم الذي كان الاغريق يطلقونه على الايرينات ، ربات الانتقام ، تيسيغون ميجير ، اليكتو / المترجم .
- ٥ - أومفالسوس : الحجر المقدس (نيزكي على الأغلب) ، كان أشهر هذه الأحجار موجوداً في معبد أبولون في دلفي ، وكان عبارة عن قطعة من الرخام على شكل دائرة ، وكان يمثل مركز الأرض المعروفة بالنسبة للاغريق («سرة الأرض» «محور الكون») .
- ٦ - أي الخيرات ، المحسنات .
- ٧ - عن تراجيديا يوربيدس «افجينيا في تاورس» .
- ٨ - القرم حالياً .

ملحمة طيبة

أوديب . طفولته . الشباب والعودة إلى طيبة^(١)

كان لدى بوليدوروس ، ملك طيبة ، ابن قدموس ، وزوجته نوكتيس ولد اسمه لابداكوس Labdacos ، الذي ورث الحكم في طيبة . وقد كان لا يوس ابناً له ووريثاً . وفي ذات مرة زار لا يوس الملك بيلوبس ، وأمضى في ضيافته في بيزا فترة طويلة . لكن لا يوس قابل حسن ضيافة بيلوبس له بالسوء ونكران المعروف . فقد اختطف لا يوس خريسيبوس ، ابن بيلوبس ، وحمله معه إلى طيبة ، فراح الأب الغاضب والحزين يصب لعناته على لا يوس ، ويدعو الآلهة أن تختطف ابن لا يوس ، ويكون موت لا يوس على يد ابنه . تلك كانت لعنة والد خريسيبوس للايوس ، وكان لهذه اللعنة أن تتحقق .

بعد عودته إلى طيبة ، ذات البوابات السبع ، تزوج لا يوس من جوكاستا ، ابنة مينوسيوس . وقد عاش لفترة طويلة آمناً قرير العين في طيبة ، ولم يكن يقض مضاجعه سوى أمر واحد : لم يرزق بأولاد . أخيراً قرر لا يوس أن يقصد دلفي ليسأل الإله أبولون هناك عن سبب عدم الإنجاب . وكان جواب كاهنة أبولون للايوس رهيباً . فقد قالت له :

- لسوف يحقق الآلهة رغبتك يا ابن لابداكوس ، ويكون لديك ولد ، لكن فلتعرف أن موتك سيكون على يده . ولسوف تتحقق لعنة بيلوبس .
دب الرعب في نفس لايوس ، وفكر طويلاً بكيفية تجنب مشيئة القدر الغاشم ، وأخيراً قرر قتل ابنه حال ولادته .

وبعد مرور وقت قصير رزق لايوس بصبي ، لكن الأب القاسي ربط قدمي الطفل بالسيور ، وثقب كعبيه بالحديد القاطع ، ثم استدعى أحد عبيده ، وأمره أن يرمي الطفل في الغابة على سفح جبل سيثيرون^(٣) ، لكي تفترسه الوحوش الكاسرة هناك . لكن العبد لم ينفذ أوامر لايوس . فقد أشفق على الطفل ، وسلمه لعبد ملك كورنثه بوليبيوس . وكان هذا العبد يرعى قطع سيده على سفوح جبل سيثيرون . حمل العبد الطفل إلى الملك بوليبيوس ، الذي قرر أن يربيه كوريث له ، على اعتباره أنه بدون أولاد . وقد أطلق الملك بوليبيوس عليه اسم أوديب بسبب قدميه المتورمتين نتيجة الجروح .

وهكذا فقد ترعرع أوديب في كنف بوليبيوس وزوجته ميريوبا ، اللذين اعتبراه ابنهما ، وبدوره كان أوديب يعتبرهما والديه . وفي ذات مرة ، وبعد أن أصبح أوديب شاباً كبيراً ، أخبره أحد أصدقائه ، بعد أن دب السكر في رأسه ، أنه ابن الملك بالتبني ، وهذا ما أثار دهشة أوديب ، وولد الشك في نفسه ، فقصده بوليبيوس وميريوبا ، وراح يحاول جاهداً معرفة سر ولادته منها . لكن أيّاً منهما لم يخبره بشيء .
وحينذاك قرر أوديب أن يسافر إلى دلفي ليعرف كل شيء هناك .

سافر أوديب إلى دلفي كعابرسبيل عادي . وحين وصل إلى هناك سأل الوحي ، فأجابه أبولون المتألق على لسان بيثيا :

- إن مصيرك فظيع يا أوديب . لسوف تقتل أباك ، وتتزوج أمك ، وسيولد من هذا الزواج أبناء يلعنهم الآلهة ، ويكرههم البشر .

ذعر أوديب من هول ماسمع . فكيف له بتجنب القدر القاسي ، كيف له

بتجنب قتل أبيه والزواج من أمه؟ فالوحي لم يسم والديه بالاسم . وقرر أوديب أن لا يعود إلى كورنثه بعد الآن . فماذا لو كان بيلوبس وميروبا والديه؟ فهل يعقل أن يصبح قاتل بيلوبس وزوج ميروبا؟ قرر أوديب أن يبقى مشرداً بدون ذرية ، بدون قبيلة وبدون وطن .

غادر أوديب دلفي لايعرف إلى أين يتجه ، وقد اختار أول طريق صادفه وكان هذا الدرب يقود إلى طيبة . وعلى الطريق ، عند أقدام بارناس ، حيث كانت تتلقى ثلاثة طرق وفي واد ضيق صادف أوديب مركبة كان يركب فيها شيخ جليل ، ويقودها المنادي ، ويسير الخدم من خلفها . صاح المنادي بأوديب بصوت فظ أن يتنحى عن الطريق ، ثم لوح بسوطه في وجهه . ضرب أوديب المنادي من غضبه ، وهم بأن يتابع طريقه ، لكن الشيخ لوح بعصاه ، وهوى بها على رأس أوديب .

احتدم أوديب غيظاً ، وفي ثورة غضبه ضرب العجوز بعصاه ضربة قوية أوقعته على الأرض ميتاً . وانقض أوديب على الخدم فقتلهم جميعاً ، إلا واحداً منهم تمكن من الاختفاء . وهكذا تحققت مشيئة القدر: فقتل أوديب دون أن يدري أباه لايوس ، الذي كان في طريقه إلى دلفي لكي يسأل أبولون كيف له بإنقاذ طيبة من سفينكس السفاح .

وتابع أوديب طريقه وكان شيئاً لم يكن . كان يعتبر أن الذنب ليس ذنبه في ما اقترفت يده: فليس هو المعتدي ، إنما كان يدافع عن نفسه ، ظل أوديب يسير ويسير إلى أن وصل أخيراً إلى طيبة .

كان جوالكآبة يخيم فوق طيبة . فقيد أصيبت مدينة قدموس بفاجعتين ، فالسفينكس الرهيب ، ابن تيفون وايشدنا⁽³⁾ أقام قرب طيبة على جبل سفينفيون ، وراح يطالب بالضحايا تلو الضحايا ، كما أن العبد نقل خبر موت لايوس على يد مجهول .

وحين رأى أوديب حزن المواطنين قرر أن يخلصهم من المصيبة، وسار إلى حيث سفينكس .

كان سفينكس وحشاً هائلاً برأس امرأة وجسم أسد ضخيم، وقوائم مسلحة ببراثن حادة، وجناحين هائلين . قرر الآلهة أن يبقى سفينكس عند طيبة إلى أن يتمكن أحدهم من حل اللغز الذي لديه، والذي أعطته إياه ربات الإلهام . كان سفينكس يجبر جميع المسافرين، الذين يمرون به، على محاولة حل هذا اللغز، لكن أحداً لم يتمكن من القيام بذلك، فكان الموت الرهيب من نصيبهم بين براثن سفينكس الحادة، الكثيرون من أبناء طيبة البواسل حاولوا إنقاذ بلادهم من هذا الوحش، لكنه فتك بهم جميعاً .

وصل أوديب إلى سفينكس، الذي طرح عليه حل لغزه :

- قل لي : من يمشي في الصباح على أربع، ونهاراً على اثنتين، ومساءً على ثلاث؟ وليس ثمة من كائن يعيش على الأرض يتغير كما يتغير، وحين يسير على أربع تكون قواه أقل، وحركته أبطأ مما هو عليه الأمر في وقت آخر . وجاء جواب أوديب في الحال :

- إنه الانسان . فحين يكون صغيراً، أي حين يكون في صباح عمره يكون ضعيفاً، ويزحف بسطة على أربع . وفي النهار، أي في مرحلة النضج، يسير على قدميه، أما في المساء، أي في سن الشيخوخة فإنه يصبح ضعيفاً، فيتوكأ على عكاز، وحينذاك يسير على ثلاث .

حل أوديب أحجية سفينكس . وهنا رفر سفينكس بجناحيه، وألقى بنفسه من على الصخرة في البحر . لقد قرر الآلهة أن على سفينكس أن يموت إذا ماتمكن أحدهم من حل أحجيته . وهكذا أنقذ أوديب طيبة من الوحش .

حين عاد أوديب إلى طيبة أعلنه سكانها ملكاً عليهم، لأن كريون، الذي تولى الحكم، بدلاً من لايسوس الميت، كان قد قرر أن ملك طيبة سيكون ذلك

الشخص الذي ينقذها من سفينكس . بعد أن أصبح أوديب ملكاً على طيبة تزوج بجوكاست أرملة لايوس ، ورزق منها بابنتين هما أنتيغون وإيسمين ، وبولدين هما ايتيوكليس وبولينيس ، هكذا تحققت مشيئة القدر الثانية : أصبح أوديب زوج أمه ، ورزق منها بأولاده .

أوديب في طيبة(٤) :

حكم أوديب ، الذي أعلنه الشعب ملكاً ، في طيبة بكل حكمة . ولفترة طويلة ظل الهدوء والسلام يجيان على طيبة وعلى الأسرة الملكية . لكن القدر كان يجييء التعاسة لأوديب . وها قد حلت به نازلة كبيرة ، فقد سلط الإله النبال أبولون مرضاً فظيماً على سكان طيبة ، راح يفتك بالكبار والصغار ، وتحولت طيبة إلى مقبرة ضخمة . كانت الجثث غير المدفونة ملقاة في الطرق والساحات . وفي كل مكان كان يتردد النواح والأنين ، وأنى ذهبت تسمع بكاء الأرامل والشكالي .

لم يكن المرض وحده هو الذي اجتاح طيبة ، بل وسادها الجوع أيضاً ، لأن الحقول لم تعد تنتج محصولاً ، وأصبحت القطعان بوباء الطاعون الرهيب . كان يبدو وكأن مدينة قدموس العظيم تلفظ أنفاسها الأخيرة . وعبثاً راح المواطنون يقدمون القرابين للآلهة ، ويصلون لها طلباً للنجاة . لكن الآلهة لم تسمع صلواتهم ، وراح الوضع يزداد سوءاً .

جاء جمهور غفير من المواطنين إلى ملكهم أوديب يطلبون أن يمد لهم يد العون ، ويعلمهم كيف يتخلصون من هذه المصائب والأرزاء التي تهدد بفنائهم . أولم يساعدهم ذات مرة بالتخلص من سقينكس . كان أوديب نفسه قلقاً على مصير قومه ، وكان قد أرسل كريون ، شقيق جوكاست ، إلى دلفي ليسأل أبولون

عن الطريقة الكفيلة بالتخلص من الأرزاء والمحن . كان من المتوقع أن يعود كريون بين يوم وآخر، وكان أوديب ينتظره يفارغ الصبر .

أخيراً عاد كريون ، حاملاً جواب العرافة ، لقد أمر أبولون بطرد من جز على طيبة هذه المحن بسبب جريمته . كان على المواطنين أن يدفعوا ثمن دم لايوس المهذور بطرد القاتل ، أو حتى بإعدامه ، لكن كيف العثور على قاتل لايوس؟ فلقد قتل على قارعة الطريق . وقتل معه جميع مرافقيه ، باستثناء عبد واحد . قرر أوديب العثور على القاتل بأية وسيلة ، أيّاً كان ، وأنى كان يختبئ ، ولو حتى في قصره الملكي ، ولو كان القاتل واحداً من ذويه . دعا أوديب القوم إلى المجلس للتشاور حول كيفية العثور على القاتل . ويشير القوم إلى العراف تيرسيوس ، فهو وحده القادر على مد يد العون . ويؤتى بالعراف الأعمى تيرسيوس . ويطلب أوديب منه أن ينطق باسم قاتل لايوس ، فبماذا يستطيع العراف أن يرد عليه؟ نعم إنه يعرف القاتل ، لكنه لا يستطيع أن يذكر اسمه .
ويقول تيرسيوس :

- هلا تركتني أذهب إلى البيت ، فيكون من الأسهل علينا علينا تحمل هذا العبء الذي ألقى به القدر على كاهلنا .

لكن أوديب يصر على تلقي الجواب ، فيصيح به :

- لا تريد أن تجاوب أيها العراف! لكنك بعنادك يمكن أن تغضب حتى الحجر . استمر تيرسيوس على عناده طويلاً ، لا يريد أن يذكر اسم القاتل ، لكنه يقول أخيراً ، نزولاً عند كلام أوديب الغاضب :

- أنت نفسك يا أوديب من دنس هذه البلاد بحكمك لها . إنك أنت نفسك ذلك القاتل ، الذي عنه تبحث ؛ وقد تزوجت وأنت لا تدري - بتلك التي هي أعز الجميع لدى كل منا ، لقد تزوجت بوالدتك .

استبند الغضب بأوديب من تيرسيوس حين سمع كلامه هذا ، واتهم

العراف بالكذب، وراح يهدده بالاعدام، ويقول أن كريون هو الذي أوحى له بذلك لكي يستولي على مقاليد الحكم. لكن تيرسيوس يصغي لكلام الملك الغاضب بكل هدوء، وهو على ثقة تامة بأنه إنما قال له الحقيقة. إنه يعرف أن أوديب، وإن كان حاد البصيرة، إلا أنه لا يرى كل الشرور والآثام التي يقترفها دون أن يرغب بذلك. أن إوديب لا يرى أين يعيش، ولا يرى أنه عدو نفسه وعدو أسرته. ودون أن يخشى تيرسيوس التهديد والوعيد يقول لأوديب بكل جرأة أن القاتل هنا، أمامه. صحيح أن القاتل جاء إلى طيبة وكأنه غريب، لكنه في الحقيقة من أبناء طيبة، ولسوف ينال القدر الغاشم من القاتل، يتحول من بصير إلى أعمى ومن غني إلى فقير، ولسوف يغادر طيبة إلى المنفى، بعد أن يفقد كل شيء.

كان المواطنون يصغون إلى تيرسيوس، وقد استبد بهم الرعب، فقد كانوا يعرفون أن الكذب لم يدنس شفتيه أبداً.

أما أوديب فقد راح، وقلبه مفعم بالغضب، يتهم كريون بأنه هو الذي لقن تيرسيوس هذا الكلام، إنه يتهم كريون بالسعي للاستيلاء على السلطة في طيبة. وجاءت جوكاست أيضاً، فأخبرها بما قاله تيرسيوس، واتهم أخاها بالنية السيئة. ويسأل جوكاست كيف قتل لايوس، وكيف القي بابن لايوس الوحيد على سفح سيثرون، فأخبرته جوكاست بكل شيء. وتسلمت بذور الشك الأولى إلى قلب أوديب. كان ثمة هاجس منكر ورهيب يعذبه، ويجعل قلبه ينفطر.

وصاح أوديب:

- ماذا قررت أن تفعل بي يا زوس؟ هل يعقل أن البصير لم يكن أنا، بل تيرسيوس الأعمى!

ويسأل أوديب عن العبد، الذي أنقذ الطفل، أين هو، أحي هو، فيكتشف أن هذا العبد يرعى القطيع على سفح سيثرون. ويرسل أوديب في

طلبه على الفور، إنه يريد أن يعرف الحقيقة كلها، مهما كانت فظيعة .
ولم يكذب يرسل في طلب العبد حتى جاء رسول من كورنث يحمل نبأ موت
الملك بوليبيوس، بسبب المرض . إذن بوليبيوس لم يموت على يد ولده . وإذا كان
أوديب ابن بوليبيوس فهذا يعني أن مشيئة القدر لم تتحقق، في أن يقتل أوديب أباه .
لكن لعل أوديب ليس ابن بوليبيوس؟ ويراود أوديب الأمل في أنه نجما كان ينبغي
له القدر . لكن الرسول يخيب هذا الأمل . فقد أخبره أن بوليبيوس ليس له ابن ،
وأنه هونفسه قد جلبه إلى ملك كورنث طفلاً صغيراً ، وأن عبد ملك لا يوس هو
الذي سلمه له .

كان أوديب يصغي للرسول وقد تملكه الرعب ، فقد راحت الحقيقة الرهيبة
تتجلى له شيئاً فشيئاً .

لكن هاقد جاء الراعي . في البداية لم يرغب في أن يتحدث بأي شيء ، كان
يريد إبقاء كل شيء طي الكتمان . لكن أوديب يتوعد الراعي بإنزال العقاب
الرهيبة به إن هو أخفى الحقيقة .

ومن شدة خوفه يعترف الراعي أن الصبي الذي سبق أن سلمه للرسول
كان ابن لا يوس ، الذي قرر والده قتله ، أما هو فقد أشفق على الطفل البائس .
كم كان بود أوديب لو أنه مات حينما كان طفلاً بريئاً . وكم يتذمر من الراعي
لأنه لم يدعه يموت طفلاً . فقد أدرك أوديب الآن كل شيء . إنه يعرف من قصص
جوكاست عن موت لا يوس ، ويعرف أنه قتل والده بيده ، وأنه ابن لا يوس
وجوكاست . لقد تحققت مشيئة القدر .

وينصرف أوديب إلى القصر وقد تملكه اليأس . فهو قاتل أبيه ، زوج أمه ،
وأولاده أبناءه من ناحية وأخوته لجهة أمه من ناحية أخرى .

وفي القصر كانت بانتظار أوديب ضربة أخرى . لم تتحمل جوكاست كل
الهول ، الذي تكشف لها ، فانتحرت . وجن أوديب من فرط حزنه . فانتزع

الدبوس من ثوب جوكاست ، وسمل عينيه به . لم يكن يريد أن يرى بعد الآن ضوء الشمس ، ولا أولاده ، ولا طيبة الأم . الآن مات كل شيء بالنسبة له ، ولا يمكن أن يعرف للحياة لذة . ويتوسل أوديب إلى كريون أن يطرده من طيبة ، ولا يطلب منه إلا شيئاً واحداً - العناية بأولاده .

موت أوديب^(٥) :

لم يطرد كريون أوديب من طيبة حالاً . فقد عاش لبعض الوقت في القصر ، معزولاً عن الجميع ، مستسلماً لمصابه . لكن سكان طيبة خافوا أن يجر بقاء أوديب في طيبة سخط الآلهة على البلاد بأسرها . فطالبوا بطرد أوديب الأعمى فوراً . ولم يعارض هذا القرار ابنا أوديب اتيوكليس وبولينيس ، فقد كانا يريدان أن يحكما في طيبة بنفسهما . طرد سكان طيبة أوديب وتقاسم ولداه السلطة مع كريون .

رحل أوديب الأعمى والضعيف ، وقد نفى من طيبة ، إلى بلاد الغربية . وكان الموت الحتمي سيحيق به ، وهو الكهل العاجز ، لولا ابنته أنتيغون ، ذات القلب النبيل والروح القوية ، والتي قررت أن تكرس كل حياتها لأبيها . فقد رافقت أوديب إلى منفاه . كان الشيخ البائس ينتقل من بلاد إلى أخرى ، تقوده أنتيغون . وبكل عناية وحرص كانت أنتيغون تقوده عبر الجبال والأحراج المظلمة ، وتقاسمه كل محن الطريق الصعب ومخاطره .

وبعد تطواف طويل وصل أوديب أخيراً إلى إيثاكة ، إلى مدينة أثينا . لكن أنتيغون لم تعرف إلى أين جاءت بأبيها . وغير بعيد تراءت لها أسوار المدينة وأبراجها ، تغمرها أشعة الشمس ، التي أشرقت للتو . وبالقرب من المدينة كانت توجد غيضة غار خضراء ، وقد التفت عليها الكرمة واللبلاب ، وفي الغيضة كانت تلمع هنا وهناك بعض أشجار الزيتون ، ذات الخضرة الفضية . ومن الغيضة كان

يتناهى غناء البلابل الشجي . وكانت الجداول تتدفق بخيرير قوي عبر الوادي الأخضر، وفي كل مكان كانت تتلألأ أزهار النرجس البيضاء، ويفوح أريج الزعفران الأصفر. في هذه الغيضة، في ظل الغار، جلس أوديب المعذب على حجر، أما أنتيغون فقد همت بالذهاب لتسأل عن هذا المكان . ومر بهما أحد المستوطنين وقال لأوديب أنهما في كولون، وهي مكان بالقرب من أثينا^(١)، وأن الغيضة، حيث يجلس أوديب، منذورة للأومينيدات، أما المكان كله في الجوار فمندور لبوزيدون وبروميثيوس، وأما المدينة فهي أثينا، ويحكمها البطل العظيم ثيسسيوس ابن إيجيوس . وحين سمع أوديب ذلك راح يرجو المستوطن أن يرسل أحدهم إلى الملك ثيسسيوس، لأنه يريد أن يقدم له خدمة كبيرة إذا ما وافق ثيسسيوس على إيوائه لديه لبعض الوقت . كان من الصعب على المستوطن أن يصدق أن هذا الشيخ الضعيف والأعمى قادر على تقديم المساعدة للملك أثينا الجبار . ذهب المستوطن إلى كولون وهو في غاية الشك والريبة، وراح يتحدث هناك عن الشيخ الأعمى، الجالس في غيضة الأومينيدات، والذي يعد بمساعدة ثيسسيوس نفسه .

أما أوديب فحين عرف أنه موجود في غيضة الأومينيدات المقدسة، أدرك أن منيته لم تعد بعيدة، حيث نهاية كل عذابه ومعاناته . فمنذ عهد بعيد تنبأ له أبولون أنه سيموت، بعد أن يضرب في الأرض طويلاً، ويتعذب ويعاني كثيراً، في غيضة الربات العظيمات، وأن من يقدم له ملاذاً يحصل على مكافأة سخية، أما أولئك الذين سيطردهونهم فإن الآلهة ستنزل بهم أقسى العقاب، وأدرك أوديب الآن أن الربات العظيمات هن الأومينيدات، اللواتي ظللن يلاحقنه دون كلل طيلة حياته . إن أوديب واثق أن الهدوء سيحل بالنسبة له أيضاً .

وفي هذا الوقت أسرع مواطنو كولون إلى غيضة الأومينيدات لكي يعرفوا من هذا الذي تجاسر على دخولها، في الوقت الذي لا يتجاسر فيه المواطنون

أنفسهم حتى على ذكر أسماء الربيات الرهيبات، ولا يجرؤون على النظر إلى معبدهن. سمع أوديب أصوات الكولونيين فطلب من أنتيغون أن تقوده إلى عمق الغيضة. وحينما راح الكولونيون يطلقون عليه صفة مدنس الغيضة، خرج أوديب إليهم، وذكر لهم اسمه، فتملكهم الرعب.

إذن فأوديب أمامهم! من في اليونان لا يعرف مصيره الفظيع؟، ومن لا يعرف الجرائم، التي وجد ابن لايوس المسكين نفسه مرتكبها دون قصد. كلا إن الكولونيين لا يستطيعون ترك أوديب هنا. خوفاً من سخط الآلهة. ولا يصغون لا إلى توسلات أوديب، ولا إلى توسلات أنتيغون، بل يطالبون بأن يغادر الشيخ الأعمى ضواحي كولون فوراً. هل يعقل أن أوديب لن يجد في أثينا - أيضاً - ملاذاً له، أثينا، تلك التي تشتهر في أوروبا بأسرها بأنها مدينة مقدسة، تقدم الحماية لكل من يلتمسها؟ ثم إن أوديب لم يأت إلى هنا بإرادته، إن قدومه سيعود باليمن والخير على المواطنين. أخيراً يرجوهم أوديب أن يمهلوه حتى قدوم ثيسوس على الأقل. وليقرر ملك أثينا ما إذا كان بوسع أوديب البقاء هنا، أم أنه يجب أن يطرد من هنا. وافق المواطنون على انتظار قدوم ثيسوس. وفي هذا الوقت ظهرت مركبة من بعيد، وعلى متنها امرأة في قبعة تسالية عريضة الحواف، تغطي وجهها. وتمعن أنتيغون النظر فيخيل إليها أن هذه المرأة إن هي إلا أختها إيسمين، وتقرب المركبة أكثر، وتعود أنتيغون فتتنظر بتمعن أكثر، فتكتشف أنها إيسمين فعلاً. وتقول أنتيغون:

- أرى أن ابنتك إيسمين قادمة إلى هنا، ولسوف تسمع صوتها الآن. ما إن وصلت إيسمين إلى حيث أبوها حتى نزلت من المركبة، وارتمت في أحضان أبيها، وهي تصيح:

- أبي! أبي المسكين! أخيراً أعانقك من جديد، أنت وأنتيغون. سر أوديب بقدوم إيسمين، فقد أصبح الآن برفقة ابنتيه: أنتيغون رفيقة

دربه ومساعدته البارة، وإيسمين التي لم تنس أباهما أبداً، وكانت ترسل له الأخبار من طيبة باستمرار.

كانت إيسمين تفتش عن أوديب لكي تنقل إليه أنباء محزنة: في البداية حكم ابنا أوديب طيبة سوية. لكن أصغرهما - ايتوكليس - مالبت أن انفرد بالسلطة لوحده، وطرد أخاه الأكبر بولينيس من طيبة. غادر بولينيس طيبة قاصداً أرغوس، حيث وجد المساعدة فيها. وهو الآن يزحف على رأس القوات نحو طيبة للاستيلاء على السلطة فيها، أول لقاء حثفه في ساح القتال. كما أخبرته إيسمين أيضاً أن عراف دلفي قد تنبأ بالغبلة لمن سيكون أوديب إلى جانبه. إن إيسمين على ثقة أن كريون، الذي يحكم بالتعاون مع إيتوكليس - لن يلبث أن يصل إلى هنا، لكي يختطف أوديب.

لكن أوديب لا يرغب أن يكون إلى جانب هذا الابن أوداك، إنه غاضب من ولديه لأنها وضعا الرغبة في الحكم فوق واجب الأبناء تجاه الآباء. إنه لا يريد مساعدة ولديه، اللذين لم يحركا ساكناً ضد طرده من طيبة. كلا، كلا لن يحصلوا بمساعدته على السلطة في طيبة. ولسوف يبقى أوديب هاهنا، ولسوف يكون حامياً لأثينا.

وينصح مواطنو كولون أوديب بتقديم الضحايا للأومينيدات إذا كان قد قرر البقاء في أثينا بشكل دائم. ويرجو أوديب أن يقوم أحد ما بتقديم هذه الضحايا لأنه، وهو الضعيف والأعمى، غير قادر على القيام بذلك. وتنبري إيسمين لتقديم هذه الضحايا، وتدخل إلى غيضة الأومينيدات.

لم تكذ إيسمين تنصرف حتى وصل ثيسوس إلى غيضة الأومينيدات مع حاشيته. ويستقبل أوديب ببشاشة، ويعدده بالحماية. إن ثيسوس يعرف جيداً مدى وطأة الحياة على الغريب، ويعرف كم قاسى وعانى. وكان بدوره قد ذاق الأمرين في أرض الغربية، فلم يستطيع رفض مساعدة أوديب المسكين المشرد.

ويعرب أوديب عن امتنانه لثيسوس ويعدده بالحماية . ويقول أن قبره سوف يكون دائماً حماية أكيدة للاثينيين .

لكن لم يكن قد كتب على أوديب أن يجد الطمأنينة بعد ، فلم يكذب ثيسوس ينصرف . حتى جاء كريون من طيبة على رأس قوة صغيرة . إنه يريد الاستيلاء على أوديب لكي يضمن لنفسه ولايتوكليس الغلبة على بولينيس وحلفائه . ويحاول كريون إقناع أوديب بالعودة معه إلى طيبة ، ويعدده بأن يعيش هناك حياة آمنة بين أهله وذويه ، محاطاً برعايتهم . لكن قرار أوديب لا يقبل الأخذ والرد ، ثم إنه لا يصدق كريون . إن أوديب يعرف دافع كريون من محاولاته الرامية إلى إقناعه بالعودة إلى طيبة ، كلاً من يعود معه . ولن يضع النصر في أيدي أولئك الذين جروا عليه كل هذه المصائب والمحن .

وحين رأى كريون أنه لا سبيل إلى ثني أوديب عن عزمه راح يهدده بإعادته إلى طيبة عنوة . لكن أوديب لا يخاف العنف : فهو تحت جناح ثيسوس وجميع الأثينيين . لكن كريون يخبر الشيخ الأعمى العاجز بشماته أن إحدى ابنتيه - إسمين - قد اختطفت ، ويهدد أوديب باختطاف ابنته أنتيغون - سند أوديب الوحيد ، وللحال ينفذ كريون تهديده ، فيأمر بالإمساك بانتيغون . عبثاً راحت أنتيغون تستغيث بالاثينيين ، وعبثاً راحت تمد يديها نحو أبيها ، فقد أخذوها ، والآن أصبح أوديب وحيداً لا حيلة له : بعد أن سلبوه العينين اللتين كانتا تقومان بالرؤية له ، وأهاب أوديب بالأومينيدات ليكن شهوداً ، وراح يصب لعناته على كريون ، ويدعو عليه بأن يقاسي كما قاسى هو ، ويتمنى له أن يفقد أبنائه . أما كريون فقد عمد ، بعد أن لجأ إلى العنف مرة ، إلى اللجوء إليه لاحقاً . فيمسك بأوديب ، يريد جره . لكن سكان كولون ينبرون لحمايته ، ولما كان الكولونيون قليلي العدد ، غير قادرين على التصدي لقوات كريون ، فقد راحوا يصرخون طالين النجدة . وقد هرع ثيسوس وحاشيته لمساعدتهم .

أثار عنف كريون سخط ثيسوس، فكيف يتجاسر على خطف أوديب وابنتيه هنا في غيضة الأومينيدات؟ هل يعقل أنه كان يعتقد أن الناس في أثينا قلة، وهل يعقل أنه لا يقيم لثيسوس وزناً مادام يجرؤ على خطف أولئك الموجودين تحت حماية أثينا؟ فهل علموه في طيبة التصرف بهذا الشكل المخالف للقانون؟ كلا: إن ثيسوس يعرف أن سكان طيبة لا يصبرون على الخروج على القانون. إن كريون يجر العار على مدينته ووطنه، وهو، وإن كان من حيث العمر شيخاً، إلا أنه يتصرف على غرار الشاب الطائش، ويطالب ثيسوس بأن تعاد ابنتا أوديب فوراً. ويحاول كريون تبرير فعلته بقوله أنه كان على ثقة أن أثينا لن تقدم الملاذ لقاتل أبيه ولزوج أمه.

لكن ثيسوس متمسك بقراره، ومصر على أن يعيد كريون ابنتي أوديب. خضع كريون لطلب ثيسوس، ولم يلبث الشيخ أوديب أن عانق ابنتيه، وراح يشكر ملك أثينا الشهم، داعياً الآلهة أن يباركوه.

ويقول ثيسوس لأوديب:

- اسمعني يا أوديب، هنا، لدى مذبح بوزيدون، حيث قدمت القربان قبيل وصول كريون، يجلس فتى يريد أن يتحدث إليك.

ويسأل أوديب:

- ومن يكون هذا الفتى؟

فيرد ثيسوس:

- لا أعرف. لقد جاء الفتى من أرغوس. فكر، أليس عندك بعض الأقرباء في أرغوس؟

وصاح أوديب، إذ سمع ذلك:

- كلا، لا تطلب مني يا ثيسوس أن أتحدث إلى هذا الفتى. فمن كلامك فهمت أنه ابني بولينيس، الذي أكره. إن كلامه لا يسبب لي إلا العذاب.

ويقول ثيسوس :

- لكنه إنما جاءك متوسلاً ، وليس بوسعك أن تردّه خائباً ، فتثير سخط الآلهة .
حين سمعت أنتيغون ، أن بولينيس هنا راحت - بدورها - تطلب من أوديب
أن يصغي له ، وإن كان قد اقترب وزراً كبيراً بحق أبيه . ويوافق أوديب على أن
يصغي لابنه ، ويسير ثيسوس في أثره .

ويأتي بولينيس ، وقد ترققت عيناه ، إنه يبكي ، وهو يرى أباه أعمى ، وفي
ثياب شحاذ ، وقد شاب شعره وراحت الريح تعبت به ، وعلى وجهه آثار الجوع
الدائم والحerman . الآن فقط أدرك بولينيس كم كان قاسياً في سلوكه تجاه أبيه ،
ويقول له ، باسماً ذراعيه نحوه :

- أبي ! قل لي كلمة واحدة فقط ، لاتدر ظهرك لي ! رد علي ، ولاتركني بدون
جواب ! وانتما ياشقيقتاي هلا أقنعتما والدي بأن لايصرفني دون أن يقول لي
كلمة واحدة .

وتطلب أنتيغون من أخيها أن يقول لأبيه عن الغرض من قدمه ، وكانت
على ثقة أن أوديب لن يترك ابنه دون جواب :

ويحدثهم بولينيس كيف طرده أخوه الأصغر من طيبة وكيف قصد أرغوس ،
وتزوج هناك ابنة الملك أدرستوس ، وعثر على من يساعده في انتزاع السلطة من
أخيه ، الذي اغتصبها منه باعتباره الأخ البكر .
وتابع بولينيس :

- إننا نحن ، جميع الزاحفين ضد طيبة ، نهيب بك ياأبتاه ، ونستحلفك بحياتك ،
بأولادك ، أن تذهب معنا . إننا نتوسل إليك أن تنسى غضبك ، وتساعدنا في
الانتقام من ايتوكليس ، الذي طردني واغتصب وطني مني . إن العرافين يقولون
أن النصر سيكون حليف من ستناصر ، هلا أصغيت إلي بعين العطف !

أستحلفك بالآلهة أن ترافقني . ولسوف أعيد لك دارك ، أما هنا في أرض الغربية فإنك شحاذ، شحاذ مثلي أنا .

لكن أوديب لم يصغ لكلام ابنه ، ولم تؤثر فيه توسلاته . إن بولينيس يحتاجه الآن من أجل الاستيلاء على طيبة . أوليس هو من طرده من طيبة آنذاك؟ أوليس هو من جعله مشرداً؟ أوليس بسببه يرتدي أوديب هذه الأسكال؟ كلا! ولداه نسيا واجبهما إزاء أبيهما . ابتناه وحدهما ظللتا مخلصتين له ، وبقيتا تعنتيان به وتحترمانه باستمرار.

وصاح أوديب:

- كلا لن أساعدك على دمار طيبة ، وقبل أن تستولي على طيبة سوف تسقط مضرجاً بدمك ، ولسوف يسقط معك أخوك إيتوكليس . إنني أعود فأصب عليكما لعنتي لكي لاتنسيا كيف يجب أن يحترم الأب . اجر من هنا أيها المنبوذ . الذي لم يعد لك أب ، حاملاً لعناتي معك ! ولتَمُتْ في نزالك مع أخيك ! اقتل من طردك . إنني أدعو الأومينيدات والإله أريس ، الذين أثاروا الشقاق بينكما ، أن ينزلوا بكما العقاب . اذهب واخبر جميع من يرافقك بقسمة أوديب العادلة للهبات بين ولديه .

ويصيح بولينيس:

- يا لشقائي ! يالبؤسي . هل بمقدوري إبلاغ رفاقي بجواب والدي ! كلا، إن علي أن أذهب للقاء مصيري بصمت .

انصرف بولينيس دون أن يتمكن من جعل أبيه يصفح عنه ، ويمد له يد المساعدة ، انصرف ، ولم يصغ لتوسلات أنتيغون بأن يعود إلى أرغوس ، وأن لا يضرم نار الحرب ، التي تهدده هو وأخاه وطيبة بالهلاك .

دنت ساعة أوديب ، وتردد في السماء الصافية هزيم الرعد ، وومض البرق . كان جميع الموجودين لدى غيضة الأومينيد يقفون ذاهلين من علامة زوس المتوعدة

هذه . ويقصف الرعد من جديد ، ويومض البرق الساطع مرة أخرى . واقتشعرت
أبدان الجميع من شدة الخوف .

وقال أوديب لابنتيه :

- ناديا ثيسوس بسرعة ! إن رعود زوس هذه تنذر بقرب نزولي إلى مملكة هادس
الكثيب ! لاتضيعا الوقت ! ارسلا في طلب ثيسوس فوراً . لقد دنا أجلي .
لم يكذ أوديب يقول هذا حتى تردد قصف الرعد من جديد ، وكأنه يؤكد
كلامه . وقد أسرع ثيسوس إلى غيضة الأومينيد . وقال له أوديب حين سمع
صوته :

- لقد دنت منيتي يا حاكم أثينا ! إن رعود زوس وبروقه تنذر بدنو أجلي ، وبودي أن
أموت بعد أن أنفذ ما وعدتك به . لسوف أقودك بنفسي إلى ذلك المكان ، الذي
سأموت فيه ، لكن لا تكشف لأحد مكان وجود قبري ، فلسوف يحمي قبري
مدينتك أفضل من العديد من التروس والرماح . وهناك سوف تسمع مالا
أستطيع أن أقوله لك هنا . صن هذا السر ، واكشف عنه عند دنو أجلك لابنك
البكر ، على أن يكشفه بدوره لوريثه . فلنذهب يا ثيسوس ، هيا يا ابنتي ! الآن
سوف أقودكم أنا الأعمى ، أما أنا فسيقودني هرمس وبرسفونة .

اقتفى ثيسوس ، أنتيغون وإسمين أثر أوديب . أما هوفكان يقودهم وكأنه
بصير . وحين وصل إلى المكان ، الذي ينزل فيه إلى مملكة أطياف الموتى ،
الدامسة ، جلس على حجر . استعد أوديب للموت ، فعانق ابنتيه ، وقال لهما :
- لن يكون لديكما بعد اليوم والد يا ابنتي ، فلقد أصبحت تحت رحمة إله الموت
ثاناتوس . ولن يثقل عليكما بعد الآن واجب العناية بي ورعايتي .

عانقت أنتيغون وإسمين والدهما ، وهما تبكيان بصوت عال ، وفجأة تردد
من الأعماق صوت خفي : «عجل ، عجل يا أوديب ! مابالك لاتأتي ؟ مابالك
تتباطأ؟» . وحين سمع أوديب الصوت الخفي نادى ثيسوس ، ووضع يدي ابنتيه

في يده، وراح يتوسل إليه أن يكون لهما حامياً. وقد أقسم ثيسوس أن ينفذ طلب أوديب. أوعز أوديب لابنتيه بالانصراف، لم يكن يريد أن تريا ماذا سيجري، ولا أن تسمعا السر، الذي كان يريد أن يفضي به لثيسوس. انصرفت أنتيغون وإيسمين، وبعد أن ابتعدتا قليلاً التفتتا لتريا أباهما للمرة الأخيرة، لكنه لم يكن موجوداً، وحده ثيسوس كان يقف وقد غطى عينيه بيديه، لكأنه رأى مشهداً مرعباً. ومن ثم رأت أنتيغون وإيسمين ثيسوس، وهو يركع، وراح يصلي. هكذا انتهت حياة أوديب المفعممة بالعذاب، ولا يعرف أي من الفانين كيف مات، ولا أين يوجد قبره. لقد غادر إلى مملكة هادس بدون أنين وبدون ألم، لقد ذهب إلى هذه المملكة، كما لا يذهب إليها أي بشر.

سبعة ضد طيبة^(٧):

حين طرد أوديب الأعمى من طيبة تقاسم ولداه السلطة مع كريون. وكان كل من الثلاثة يحكم بالتناوب لمدة عام كامل. لكن إيتوكليس لم يرغب في أن يقاسمه أخوه بولينيس السلطة، فطرد أخاه واستولى على السلطة في طيبة. أما بولينيس فقد ذهب إلى أرغوس، حيث يحكم الملك أدراستوس. كان الملك أدراستوس سليل أسرة الأميثاونيس، وكان البطلان، العراف العظيم ميلامبوس وبياس، ابنا البطل أميثاونوس قد تزوجا ابنتي الملك بروثيتوس. وقد حدث ذلك على النحو التالي: كانت بنات بروثيتوس قد أغضبن الآلهة، فعوقبن بأن سلط الآلهة عليهن الجنون. كانت بنات بروثيتوس يتخيلن - في نوبات الجنون - أنهن بقرات، وكن يجرين عبر السهول والغابات القريبة، وهن يجرن. ولما كان ميلامبوس يعرف السر الكفيل بشفاء بنات بروثيتوس، فقد انبرى لعلاجهن، لكنه طالب بثلاث أملاك بروثيتوس مكافأة له.

لم يوافق بروثيتوس على هذا . فازداد الطين بلة ، حيث انتقلت عدوى الجنون إلى النساء الأخريات ، ومن جديد قصد بروثيتوس ميلامبوس ، الذي لم يعد يكتفي بثلاث أملاكه ، بل راح يطالب بالثلثين ، ثلث له وآخر لأخيه بياس . وكان على بروثيتوس أن يوافق .

اتجه ميلامبوس على رأس كوكبة من الشباب إلى الجبال ، وبعد مطاردة طويلة أمسك بجميع النسوة المجنونات وبنات بروثيتوس ، ثم شفاهن . وقد زوج بروثيتوس اثنتين من بناته لكل من ميلامبوس وبياس .

كان لدى ميلامبوس ابن اسمه انتيثاتوس ، رزق بولد اسمه أويكليس ، أنجب أمفياروس . أما بياس فقد كان له ولد ، اسمه تيلالوس أنجب أدراستوس وإيريفيل . وحين شب حفيدا ميلامبوس وبياس - أدراستوس وأمفياروس^(٨) دب النزاع بينهما ، وقد اضطر أدراستوس للهرب إلى بوليوس ، ملك سيكيون^(٩) ، وهناك تزوج ابنة الملك ، وتسلم مقاليد الحكم في سيكيون . وبعد مرور بعض الوقت عاد أدراستوس إلى موطنه أرغوس ، وتصالح مع أمفياروس ، وزوجه أخته إيريفيل ، وتعهد أدراستوس وأمفياروس أن تكون إيريفيل الحكم الدائم بينهما في كل نزاع ينشب بينهما ، وأن عليهما أن يلتزما بالحكم الذي تصدر دون نقاش . ولم يكن يخطر ببال أمفياروس أن هذا القرار سيكون سبب هلاكه وهلاك ذريته .

ففي وقت متأخر من الليل وصل بولينيس قصر الملك أدراستوس ، أملاً في العثور لديه على الحماية والمساعدة . ولدى القصر التقى بولينيس والبطل تودايوس ، ابن أونوس^(١٠) ، الذي هرب من بلاده بدوره إلى أرغوس . بعد أن قتل هناك عمه وأولاد عمه . وقد نشب بين تودايوس وبولينيس جدل في غاية العنف ، وعمد تودايوس الجمامح ، الذي لا يجب أن يعترض عليه أحد ، إلى امتشاق سلاحه ، وبدوره استل بولينيس سيفه ، واحتمى بترسه ، واشتبك تودايوس وبولينيس .

كان سيفاهما يقرقان على ترسيهما المطليين بالنحاس . كانا يتصارعان في

الظلمة كالأسدين الضاريين . سمع أدراستوس ضجة المبارزة فخرج من قصره .
وكم كانت دهشته كبيرة حين رأى هذين الشابين ، وهما يتقاتلان بضراوة . كان
بولينيس يضع فوق سلاحه جلد أسد ، أما تودايوس فكان يضع جلد خنزير بري
ضخم . تذكر أدراستوس النبوءة ، التي تنبأ له بها العراف بأن عليه أن يزوج ابنتيه
لأسد وخنزير بري . سارع أدراستوس إلى تفريقهما ، وأدخلهما قصره ضيفين . ولم
يلبث الملك أدراستوس أن زوجها ابنتيه ، فأعطى ديبيلاً لبولينيس وأرغياً
لتودايوس .

بعد أن أصبح بولينيس وتودايوس صهري أدراستوس راحا يرجوانه أن يعيد
لها السلطة في وطنهما . وقد وافق ادراستوس على مساعدتهما ، بشرط واحد - أن
يشترك أمفياروس ، المقاتل الجبار والعراف الشهير في هذه الحملة بدوره .
تقرر الزحف على طيبة ، ذات البوابات السبع ، أولاً . وقد رفض
أمفياروس الاشتراك في هذه الحملة لأنه كان يعرف أن القيام بهذه الحملة مخالف
لمشيئة الآلهة . ولم يكن يريد ، وهو محبوب زوس وأبولون ، أن يغضب الآلهة
بالخروج على مشيئتهم . وعلى الرغم مما بذل تودايوس من جهد ، فإنه لم يستطع
ثني أمفياروس عن عزمه . وهنا استبد الغضب بتودايوس ، وكان يمكن أن يصبحا
عدوين إلى الأبد لو لم يسارع أدراستوس إلى إحلال الصلح بينهما . وقد لجأ
بولينيس إلى الحيلة لجعل أمفياروس يشارك في الحملة . فقد قرر استمالة إيريفيل
إلى صفه لإرغام أمفياروس على محاربة طيبة . ولما كان بولينيس يعرف حب
إيريفيل للمنفعة الشخصية فقد وعداها بعقد هارمونيا ، زوجة قدموس ، ملك
طيبة ، الأولى . أغرت هذه الهدية إيريفيل ، وقررت أن على زوجها أن يشارك في
هذه الحملة . ولم يكن بمقدور أمفياروس أن يرفض : فقد سبق له أن أقسم بطاعة
كل قرارات إيريفيل .

هكذا أرسلت إيريفيل زوجها إلى موت مؤكد . رغبة منها في الحصول على

عقد هارمونيا الثمين، دون أن تعرف أن هذا العقد يجرب البلاء والمصائب على كل من يكون في حوزته.

الكثيرون من الأبطال وافقوا على الاشتراك في هذه الحملة. فقد اشترك فيها حفيدا بروثيتوس الجباران كابانيس وايتوكليس، وبارثينوبيوس الشاب الجميل، ابن الصيادة الاركادية الشهيرة اطلنطا، وهياميدون الشهير والعديد من الأبطال الآخرين. ويتوجه بولينيس بطلب المساعدة من ميسين. وقد وافق حاكم ميسين على الاشتراك في الحملة، لكن زوس، قاذف الصواعق، منعه من ذلك بعلاماته المتوقعة. ومع ذلك فقد احتشدت قوات كبيرة. سبعة زعماء قادوا هذه القوات ضد طيبة، وكان أدراستوس على رأس الجميع. كان الأبطال ذاهبين إلى حتفهم. ولم يصغوا لنصائح العراف أمفياروس، الذي طلب منهم أن لا يشنوا هذه الحملة. كان يحدوهم جميعاً أمل واحد - القتال تحت أسوار طيبة.

بدأت القوات الحملة. وودع أمفياروس أسرته، فعانق بناته وعانق ولديه، الكميون الفتى، وأمفيلوخ الصغير، الذي كان لا يزال في حضن مرضعته. وقبيل رحيله استحلف ابنه الكميون بأن ينتقم من إيريفيل، التي أرسلته إلى الموت الأكيد.

صعد أمفياروس متن المركبة وهو في غاية الحزن، فهو يعرف أنه يرى أولاده للمرة الأخيرة. وخاطب أمفياروس زوجته إيريفيل، وهو واقف في مركبته، مهدداً إياها بسيفه، وراح يصب عليها اللعن لأنها حكمت عليه بالموت.

وصلت القوات إلى نيميوس^(١) بسلام، وهناك راح المقاتلون يفتشون عن الماء، وقد أضناهم الظمأ، لكنهم لم يعثروا على أي نبع، لأن الحوريات ردمن الينابيع بإيعاز من زوس، الذي غضب من الأبطال، لأنهم شنوا هذه الحملة ضد إرادته. أخيراً التقوا هيسيبيل، ملكة ليمنوس سابقاً، وفي حضنها أوفيلتوس الصغير، ابن ليكورغوس، ملك نيمي. وكانت نساء ليمنوس قد بعن هيسيبيل

في سوق النخاسة لأنها أنقذت والدها ثاوس ، حين قتلن الرجال لديهن . والآن كانت ملكة ليمنوس جارية عند ليكورغوس ، تقوم على تربية ولده . أجلست هيبسييل أوفيلتوس الصغير على العشب ، وذهبت لتدل المقاتلين على جدول ماء ، مختف في الغابة . ولم تكدهيبسييل تبعد عن أوفيلتوس برفقة المقاتلين حتى خرجت من بين الشجيرات أفعى ضخمة ، والتفت حول الطفل . وعلى صراخه هرع المقاتلون وهيبسييل ، كما هرع ليكورغوس لنجدته ومعه زوجته إيفريديكا ، لكن الأفعى كانت قد خنقت أوفيلتوس . انقض ليكورغوس على هيبسييل ممتشقا سيفه . وكان من شأنه أن يقتلها لو لم يحمها توديوس . وكان يهيم بقتال ليكورغوس ، لكن أدرستوس وأمفياروس حالا بينه وبين ذلك ، لم يسمحا بإراقة الدماء . دفن الأبطال أوفيلتوس ، وفي جنازته أقام المقاتلون الألعاب التي كانت بداية الألعاب النيمية . وقد أدرك أمفياروس أن موت أوفيلتوس نذير شؤم لكل القوات ، وأن هذا الموت ينذر بهلاك جميع الأبطال . وقد أطلق أمفياروس على أوفيلتوس اسم أرخيموروس (من يقود إلى الموت) ، ونصح بوقف الحملة ضد طيبة ، لكن المقاتلين لم يصغوا إليه ، كما في الماضي . وتابعوا سيرهم بعناد للقاء حتفهم .

وصلت القوات سواحل آسوب ، إلى أسوار طيبة ، ذات البوابات السبع ، عابرة وديان وشعاب كثير ون^(١٧) الحراجي . ولم تبدأ القوات الحصار مباشرة ، فقد تقرر إرسال تيديوس إلى طيبة للتفاوض مع المحاصرين . ولدى وصوله إلى طيبة وجد تيديوس أعيان طيبة يحتفلون عند إيتوكليس . لم يصغ أعيان طيبة لكلام تيديوس ، بل راحوا يدعونه - ضاحكين - لمشاركتهم في المأدبة . غضب تيديوس ، وعلى الرغم من أنه كان وحيداً وسط الأعداء فقد تحداهم لقتاله وقد تغلب عليهم واحداً إثر آخر ، لأن أثينا بالاس سارعت إلى مساعدة محبوبها . تملك الغضب الطيبين ، وقرروا القضاء على البطل العظيم ، فأرسلوا خمسين شاباً بقيادة

ميونتوس وليكوفون لنصب كمين لتيديوس وهو في طريق عودته إلى معسكر المحاصرين . وحتى هنا كتبت لتيديوس النجاة ، فقد قتل جميع الشباب ، ولم ينج منهم سوى ميونتوس ، الذي تركه تيديوس يذهب ، كما أمرته الآلهة ، كي يتمكن ميونتوس من إعلام الطيبين بمأثرة تيديوس .

بعد ذلك ازدادت حدة العداة بين القادمين من أرغوس وبين الطيبين . وقد عمد جميع الزعماء السبعة إلى تقديم الأضاحي للإله أريوس ولجميع آلهة القتال ، وللاله ثاناتوس^(١٣) . وبعد أن بلل الجميع أيديهم بدم الأضاحي أقسموا ، إما أن يدكوا أسوار طيبة ، وإما أن يسقطوا في القتال ، فيروا أرض طيبة بدمهم . استعدت قوات أرغوس لاقتحام المدينة ، ووزع أدراستوس القوات ، وكان على كل زعيم من الزعماء السبعة أن يتقدم لاقتحام إحدى بوابات المدينة السبع .

وقف تيديوس مع قواته مقابل بوابة بروثيتوس وهو متعطش للدم ، كالتنين الضاري ، وعلى خوذته كانت ترفرف ثلاثة عرف ، وعلى ترسه كانت صورة السماء في الليل ، ومرصعة بالنجوم ، وفي الوسط - عين الليل ، القمر بدرأ . وفي مواجهة بوابة اليكتر اوقف على رأس قواته كابانيوس ، وراح يهدد الطيبين بالاستيلاء على المدينة ، حتى ولو كان الآلهة يعارضون ذلك . وقال إنه حتى سحق قاذف الصواعق زوس ، الذي يدمر كل شيء ، لن يمنعه من ذلك ، وعلى ترس كابانيوس كانت توجد صورة بطل عارٍ يحمل مشعلاً في يديه . أما إيتوكليس ، حفيد بروثيتوس ، فقد وقف على رأس قواته في مواجهة بوابة نيسا ، وكان على ترسه شعار يمثل رجلاً يتسلق سلماً للوصول إلى برج مدينة محاصرة ، وقد كتبت في الأسفل عبارة : «الإله أريس نفسه لن يوقفني» .

وفي مواجهة بوابة أثينا وقف هيوميديون ، وعلى ترسه الساطع كالشمس كانت صورة تيفون قاذف اللهب ، كانت صرخة الحرب ، التي أطلقها هيوميديون مرعبة ، وكانت نظرة عينية تهدد بالموت كل واحد . أما بارثينوبيوس ، الشاب

الجميل ، فقد وضع قواته مقابل بوابة بورياس ، وكان ترسه يحمل صورة سفينيكس وبين مخالفه طيبي يعاني من سكرات الموت . وأما العراف أمفياروس فقد حاصر بوابة غوموليوس ، وكان غاضباً من تيديوس بسبب هذه الحرب ، وكان يشتمه ، ويصفه بمدمر المدن ، نذير الشؤم ، خادم القتل ، وسبب المحن المختلفة . كان يكره هذه الحملة ، ويلوم بولينيس لأنه جلب القوات الأجنبية ليدمر بلدة طيبة . كان أمفياروس يعرف أن الأحفاد سوف يلعنون المشاركين في هذه الحملة ، كما كان يعرف أنه سيسقط في القتال ، وأن أرض طيبة سوف تبتلعه . لم يكن ترس أمفياروس يحمل أي شعار، وكان شكله وحده أقوى تأثيراً من أي شعار . أما البوابة السابعة والأخيرة فقد كان بولينيس هو الذي حاصرها . وكان ترسه يحمل صورة الربة تقود بطلاً مسلحاً ، وقد كتبت على الترس العبارة التالية : «إني سأدخل هذا البطل منتصراً إلى مدينته وإلى دار آبائه» . كان كل شيء جاهزاً لاقتحام أسوار طيبة المنيعة .

ويدورهم كان الطيبون قد استعدوا للقتال : فقد وضع إيتوكليس لدى كل بوابة قصيلاً ، على رأسه بطل معروف . أما هو فقد أخذ على عاتقه الدفاع عن تلك البوابة التي كان أخوه بولينيس يحاصرها . وقد تصدى لتيديوس ميلانيوس الجبار ، ابن أستاخوس ، حفيد أحد المقاتلين ، الذين نموا من أسنان التنين ، الذي قتله قدموس . وأرسل إيتوكليس للتصدي لكابانيوس بوليفون ، الذي كانت أرتيميس نفسها تساعده ، ووقف ميقياريوس ، ابن كريون ، على رأس قوة لدى البوابة ، التي كان سيهاجمها برويتيد إيتوكليس ، وأرسل هيربيوس ، ابن أوينوروس ، للتصدي لهيوميدون ، والبطل أكتور للتصدي لبارثينوباوس ، وليسفين للتصدي لأمفياروس ، وهوشاب بقوته ، عجز بعقله . وبين أبطال طيبة كان بيريكليميتوس الجبار ، ابن بوزيدون ، الذي لا يقهر .

وقبل بدء المعركة سأل إيتوكليس العراف ثيريسيوس عن نتائجها . وقد وعد

ثيريسوس بالنصر فقط في حال التضحية بمينوسوس، ابن كريون، لأريس (الذي كان لا يزال غاضباً لقتل قدموس الأفعى المذكورة له).

حين عرف الشاب مينوسوس بهذه النبوءة صعد إلى سور طيبة، ووقف مقابل الكهف، الذي كانت تعيش فيه سابقاً الأفعى المذكورة لأريس، ثم طعن نفسه بسيفه. هكذا مات ابن كريون، مضحياً بنفسه من أجل إنقاذ وطنه طيبة. كان كل شيء يبشر بأن الغلبة ستكون للطيبين. فقد زال سخط أريس، وكان الآلهة إلى جانب الطيبين، الذين كانوا يراعون مشيئة الأرباب وعلاماتهم. لكن النصر لم يتحقق لسكان طيبة فوراً، فما إن خرجوا من وراء الأسوار حتى دخلوا القتال ضد قوات أرغوس عند معبد أبولون. لكنهم اضطروا، أمام زحف الأعداء، إلى الانسحاب، والاحتباء خلف الأسوار من جديد. اندفع الأرغوسيون يطاردون الطيبين المنسحبين، ثم بدأوا يحاولون اقتحام الأسوار. فقد عمد كابانيوس المغرور، الفخور بقوته الخارقة، إلى وضع السلم إلى السور، وكاد يقتحم المدينة، لكن زوس لم يرض أن يدخل طيبة أحد ضد مشيئته، فقذف كابانيوس، حين وقف فوق السور، ببرقه الساطع. أصاب زوس كابانيوس إصابة قاتلة، فقد احترق جسمه، وسقطت جثته، وهي تدخن من على السور عند أقدم الأرغوسيين الواقفين في الأسفل.

وفي حصار طيبة سقط بارثينوبايوس الشاب، بعد أن ألقى بيركليمينوس الجبار حجراً كبيراً، بحجم الصخرة، على رأسه من فوق الأسوار. تراجع الأرغوسيون عن الأسوار: فقد اقتنعوا أنهم لن يتمكنوا من اقتحام طيبة. والآن أصبح بوسع الطيبين أن يفرحوا، فقد كانت أسوار طيبة تقف منيعة راسخة.

وحينذاك قرر المتحاربون أن على الأخوين بولينيس وإيتوكليس أن يتبارزا لمعرفة لمن منهما سيكون الحكم في طيبة. استعد ابنا أوديب للقتال. ومن بوابة طيبة

خرج ايتوكليس، مدججاً بسلاحه، ومن معسكر الأرغوس خرج بولينيس لملاقاته. كان الأخوان يكتنان كل الكراهية لبعضهما. كان على أحدهما أن يسقط حتماً. لكن المويرات، الربات العظيمة القاسيات، كن يندرن بشيء آخر. فلم تنس الأومينيدات المنتقمات لعنات أوديب، ولا جرائم لايبوس، ولا لعنات بيلوبس.

التقى الأخوان في المباراة الطاحنة كأنهما أسدان ضاريان، يتقاتلان من أجل الفريسة. كانا يقتتلان وكل منهما يحتمي بترسه، ويرصد بعينين ملؤهما الكراهية أخاه، ولم يكدا ايتوكليس يتراجع حتى رماه بولينيس برمحه، فأصابه في فخذه، فتدفق الدم من جرحه، لكن بولينيس كشف أثناء الضربة عن كتفه، فأصابه ايتوكليس برمحه في كتفه. انثنى الرمح لدى ارتطامه بدروع بولينيس، وانكسرت قناته. ولم يبق لدى ايتوكليس سوى السيف. انحنى بسرعة، وتناول حجراً كبيراً، قذف به أخاه، فأصاب الحجر الرمح، وكسره. وهكذا فقد أصبح الأخوان وليس لدى كل منهما سوى سيفه. وكانا كلاهما جريحين، وقد اصطبغت دروعهما بالدم، وبسرعة خطا ايتوكليس خطوة إلى الوراء، ولما لم يكن بولينيس يتوقع ذلك، فقد رفع ترسه، فطعنه أخوه بسيفه. سقط بولينيس على الأرض، وتدفق الدم نهراً من جرحه الهائل، وغشيت عينيه ظلمة الموت. كان ايتوكليس يشعر بلذة النصر، وقد دنا من أخيه بسرعة، يريد نزع دروعه عنه، لكن بولينيس جمع آخر ما بقي لديه من قوة، ونهض قليلاً، ثم طعن أخاه بالسيف في صدره. ومع هذه الطعنة طارت روحه إلى مملكة هادس الكثيية، وسقط ايتوكليس، مثل البلوطة المقطوعة ميتاً فوق جثة أخيه، واختلط دمهما، وهو يصرخ الأرض من حولهما.

كان الطيبون والأرغوسيون ينظرون إلى نتيجة المباراة وقد استبد بهم الرعب.

لم تعمّر طويلاً الهدنة بين المحاصرين والمحاصرين . فقد استعر القتال الدامي بينهما من جديد . وفي هذه المعركة وقف الآلهة لحماية الطيبين . فسقط هيبوميديون وبروثيتوس وإيتوكليس . وتيديوس ، الذي لا يقهر ، أصيب بجرح قاتل على يد ميلانيوس الجبار . لكن تيديوس وجد في نفسه القوة للانتقام من ميلانيوس وصرعه برمحه . وحين رأت أثينا بالاس تيديوس يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وهو مضرج بالدم ، التمسّت من زوس أن يسمح لها بإنقاذ محبوبها ووهبه الخلود ، فكان لها ما أرادت . أسرعّت أثينا نحو تيديوس ، وفي هذا الوقت قطع أمفياروس رأس ميلانيوس ، ورمى بها لتيديوس المحتضر . وفي عنف مجنون أمسك بها تيديوس ، وحطم الجمجمة ، وكما الوحش الضاري راح يشرب مخ عدوه ، ارتعشت أثينا وهي ترى عنف تيديوس وتعطشه للدم ، فغادرته ، ولم يلحق تيديوس المحتضر إلا أن يهمس لأثينا بالتماسه الأخير - أن تهب ابنه ديوميدي^(١٤) ذلك الخلود ، الذي لم يحصل عليه هو .

انتصر الطيبون على الأرغوسيين ، وسقطت كل قواتهم في ضواحي طيبة ، وهلك أمفياروس أيضاً . فقد حاول النجاة بجلده ، مستخدماً مركبته ، التي يقودها باطون ، لكن بيريكليمينوس الجبار راح يطارده . وها هو بيريكليمينوس يلحق بالعراف العظيم ، وها هو يلوح برمحه ، لكي يطعنه به ، لكن برق زوس ومض فجأة ، وتردد هزيم الرعد ، وانشقت الأرض ، وابتلعت أمفياروس ومركبته القتالية . ولم ينج من بين جميع الأبطال سوى أدرستوس . فقد اندفع على حصانه أريون ، السريع كالريح ، واختبأ في أثينا ، ومن هناك عاد إلى أرغوس . كان الطيبون مبهجين ، فقد نجت طيبة . وفي جنازة مهيبة دفنوا جميع من استشهد من أبطالهم ، لكنهم لم يدفنوا الأبطال وجميع المحاربين الذين جاءوا من أرغوس برفقة بولينيس . وحتى بولينيس بقي ملقى في الميدان ، دون دفن ، لأنه رفع يده ضد وطنه .

عرفت زوجات الأرغوسيين وأمهاتهم أنهم لم يدفنوا، فجثن إلى أدراستوس في إيثاكة حزينات، لكي يتوسلن إلى الملك ثيسوس، أن يساعدهن في مصابهن، ويجبر الطيبين على تسليمهن جثث القتلى. وفي إيلوزينيا^(١) صادفن أم ثيسوس عند معبد دميترا واستطعن أن يقنعنها بالتوسط لدى ابنها لكي يطالب بتسليم جثث المقاتلين الأرغوس. تردد ثيسوس طويلاً، وأخيراً قرّر أن يساعد الأرغوسيات وأدراستوس. وفي هذا الوقت بالذات وصل مبعوث من كريون ملك طيبة، ليطالب ثيسوس بعدم تقديم المساعدة لنساء أرغوس وطرده أدراستوس من إيثاكة.

غضب ثيسوس، فكيف يجرؤ كريون على مطالبته بالخضوع لأوامره؟ أوليس حراً في اتخاذ القرارات التي يريد؟ زحف ثيسوس بقواته على طيبة، وانتصر على الطيبين، وأرغمهم على تسليم جثث جميع المقاتلين، الذين سقطوا. أقيمت سبع محارق، وضعت جثث المقاتلين عليها وأحرقت. أما جثث الزعماء فقد نقلت إلى إيلوزينيا، حيث أحرقت، أما رمادها فحملته أمهاتهم وزوجاتهم، إلى الوطن أرغوس.

ولم تبق في إيلوزينيا سوى جثة كابانيوس، الذي قتل بصاعقة زوس. كانت جثة كابانيوس مقدسة، لأن قاذف الصواعق نفسه هو الذي قتله. أقام الاثينيون محرقة ضخمة، ووضعوا جثة كابانيوس فوقها. وحين بدأت النار تشتعل جاءت زوجة كابانيوس أفادني الحسنة، ابنة ايفيتوس إلى إيلوزينيا. لم تستطع تحمل موت زوجها المحبوب. وفي ثياب الدفن الزاهية صعدت إلى صخرة كانت معلقة فوق المحرقة، ثم ألقت بنفسها في اللهب.

هكذا ماتت أفادني، ونزل طيفها برفقة طيف زوجها إلى مملكة هادس

الكثيية.

أنتيغون (١٦):

بعد انتصارهم على الأرغوسيين أقام الطيبون جنازة فاخرة لايوكليس ولجميع المقاتلين الذين سقطوا، أما بولينيس فقد قرر كريون والطيبون حرمانه من الدفن لأنه جلب الغزاة ضد طيبة. كانت جثته ملقاة في الميدان، قرب أسوار المدينة، وقد تركت لتمزقها الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة. لقد كتب على روح بولينيس الطواف الأبدي. ولم تستطع أن تجد الطمأنينة في عالم أرواح الموتى. وكم تألمت أنتيغون، ابنة أوديب، الطيبة، والتي فطرت على التضحية وإنكار الذات، كم تألمت وهي ترى تلك الإهانة، التي يتعرض لها أخوها. فقررت أن تواري جثة بولينيس التراب بنفسها. ولم تهب الموت الذي هدده كريون كل من تسول له نفسه دفن بولينيس وإجراء كل الطقوس الجنائزية. وقد طلبت أنتيغون من أختها إسمين أن تذهب معها، لكن الأخت الوجلة لم تجرؤ على مساعدتها، خوفاً من غضب كريون. وراحت تحاول إقناع أنتيغون بعدم شق عصا الطاعة على ملك طيبة، وذكرتها بالمصير الذي أحاق بأبهما وأخويهما، فهل يعقل أن أنتيغون تريد الهلاك لنفسها ولها؟

لم تصغ أنتيغون لكلام إسمين: إنها مستعدة لأن تقوم بمفردها بواجبها تجاه أخيها، مستعدة لأن تتحمل كل شيء دون تدمير، المهم ألا يبقى بولينيس بدون دفن. وقد نفذت أنتيغون قرارها.

لم يلبث كريون أن عرف أن قراره قد انتهك. فقد أخبره أحد الحراس أن ثمة من قام خفية بطمر جثة بولينيس بالتراب، وأقام الطقس الجنائزي. وقد ثارت نائرة كريون، وراح يهدد الحراس بالعذاب إن لم يجد هوورفاقه ذلك الذي أقام الطقس الجنائزي على بولينيس.

ألقى الحراس التراب عن جثة بولينيس ، وجلسوا على الهضبة القريبة .
وعند الظهر هبت العاصفة فجأة ، وراحت الزوبعة تضفر سحب الغبار فوق
السهل كله ، وحين مرت العاصفة رأس الحراس فتاة تنتحب فوق قبر بولينيس ،
وكان صوتها الحزين يتردد كصراخ الطائر المفجوع ، وهو يرى أن يداً ما اختطفت
فراخه . وكانت الفتاة قد قامت بإراقة (الخمرة) على شرف آلهة العالم السفلي ،
لكن الحراس أمسكوا بها ، وقادوها إلى كريون . كانت تلك أنتيغون .

استقبل كريون أنتيغون بكلمات غاضبة ، وطالبها بالاعتراف بجريمتها .
ولم تنكر أنتيغون ذنبها . صحيح أنها انتهكت أوامر كريون ، لكنها نفذت القانون
ومشيئة الآلهة . وهي لا تخاف الموت ، بل إنها تتوق إليه لأن حياتها مفعمة بالحزن
وحده . وفي ثورة غضبه يهدد كريون بإعدام ليس أنتيغون وحدها ، بل وإيسمين ،
لأنه كان على ثقة أنها قد ساعدت أنتيغون .

حين سمعت أنتيغون أن كريون يريد قتل إيسمين اقشعر بدنها من هول
ماسمعت . فهل يعقل أن تموت أختها بسببها؟ ذهب الخدم في طلب إيسمين . وها
هي قد ظهرت في عتبة القصر ، ومن عينيها كانت تتدحرج دموع الحزن . وحين
عرفت إيسمين ، وهي الوجلة دائماً ، أن الموت يتهدد أختها ، عثرت في نفسها على
الشجاعة لأن تشاطر أختها مصيرها . وترد على كريون بكل عزم أنها شاركت في
إقامة الطقوس الجنائزية على بولينيس .

لم ترغب أنتيغون أن تشاركها إيسمين عذابها ، وهي التي لا ذنب لها . وعبثاً
راحت إيسمين تتوسل إليها :

- لا ترفضيني يا أختاه ، لا تقولي أنني لست جديرة بالموت معك . فهل لحياتي معنى
بدونك؟ لا توجهي لي الإهانة !

لكن أنتيغون ترد على أختها :

- كلا لا يصح أن تموتي معي ، لا يصح أن تنسب لي نفسك ذلك العمل الذي لم

تقومي به . سيكون موتي وحده كافياً . لقد اخترت الحياة ، أما أنا فقد اخترت الموت .

وراقت إيسمين تتوسل إلى كريون أن يصفح عن أنتيغون ، وأن يفكر بأنه إنسا سيودي بحياة خطيبة ابنه . لكن توسلات إيسمين لم تؤثر بكريون . ويرد بأنه لن يسمح لابنه هيمون بالزواج من مجرمة . كلا إن أنتيغون يجب أن تموت ، وسوف يفرق الموت بينها وبين هيمون ، ويأمر كريون خدومه بنقل أنتيغون وإيسمين إلى القصر ، والسهر عليهما ، كي لا تتمكننا من الفرار . قاد الخدم ابنتي أوديب . كان المواطنون يقفون صامتين ، كانوا متعاطفين مع أنتيغون ، ويدركون أنها اجترحت ماثرة . وكانت أنتيغون على صواب حين قالت لكريون أن شعبها لم يكن ليلومها على دفن بولينيس لولا أن الخوف من كريون المستبد كان يكم فمه .

ما إن عرف ابن كريون هيمون الشاب ، المصير الذي يتهدد خطيبته ، حتى أتى والده ، يرجوه أن يعفو عن أنتيغون . كان هيمون يعرف أن الشعب كله يشفق على أنتيغون البريئة ، ويتذمر من الموت الذي يتهددها بسبب مآثرتها الخيرة . ويرجو هيمون من أبيه أن لا يتشبث بعناده ، ويعترف بضلاله .
يقول هيمون لأبيه بجرأة :

- الجميع في طيبة يعتبرون أنتيغون بريئة . إنني أرى يا أبي أنك تميل إلى الباطل .
إنك أنت نفسك من انتهك قانون الآلهة .

ويزداد غضب كريون ، ظناً منه أن حب هيمون لأنتيغون هو وحده الذي يدفعه إلى مثل هذا الدفاع عنها ، فصرخ بابنه غاضباً :
- إنك تفكر كما يفكر عبد النساء الحقير .
ويرد عليه هيمون قائلاً :

- كلا ، لكنك لن ترى أبداً أنني أتعاطف مع الظلم . إنني إنما أدافع عنك .
لكن كريون لم يعد يسمع كلام ابنه ، ويقول أنه عازم على إعدام أنتيغون .

وقال هيمون ، حين سمع قرار أبيه :

- إذا ماتت جرت وراءها موتاً آخر .

بيد أن غضب كريون تجاوز كل الحدود ، فأوعز إلى مقاتليه أن يحضروا

أنتيغون ، ويقتلونها هنا ، على مرأى من هيمون .

ويصيح هيمون :

- كلا لن تموت أمام عيني ! لن تراني بعد الآن يا أبي . بوسعك أن تمارس جنونك

لوحده بين أصحابك . المتزلفين .

هذه الكلمات انصرف هيمون . عبثاً راح المواطنون يحذرون كريون من

عاقبة تلك الثورة من الغضب ، التي غادره فيها ابنه ، فكريون متشبث برأيه لا يجيد عنه .

ها قد جيء بأنتيغون لتلقى الموت الفظيع ، فقد قرر كريون دفنها حية في

مقبرة الابلداكيين^(١٧) . إن أنتيغون تسير في درجها الأخير ، نحو ضفاف

أشيرون^(١٨) . لسوف توأد في هذه المقبرة ، لن تكون بين الأحياء ، بل بين

الأموات ، ولن تكون منتمية لا للموت ولا للحياة ، ولن يودعها أصدقاؤها ، بل

تساق إلى الموت دون أن تندب . لن ترى الضوء المشرق بعد الآن .

ما إن اقتيدت أنتيغون خارجاً حتى جاء العراف الأعمى ثيريسيوس إلى

كريون ، يقوده صبي . وكانت الآلهة قد أرسلت له علامات هائلة أثناء تقديم

الأضاحي . فالآلهة غاضبون لأن الميت لم يدفن ، ولأن الطيور والكلاب تحمل قطع

جثته في كل مكان . وفي عناده المجنون لا يصغي كريون لثيريسيوس ، ويقول له أن

بولينيس لن يدفن حتى ولو حمل نسر زوس نفسه قطعة من جثته إلى عرش قاذف

الصواعق . واتهم كريون ثيريسيوس بأنه متواطئ ، وأنه إنما يسدي له هذه

النصائح لمصلحته هو . ويقول ثيريسيوس الغاضب لكريون متوعداً بأنه هو وحده

المدنب في كل هذا : فقد أهان الآلهة لأنه دفن أنتيغون حية ، وذنس جثة بولينيس ،

وانتهك قوانين الآلهة . ولسوف تعاقبه الآلهة . خيم الحزن على سائر أرجاء منزل كريون ، فلسوف ينزل القصاص بمن هو الأعلى عند كريون . إن الإيرينات ، اللواتي لا يعرفن الشفقة ، هن اللواتي ستتقممن من كريون ، ولن ينقذه شيء من انتقامهن الفظيع .

أخاف كلام العراف ثيريسيوس كريون . فهرع إلى السهل بنفسه لكي يقوم بطقوس الدفن ، وراح يتوسل إلى هادس وهيكتات أن لا يغضبا منه ومن طيبة . وبعد الانتهاء من مراسم الدفن قصد كريون مع حاشيته ضريح اللابداكيين لكي يخرج أنتيغون من هناك ، لكن سبق السيف العذل . فقد جدلت أنتيغون أنشودة من ثياها ، وشنقت نفسها . وفي الضريح يجد كريون ابنه هيمون بيكي أنتيغون . وعبثاً يتوسل كريون لابنه أن يخرج من الضريح . وعلى مرأى من أبيه يطعن هيمون نفسه بالسيف في صدره ، فيقع ميتاً على جثة خطيبته . ويستولي اليأس على كريون فقد أضع ولدته الأخير ، وبيكي كريون بلوعة .

وفي هذا الوقت يحمل الرسول إلى إيفريديكا ، زوجة كريون ، نبأ موت هيمون . أصغت إليه إيفريديكا دون أن تنبس ببنت شفة ، ثم ذهبت إلى أجنحة القصر الداخلية ، وهنا انتحرت بأن طعنت نفسها بالسيف في صدرها ، كما فعل هيمون . ويدنو كريون من القصر ، حاملاً جثة ولده على يديه . وهنا ، عند القصر تنتظره مصيبة فظيعة جديدة - يعرف بموت زوجته ، تحطمت روح كريون الأبية المحبة للسلطة ، وراح يستنجد بالموت يائساً ، عله يضع حداً لعذابه ، فقد أضع كريون جميع من أحب .

حملة الأبيغونيين^(١٩) :

مرت عشر سنوات على حملة السبعة ضد طيبة . وخلال هذا الوقت شب

أبناء الأبطال، الذين سقطوا عند أسوار طيبة . وقد قرر هؤلاء الانتقام من الطيبين لهزيمة آبائهم ، فشنوا حملة جديدة .

وقد شارك في هذه الحملة : إيجياليوس ابن ادراستوس ، الكميون ابن أمفياروس ، ديوميدي ابن تيديوس : فيرساندروس ابن بولينيس ، بروماخوس ابن بارثينوبايوس ، سفينيلوس ابن كابانيوس ، وقد حمى الآلهة الأبيغونيين (هكذا سمي الزعماء ، الذين شنوا الحملة الجديدة ضد طيبة) . وكان عراف دلفي قد تنبأ للأبيغونيين بالنصر إذا ما اشترك في هذه الحملة الكميون ابن أمفياروس .

وقد أخذ فيرساندروس ، ابن بولينيس ، على عاتقه مهمة إقناع الكميون بعدم رفض المشاركة في هذه الحملة . تردد الكميون طويلاً ، كان متردداً في غزو طيبة ، قبل أن ينفذ رغبة أبيه الأخيرة ، فينتقم من أمه لأنها أرسلت أباه إلى الموت الأكيد . ومثل والده بولينيس قرر فيرساندروس طلب مؤازرة إيريفيل ، أم الكميون ، وقد استمالها إليه ، بعد أن أهداها ثياب هارمونيا زوجة قدموس ، تلك الثياب الفاخرة ، التي كانت أئينا بالاس قد حاكتها لها بنفسها . أغرت الثياب إيريفيل ، كما سبق لها أن أغريت بعقد هارمونيا ، وأصرت على أن يشارك الكميون وأخوه أمفيلوخ في الحملة .

خرجت قوات الأبيغونيين من أرغوس . صحيح أن هذه القوات لم تكن كبيرة ، لكن النصر كان يجب أن يحالفها . اختارت القوات لقيادتها ديوميدي ابن تيديوس ، الذي يعادل أباه قوة وجرأة ، انطلق الأبطال في الحملة سعداء ، وهم يتشوقون للانتقام لأبائهم .

ولدى وصولهم بوطنيا ، قرب طيبة ، سألوا العراف أمفياروس عن نتيجة الحملة ، فأجابهم العراف بأنه يرى الكميون ، وريث مجد أمفياروس ، داخلًا بوابة طيبة مظفراً . لسوف ينتصر الأبيغونيون . وحده إيجياليوس ، ابن أدراستوس ،

الذي نجا في الحملة الأولى ، سوف يلقي حتفه .
أخيراً وصلت قوات الأبيغونيين طيبة ، ذات البوابات السبع . وبدأت
حصار المدينة ، بعد أن خربت كل الضواحي . خرج الطيبون إلى السهل بقيادة
ملكهم لاودامانتوس المتهور ، ابن ايتوكليس ، لكي يطردوا المحاصرين بعيداً عن
الأسوار . ودارت رحى معركة طاحنة ، سقط فيها إيجياليوس بطعنة من رمح
لاودامانتوس ، لكن الكميون قتل هذا الأخير .

مني الطيبون بالهزيمة ، واحتموا خلف أسوار طيبة المنيعة .
بدأ الطيبون التفاوض مع المحاصرين . وتحت جنح الظلام غادروا طيبة
مع زوجاتهم وأولادهم سراً ، وذلك بناء على نصيحة ثيريسيوس ، باتجاه الشمال ،
نحو تساليا . وفي الطريق عند جدول الحورية تيلبوزا مات العراف ثيريسيوس ،
الذي أمضى فترة طويلة وهو يساعد الطيبين ، والذي أنقذهم من الهلاك أكثر من
مرة .

بعد رحلة طويلة وصل الطيبون إلى هستيوتيد^(٢٠) في تساليا ، واستقروا
هناك .

أما طيبة فقد نهبت ، بعد أن استولى عليها الأبيغونيون . وتقاسم الأبطال
غنيمة كبيرة تليق بهم . وكان الجزء الأفضل من الغنيمة ، بالإضافة إلى العرافة
مانتو ، ابنة ثيريسيوس ، من نصيب عراف دلفي .
عاد الأبيغونيون إلى الوطن سعداء . أما فيرساندروس ، ابن بولينيس ، فقد
بقي يحكم طيبة ، بعد أن رممت .

الكميون^(٢١) :

بعد عودته من الحملة على طيبة ، نفذ الكميون مشيئة والده أمفياروس

فانتقم من أمه لموت أبيه . لقد قتل الكميون أمه بيديه . وقد لعنته أمه ، وهي تحتضر، لعنت ابنها القاتل والبلد الذي سيؤويه .
غضبت الإيرينات ربات الانتقام من الكميون ، ورحن يطاردنه في كل مكان .

راح الكميون المسكين يتنقل طويلاً بحثاً عن ملاذ ومكان يتطهر فيه من أدران الدم الذي أراق ، إلى أن وصل أخيراً مدينة بسوفيدا في أركاديا^(٢٢) . وهناك طهره الملك فيججوس من رجس ما اقترفت يدها ، تزوج الكميون أرسينووية ابنة فيججوس ، وقرر أن يعيش بهدوء في بسوفيدا . لكن القدر كان يخبيء له شيئاً آخر ، فقد كانت لعنة أمه تلاحقه . تفشى الجوع الرهيب والطاعون في بسوفيدا . كان الموت يسود كل مكان ، سأل الكميون عراف دلفي فردت عليه بيثيا العرافة أن عليه أن يغادر بسوفيدا ويقصد إله نهر أخيلووس^(٢٣) . وهناك فقط سوف يطهر من أدران جريمة القتل ، ويجد الطمأنينة في ذلك البلد الذي لم يكن موجوداً حين لعنته أمه . غادر الكميون دار فيججوس ، وزوجته أرسينووية وابنه كليتيوس قاصداً أخيلووس . وأثناء مروره بكالدونيا زار أونوس ، الذي أكرم وفادته ، كما زار الكميون ويسبورت^(٢٤) ، لكنهم طردوه من بلادهم ، خوفاً من غضب الآلهة . أخيراً وصل الكميون مجرى نهر أخيلووس ، وهناك طهره الآلهة أخيلووس من رجس الدم المراق ، وزوجة ابنته كاليرويه^(٢٥) . استقر الكميون في دلتا نهر أخيلووس في جزيرة تكونت من الطمي والرمل . فكانت تلك البلاد ، التي لم تكن موجودة حين تلقى الكميون لعنات أمه .

وإلى هنا لاحق القدر الكميون . فقد عرفت كاليرويه بالعقد الثمين وبالثوب ، المحاك بيدي أثينا بالاس ، اللذين قدمهما بولينيس وابنه فيرساندروس هدية لإيريفيل ، فطالبت زوجها بأن يحضر لها هاتين التحفتين . ولم تكن كاليرويه تعرف أن هاتين التحفتين جرتا الهلاك على من كان يمتلكهما . توجه الكميون إلى

بسوفيدا، وطالب فيجيوس بأن يعطيه العقد والثوب. وقال الكميون لفيجيوس أنه يريد نذرهما لعراف دلفي، لكي يحصل على مغفرة قاذف النبال الإله أبولون. صدق فيجيوس قول الكميون، وأعطاه التحفتين. لكن عبد الكميون أخبر فيجيوس بأن العقد والثوب سيذهبان إلى كاليرويه. غضب فيجيوس، ونادى ولديه برونوسيوس واجينورودعاهما إلى نصب كمين لألكميون في طريق عودته إلى دلتا أخيلووس. وقد نفذوا رغبة أبيهما، وقتلا الكميون.

عرفت أرسينوييه، زوجة الكميون الأولى، بموت زوجها، وكانت لاتزال تحبه، ومن فرط حزنها لعنت أخوها، أما أخوها فقد أخذها إلى الملك أغابينوروس في أركاديا، وأعدماها بتهمة قتل الكميون.

وعرفت كاليرويه بموت الكميون، فقررت الانتقام له من ولدي فيجيوس ومنه هو نفسه. لكن من يوسع أنه ينتقم؟ فقد كان ولداها أكارثانوس وامفوتيروس لايزالان طفلين صغيرين في المهد، راحت كاليرويه تتضرع إلى زوس أن يجعل ولديها شابين جبارين في الحال، سمع زوس توسل كاليرويه، فجعل ولديها يشبان في ليلة واحدة. وقد قصدا الملك أغابينوروس في نيشيا، وهناك قتلا ولدي فيجيوس، وهكذا جرت الهبات، التي سبق لإيريفيل أن حصلت عليها من بولينيس وفيرساندروس، الهلاك على فيجيوس وكل أسرته.

أخذ ابنا كاليرويه العقد الثمين والثوب المصنوع بيدي أثينا بالاس، ونذراهما، بموافقة أمهما. لعراف دلفي، ثم غادرا بلادهما، وسكنا في أرض أصبحت تعرف باسم أكارثانيا^(٢٦) نسبة إلى أكارثانوس، وهناك أسسا مملكة جديدة.

هوامش

- ١ - عن تراجيديا سوفوكليس «أوديب ملكاً» .
- ٢ - اسم جبل في اليونان الأوسط بين أتيكا وبيوتيا .
- ٣ - ايشيدنا : نصف امرأة - نصف أفعى ، ابنة التارتاروريا ، وقد أنجبت من تيفون الكثير من الوحوش (هيدرا ليرن ، سيربير ، شيمر ، أسد نيميه والسفينكس) .
- ٤ - عن تراجيديا سوفوكليس «أوديب ملكاً» . كان اليونانيون يعتقدون أن القدر يتحكم ليس بمصائر البشر فقط ، بل وبالآلهة أيضاً . إن المصير دائماً محدد مسبقاً ولا راد له .
- ٥ - عن ملحمة سوفوكليس «أوديب في كولون» .
- ٦ - كولون تقع على بعد سبعة كيلومترات تقريباً عن أثينا .
- ٧ - عن تراجيديا اسخيلوس «سبعة ضد طيبة» وتراجيديا يوربيدس «الضارعات» .
- ٨ - اشترك في حملة الأرغونيين ، عراف مشهور من سلالة الكهنة .
- ٩ - مدينة في شمالي البيلوبونيز ، على ساحل خليج كورنيث .
- ١٠ - كان أونوس حاكم كاليدونيا ووالد ميلياغروس وديجانير .
- ١١ - مدينة وواد في الأرغوليد في شمالي - شرق البيلوبونيز .
- ١٢ - جبل بين بيوتيا ، اتيكا وميغاريدا .
- ١٣ - إله الموت .
- ١٤ - بطل حرب طروادة ، لم يكن يميزه قوة وجرأة سوى أخيل ، قاتل بنجاح ضد افروديت وأريس ، شارك في حملة الأبيغونيين .

- ١٥ - ايلوزينيا اشتهر كمركز للاحتفالات الزراعية على شرف دميترا وبرزفونة . وكانت هذه الاحتفالات تقترن بمختلف الطقوس الغامضة (مايعرف باسم مسرحيات ايلوزينيا الدينية) .
- ١٦ - عن تراجيديا سوفوكل «أنتيغون» .
- ١٧ - ذرية الابداكوس حفيد قدموس .
- ١٨ - نهر العالم السفلي ، أي أن أنتيغون في طريقها إلى هادس ، مملكة الموتى .
- ١٩ - أبيغون كلمة يونانية تعني «الذرية ، النسل» . عن مؤلفات مختلفة .
- ٢٠ - الغرب الأقصى في تساليا .
- ٢١ - عن ملحمة هومير وس «الأوديسة» .
- ٢٢ - منطقة في مركز السيلوبونيز .
- ٢٣ - أخيلووس أكبر أنهار اليونان ، وكان يعتبر نهراً مقدساً ، كان بوسع أخيلووس إله النهر الظهور بأية هيئة . وحين قاتل هرقل في هيئة ثور من أجل ديجانير كسر له هرقل أحد قرنيه فقامت النيدات (حوريات الماء) بملء هذا القرن بالأزهار وحولته إلى قرن الوفرة .
- ٢٤ - قوم سكنوا ايبيريا في جنوب غرب اليونان .
- ٢٥ - كاليرويه - (بديعة الجريان) - حورية النهر .
- ٢٦ - مقاطعة في غرب اليونان الأوسط .

الفهرس

الأرغيون ٩

فريكسوس وهيله - ولادة جازون وتربيته - جازون في إيولكوس - جازون يجمع رفاق الطريق ، ويستعد للحملة على مملكة الكولشيد - الأرغيون في ليمنوس - الأرغيون في شبه جزيرة كيزيك - الأرغيون في ميزيا - الأرغيون في فيفينا - الأرغيون عند فيني - السمبليغادات - جزيرة أرتياد - الوصول إلى الكولشيد - هيرا وأثينا عند أفروديت - جازون عند إيتيس - الأرغيون يطلبون النجدة من ميديا - جازون ينفذ المهمة التي يكلفه بها إيتيس - ميديا تساعد جازون في سرقة الخزة الذهبية - عودة الأرغيين - جازون وميديا في إيولكوس ، موت بلياس - جازون وميديا في كورنث . موت جازون .

الملحمة الطروادية ٥٣

هيلين ابنة زوس وليدا - بيليوس وثيتيس - حكم باريس - باريس يعود إلى طروادة - باريس يختطف هيلين - مينيلوس يستعد للحرب ضد طروادة - آخيل - طروادة - أبطال اليونان في

ميزيا - اليونان في أوليس - السنوات التسع الأولى من حصار
طروادة - نزاع أخيل مع أغاممنون - اجتماع محاربي أخيل .
ثيرسيت - المباراة بين مينيلوس وباريس - بنداروس ينتهك
القسم . المعركة - هكتور في طروادة . وداع هكتور لأندروماك -
استمرار المعركة ، المباراة بين هكتور وأجاس - انتصار
الطرواديين - أغاممنون يحاول مصالحة أخيل - المعركة عند معسكر
الأخيليين - المعركة عند السفن - مآثر بتر وكليس وموته - معركة من
أجل جثمان بتر وكليس - ثيتيس عند هيبايستوس ، سلاح أخيل -
مصالحة أخيل مع أغاممنون - أخيل يخوض المعركة ضد
الطرواديين - مباراة أخيل وهكتور - جنازة بتر وكليس - بريام في
خيمة أخيل ، دفن هكتور - معركة مع الأمازونات ، بانتيزيله -
معركة مع الاثيوبيين ، ممنون - موت أخيل - موت أجاس ابن
تيلامون - فيلوكتيت ، أيام طروادة الأخيرة - سقوط طروادة - عودة
اليونانيين إلى ديارهم .

أوديسيوس (الأوديسة) ١٦٣

أوديسيوس عند الحورية كاليبسو - في غياب أوديسيوس
الخطاب يعيشون في إيثاكة فساداً ، وينهبون أملاكه - تيليماخ عند
نسطور ومينيلوس - مؤامرة الخطاب ضد تيليماخ - أوديسيوس
يغادر جزيرة الحورية كاليبسو - أوديسيوس ونوسيكيا - أوديسيوس
عند الملك الكينووس - أوديسيوس يروي مغامراته - عودة
أوديسيوس إلى إيثاكة - أوديسيوس عند عموس - عودة تيليماخ إلى
إيثاكة - تيليماخ يأتي إلى عموس ، أوديسيوس وتيليماخ -

أوديسيوس يصل قصره في زي سائل - أوديسيوس وبنلوبه - انتقام
أوديسيوس من الخطاب - أوديسيوس يكشف عن هويته لبنلوبه -
أرواح الخطاب في مملكة هادس - أوديسيوس عند ليرت - تمرد
رجال إيثاكة، ومصالحتهم مع أوديسيوس .

أغاممنون وابنه أورست ٢٣٥
موت أغاممنون - أورست ينتقم لموت أبيه - أبولو وبالاس
أثينا ينقذان أورست من ملاحقة الايرينات (آلهات العقاب) -
أورست يسافر إلى تاورس (شبه جزيرة القرم) في طلب تمثال
أرتيميس .

ملحمة طيبة ٢٤٧
أوديب وطفولته، شبابه وعودته إلى طيبة - أوديب في طيبة -
موت أوديب - سبعة ضد طيبة - أنتيغون - حملة الابيغونيين -
الكميون

حاولت الميثولوجيا اليونانية والأسطورة الإغريقية ،
تفسير الكون والحياة ، ومعرفة أسرارهما وأسرار الإنسان
نفسه ، وتطورت إلى ملاحم عن الأبطال والآلهة التي
تحميهم .

يتحدث هذا الكتاب عن الأريغون وطروادة
والأوديسة وطيبة ، عن هيلين وباريس وهيكتور وأخيل
وأغاممنون وبتروكليس وتيليهاخ وأوديس وأورست وأوديب،
وأنتيغون وعشرات غيرهم .

إنه كتاب ضروري لكل من يهتم بتاريخ الثقافة
والأدب والفن ، ومنهل غني للمبدعين في كل مكان .

الناشر